فهرس الكتاب

الفصل الأول فيما يتعلّق بالخَالِق جلّ جلاله

الفصل الثاني فيما يتعلّق بالرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم

الفصل الثالث فيما يتعلّق بأهل البيت عليهم السلام

الفصل الرابع فيما يتعلّق بالصّحابة عامة

الفصل الخامس فيما يتعلّق بالخلفاء الثلاثة (أبو بكر وعمر وعثمان)

الفصل السادس فيما يتعلّق بالخلافة

الفصل السّابع فيما يتعلّق بالحديث الشريف

الفصل الثامن البخاري ومسلم

خاتمة البحث

مصادر الكتاب

فاسألوا أهل الذكر

تأليف
الدكتور محمد التيجاني السماوي

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله ربّ العالمين ـ وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على سيدنا ومولانا محمد المبعوث رحمة للعالمين سيد الأولين والآخرين والمنزه عن كل ما هو مُشين. وعلى آله الطيبين الطاهرين أعلام الهدى ومصابيح الدّجى وأئمة المسلمين. أما بعد فهذه أسئلة أعددتها للمسلمين الباحثين خاصّة منهم أهل السنة الذين يظنون أنهم هم وحدهم المتمسّكون بالسنة النبوية الصحيحة على صاحبها أفضل الصّلاة وأزكى التسليم وعلى آله الطاهرين. بل ويشدّدون نكيرهم على غيرهم من المسلمين وينبزونهم بالألقاب.

وقد بُعثت في شتى البلاد الإسلامية جمعيات جديدة باسم الدّفاع عن السنة المحمدية ـ وباسم أنصار السنة وأنصار الصحابة، وكتبت كتبٌ عديدة لشتم وتكفير الشيعة وأئمتهم والاستهزاء بعلمائهم. وروّجت وسائل الإعلام العالمية هذه الأفكار في كل أقطار العالم الإسلامي وغير الإسلامي، وأصبح حديث الناس اليوم هو "السنة والشيعة".

وكثيراً ما ألتقي في المناسبات مع بعض الشباب المثقف من المسلمين الصادقين الذين يتساءلون ويسألون عن حقيقة الشيعة وباطلهم، وهم حائرون بين ما يشاهدونه ويعيشونه مع أصدقاء لهم من الشيعة وما

يسمعونه ويقرؤونه عنهم ولا يعلمون أين يوجد الحق. وقد تحدثت مع البعض منهم وأهديت لهم كتابي "ثم اهتديت" والحمد لله أن الأغلبية من هؤلاء وبعد المناقشة والبحث يهتدون لمعرفة الحق فيتبعونه، ولكن هذا يبقى مقصوراً على نخبة من الشباب الذين ألتقي بهم صدفةً، أما البقية فقد لا يتاح لهم مثل هذا اللقاء فتبقى مشوشة الفكر بين الآراء المتضاربة.

وبالرغم من وجود الأدلة المقنعة والحجج الدامغة في كتاب "ثم اهتديت" وكتاب "مع الصادقين" إلا أنهما لا يكفيان لمواجهة تلك الحملات المسعورة والدعايات المكثفة التي تمولها بعض الجهات الشريرة بالبتر ودولار في مختلف وسائل الأعلام.

وبالرغم من كل ذلك سيبقى صوت الحق مدوياً وسط الضوضاء المزعجة ويبقى بصيص النور مضيئاً الظلام الدامس لأن وعد الله حق ولا بدّ لوعده من نفاذ قال تعالى: (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون) [الصف: 8]. وقال تعالى مُبيناً بأنّ أعمالهم هذه ستبوء بالفشل وتنقلب عليهم: (إن الذين كفروا يُنفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حَسْرَةً ثم يُغلَبُون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) [الأنفال: 36].

لأجل ذلك، كان واجباً على العلماء والكُتاب والمفكّرين أن يوضّحوا للناس ما أشكل عليهم ويهدوهم سواء السبيل. قال تعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب، أولئك يلعنُهُم اللّهُ ويلعنُهم اللاّعنون، إلاّ الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوبُ عليهم وأنا التواب الرحيم) [البقرة: 160].

فلما لا يتكلم العلماء ويبحثون في هذا الموضوع بجدّ وإخلاص لوجه الله تعالى، وإذا كان سبحانه قد انزل البينات والهدى، وإذا كان قد أكمل الدّين وأتمّ النعمة، وإذا كان رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد أدى

الأمانة وبلّغ الرسالة ونصح للأمّة، فلماذا هذه التفرقة والعداوة والبغضاء والتنابز بالألقاب، وتكفير بعضنا البعض.

وأنا بدوري أقف وقفة صريحة هنا لأقول لكلّ المسلمين بأن لا خَلاص ولا نجاة ولا وحدة ولا سعادة ولا جنة إلاّ بالرجوع إلى الأصلين الأساسين كتاب الله وعترة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، وإلاّ بالركوب في سفينة النجاة وهي مركب أهل البيت عليهم السلام. وليس هذا القول كلاماً من اختراعي،

إنما هو كلام الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. إن المسلمين اليوم أمام اتجاهين أثنين في طريق الوحدة المنشودة.

الأول: هو ان يقبل أهل السنة والجماعة بمذهب أهل بيت الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو ما يأخذ به الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، ويصبح بذلك المذهب الخامس لديهم ويتعاملون مع نصوص الفقهية بالنحو الذي يتعاملون به مع المذاهب الإسلامية الأربعة، فلا ينقصونه ولا ينبزون معتنقيه بشيء ويتركون للطلبة والمثقفين حرية اختياره المذهب الذي يقتنعون به، وضمن نفس السياق فإن على المسلمين ـ سنة وشيعة ـ القبول بالمذاهب الإسلامية الأخرى كالأباضية والزيدية.. ورغم أن هذا الإتجاه يمثل حلاً يوفر على أمتنا كثيرا من التنافر والتفرقة إلا أنه لا ينهض إلى مستوى المعالجة الحاسمة للمعضل التاريخي الذي تعيشه منذ قرون.

* الاتجاه الثاني: هو أن يتوحّد المسلمون كافة على عقيدة واحدة رسمها كتاب الله ورسوله وذلك عن طريق واحد وصراط مستقيم وهو ابتاع أئمة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ولهذا السبب فالمسلمون كافة سنة وشيعة مُتفقون على أعلميتهم وتقدُمهم في كل شيء من تقوى وورع وزهد وأخلاق وعلم وعمل، ويختلف المسلمون في الصحابة، فليدع المسلمون ما اختلفوا فيه إلى ما اتفقوا عليه، من باب قول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك". فتجتمع بذلك الأمة وتتوحّد على قاعدة أساسية هي مَدَارُ كلّ شيء أسّسَها صاحب الرسالة في قوله: "تركتُ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً،

كتاب الله وعترتي أهل بيتي" صحيح مسلم.

وإذا كان هذا الحديث صحيحاً عند الطرفين بل عند كل المسلمين على اختلاف مذاهبهم، فما بال قسم من المسلمين لا يعمل به؟؟؟ ولو عمل المسلمون كافة بهذا الحديث لنشأت بينهم وحدة إسلامية قوية لا تزعزها الرياح ولا تهدّها العواصف، ولا يبطلها الإعلام ولا يفشلها أعداء الإسلام.

وحسب اعتقادي أن هذا هو الحلّ الوحيد لخلاص المسلمين ونجاتهم وما سواه باطل وزخرف من القول، والمتتبع للقرآن والسنة النبوية والمطّلع على التاريخ والمتدبر فيه بعقله يوافقني بلا شكّ على هذا.

أما إذا فشل الإتجاه الأول وهو فاشل من أول يوم فارق فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الحياة حيث اختلف الصحابة وتسبب ذلك في انقسام الأمة وتمزيقها، وحيث فشلت الأمة عبر قرون في الرجوع إلى الإتجاه الثاني وهو الاعتصام بالكتاب والعترة، لما بثته وسائل الإعلام قديماً في العهدين الأموي والعباسي، وحديثاً في عصرنا الحاضر من تشويه وتضليل وتكفير لأتباع أهل البيت النبوي ـ فلم يبق أمامنا حينئذٍ إلا المواجهة بصراحة وإظهار الحقّ لكل من يرغب به، متوخّين في ذلك أسلوب القرآن الكريم إذ يتحدّى فيقول: (.. قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) [البقرة: 111]. والبرهان والحجة لا يُفرضان بالقوة ولا بالأموال ولا يطرحان بوسائل الترغيب والترهيب عند الأحرار الذين باعوا أنفسهم لله وحده ولم ولن يرضوا بديلاً للحق ولو كلّفهم ذلك إزهاق النفوس.

فيا ليت علماء الأمة اليوم يعقدون مؤتمراً ليبحثوا فيه هذه المسائل بقلوب منفتحة وعقول واعية ونفوس صافية، ويخدمون بذلك الأمة الإسلامية ويعملون على لمّ شتاتها وتضميد جراحاتها وتوحيد صفوفها وجمع كلمتها.

إن هذه الوحدة قادمة لا محالة أحبّوا أم كرهوا لأن الله سبحانه رصد لها إماماً من ذرية المصطفى سيملئها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وهذا الإمام هو من العترة الطاهرة وكأن الله سبحانه جلّت حكمته يمتحن

هذه الأمة طيلة حياتها، حتى إذا قرب أجلُها كشف لها عن خطأ اختيارها وأعطاها فرصة للرجوع إلى الحقّ واتباع النهج الأصيل الذي دعا إليه محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي كان يقول: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون".

وإلى أن يحين ذلك الوقت أقدّم كتابي هذا "فاسئلوا أهل الذكر" وهو جملة من الأسئلة مع الإجابة عليها من خلال مواقف وتعاليم أئمة أهل البيت سلام الله عليهم ـ عسى أن يستفيد منها المسلمون في كل البلاد الإسلامية ويعملوا على تقريب وجهات النظر للإعداد للوحدة المنشودة.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، ربِّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي. أسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل عملي ويجعل فيه الخير والبركة، فما هو إلا لبنةٌ واحدة لبناء رباط الوحدة.

أقول هذا لأن المسلمين اليوم ما زالوا بعيدين عن أبسط حقوق الإنسان والتعامل بالحسنى مع بعضهم البعض.

لمست ذلك بنفسي خلال رحلاتي وزياراتي الكثيرة في البلدان الإسلامية أو البلدان التي فيها مسلمون. وآخرها عهداً في القارة الهندية التي يسكنها أكثر من مائتي مليون مسلم ربعهم شيعة وثلاثة أرباعهم من السنة، وقد سمعت عنهم الكثير ولكن ما شاهدته يبعث فعلاً على الدهشة والحيرة والخوف، ولقد تأسّفت وبكيت على مصير هذه الأمة، وكاد اليأس يدبُّ إلى قلبي لولا الرّجاء والأمل والإيمان.

وفور رجوعي من الهند أرسلت رسالة مفتوحة إلى العالم الهندي الذي يرجع إليه أهل السنة والجماعة في تلك القارة وهو أبو الحسن الندوي ووعدته بنشرها مع الردّ عليها ولكن لم أتلقَّ الردّ عليها حتى الآن وإني أنشرها في مقدمة هذا الكتاب كما هي لتكون وثيقة تاريخية تشهد لنا عند الله وعنه الناس بأننا من دعاة الوحدة.

الدّكتور محمد التيجاني السماوي

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله الطاهرين

رسالة مفتوحة إلى السيد أبو الحسن الندوي العالم الهندي

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد:

أنا محمد التيجاني السماوي التونسي الذي من الله عليه بالهداية والتوفيق فاعتنق مذهب أهل البيت النبوي بعد بحث طويل وبعدما كنت مالكياً ومن أتباع الطريقة الصوفية المشهورة في شمال إفريقيا وهي التيجانية، وعرفت الحقّ من خلال رحلة موفقة إلى علماء الشيعة، وكتبت في ذلك كتاباً أسميته "ثم اهتديت" ثم طبعه عندكم في الهند من طرف المجمع العلمي الإسلامي بعدة لغات وبالمناسبة دُعيت لزيارة الهند.

سيدي العزيز قدمت إلى الهند في زيارة قصيرة، وكان أملي أن ألتقي بحضرتكم لما أسمعه عنكم ولما أعلمه باتكم المشار إليه بين أهل السنة والجماعة عندكم. ولكن عاقني عن ذلك بعد المسافة وضيق الوقت، واكتفيت بزيارة مدينة "بومباي" وبونة وجبل بور وبعض المدن الأخرى في كوجراتي وتألمت كثيراً لما شاهدته في الهند من عداوة وبغضاء بين أهل السنة والجماعة وإخوانهم المسلمين من الشيعة.

وقد كنت أسمع بأنهم يتحاربون ويتقاتلون أحياناً وتسفك دماء بريئة من الطرفين باسم الإسلام.

ولم أكن أصدّق، معتقداً بأنه مبالغة في التشويه، ولكن ما شاهدته وما سمعته من خلال زيارتي يبعث حقاً على الجيرة والاستغراب وأيقنت بأن هناك نوايا خسيسة ومؤامرات خطيرة تحاك ضد الإسلام والمسلمين للقضاء عليهم جميعاً سنة وشيعة ومما زاد يقيني وضوحاً وعلمي رسوخاً تلك المقابلة التي دارت بيني وبين مجموعة من علماء أهل السنة يتقدّمهم الشيخ عزيز الرحمن مفتي الجماعة الإسلامية وكان اللقاء في مسجدهم "بومباي" وبدعوة منهم.

وما أن حللت بينهم حتى بدأ الأزدراء والتهكّم والسبُّ واللّعن لشيعة آل البيت، وقد أرادوا بذلك استفزازي وإثارتي لعلمهم مسبقاً بأني قد ألفت كتاباً يدعو للتمسك بمذهب أهل البيت سلام الله عليهم. ولكني فهمت قصدهم وتمالكت أعصابي وابتسمت لهم قائلاً: أنا ضيق عندكم وأنتم الذين دعوتموني فجئتكم مسرعاً ملبياً، فهل دعوتموني لتسبّوني وتشتموني، وهل هذه هي الأخلاق التي علّمكم إياها الإسلام؟؟ فأجابوني بكل صلافة بأني لم أكن يوماً في حياتي مسلماً لأنني شيعي والشيعة ليسوا من الإسلام في شيء وأقسموا على ذلك.

قلت: اتقوا الله يا إخوتي فربّنا واحد ونبينا واحد وكتابنا واحد وقبلتنا واحدة، والشيعة يوحّدون الله ويعملون بالإسلام اقتداءاً بالنبي وأهل بيته، وهم

يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة ويحجّون بيت الله الحرام، فكيف يجوز لكم تكفيرهم؟؟

أجابوني: أنتم لا تؤمنون بالقرآن، أنتم منافقون تعملون بالتقية وإمامكم قال: التقية ديني ودين آبائي. وأنتم فرقة يهودية أسّسها عبد الله بن سبأ اليهودي.

قلت لهم مبتسماً: دعونا من الشيعة، وتكلّموا معي أنا شخصياً فقد كنت مالكياً مثلكم واقتنعت بعد بحث طويل بأن أهل البيت هم أحق وأولى بالاتباع، فهل عندكم حجّة تجادلوني بها، أو تسألوني ما هو دليلي وحجّتي عسى أن نفهم بعضنا بعضاً؟

قالوا: أهل البيت هم نساء النبي وأنت لا تعرف من القرآن شيئاً قلت: فإن صحيح البخاري وصحيح مسلم يفيدان غير ما ذكرتم! قالوا: كل ما في البخاري ومسلم وكتب السنة الأخرى من حجج تحتجّون بها هي من وضع الشيعة دسّوها في كتبنا.

أجبتهم ضاحكاً: إذا كان الشيعة وصلوا للدّس في كتبكم وفي صحاحكم فلا عبرة ولا قيمة لها لمذهبكم القائم عليها!! فسكتوا وأفحموا ولكن أحدهم عَمدَ إلى التهريج والإثارة من جديد فقال: من لا يؤمن بخلافة الخلفاء الراشدين سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي وسيدنا معاوية وسيدنا يزيد رضي الله عنه وأرضاه فليس بمسلم!

ودهشت لهذا الكلام الذي ما سمعت مثله في حياتي وهو تكفير من لا يعتقد بخلافة معاوية وابن يزيد، وقلت في نفسي: معقول أن يترضّى المسلمون على أبي بكر وعمر وعثمان فهذا أمرٌ طبيعي أما على يزيد فلم أسمع ذلك إلا في الهند. والتفت إليهم جميعاً أسألهم: أتوافقون هذا على رأيه! فأجابوا كلّهم: نعم.

وعند ذلك عرفت بأن لا فائدة في مواصلة الكلام، وفهمت بأنهم إنما يريدون إثارتي حتى ينتقموا مني، وربّما يقتلوني بدعوى سبّ الصحابة فمن يدري؟

ورأيت في أعينهم شرّاً وطلبت من مرافقي الذي جاء بي إليهم أن يُخرجني فوراً، فأخرجني وهو يتحسّر ويعتذر إليَّ على ما وقع. وهذا الشخص البريء الذي كان يرمي من وراء هذا اللقاء أن يتعرّف على الحقيقة هو الشاب المهذّب شرف الدين صاحب المكتبة والمطبعة الإسلامية في "بومباي" فهو شاهد على كل ما دار بيننا من هذه المحاورة المذكورة ولم يُخفِ استياءه من هؤلاء الذين كان يعتقد بأنهم من أكبر العلماء.

وغادرتهم وأنا ساخط متأسّف على ما وصلت إليه حالة المسلمين وخصوصاً الذين يتزعّمون مراكز الصدارة ويتسمون بالعلماء وقلت في نفسي إذا كان العلماء بهذه الدرجة من التعصّب الأعمى فكيف يكون عامة الناس وجهّالهم، وعرفت عندئذٍ كيف كانت تقوم المعارك والحروب التي تسفك فيها الدماء المحرّمة وتهتك فيها الأعراض والحُرمات باسم الدفاع عن الإسلام، وبكيت على مصير هذه الأمة التعيسة المنكوبة التي حملها الله سبحانه مسؤولية الهداية وحملها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أيضاً مسؤولية إيصال النور إلى القلوب المظلمة فإذا بها تصبح بحاجة إلى بصيص من النور، وفي وقت يكون فيه في الهند وحدها سبعمائة مليون نسمة يعبدون غير الله تعالى، ويقدّسون البقر والأصنام والأوثان، وبدلاً من أن تتوحّد جهود المسلمين لهدايتهم وإرشادهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور حتى يُسلموا لربّ العالمين، نرى أن المسلمين اليوم وخصوصاً في الهند هم بحاجة إلى الهداية والتصحيح.

لهذا سيدي أرفع كتابي إليكم داعياً إياكم باسم الله الرحمن الرحيم وباسم رسوله الكريم وباسم الإسلام العظيم ولقوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) أدعوكم أن تقفوا وقفة المسلم الشجاع الذي لا يخشى في الله لومة لائم ولا تأخذه العصبية ولا الطائفية إلى حيث يحب الشيطان وأولياءه.

أدعوكم لوقفة مخلصة وصريحة، فأنتم من الذين حملهم الله المسؤولية ما دمتم تتكلمون باسم الإسلام في تلك الربوع، فلا يرضى الله منكم أن تقفوا وقفة المتفرج الراضي بما يقعُ هنا وهناك من مآسٍ يدفع ثمنها الأبرياء من المسلمين سنة وشيعة، والله سائلكم يوم القيامة عن كل صغيرة وكبيرة ومحاسبكم عن كل شاردة وواردة لأنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم.

وما دمتم تتزعّمون علماء الهند فمسؤوليتكم عظمى لا شك فيها وكلمة منكم قد يكون فيها صلاح الأمة في الهند كما قد يكون فيها هلاك الحرث والنسل فاتقوا الله يا أولي الألباب!.

وبما أن الله سبحانه أعطى للعلماء المرتبة الأولى بعد الملائكة فقال عز من قائل: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط) . وإذا كان سبحانه يأمرنا جميعاً بقوله: (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) وإذا كان المفسّرون يذهبون إلى ضرورة إقامة العدل في الموازين المادية ذات القيمة المحدودة، فما بالكم بإقامة العدل في القضايا العقائدية التي تتأرجح بين الحق والباطل وتتوقف عليها هداية البشرية ونجاة الإنسانية بأسرها.

قال الله تعالى: (وإذا حكمتم فاحكموا بالعدل) وقال أيضاً: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) .

وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: "قل الحق ولو على نفسك، قل الحق ولو كان مُرّاً".

سيدي العزيز إلى كتاب الله أدعوكم، وإلى سنة رسوله أدعوكم، فقولوها صريحة مدوية ولو كانت مرة تكون لكم شهادة عند الله، بريئة هل الشيعة عندكم غير مسلمين.

هل تعتقدون حقّاً أنهم كفار؟ هل أتباع أهل البيت النبوي الذين يوحّدون الله ويعظّمونه أكثر من كل الفرق ـ لقولهم بتنزيهه عن المشابهة والمشاكلة والتجسيم. ويؤمنون برسوله محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ويعظّمونه أكثر من كل الفرق ـ لقولهم بعصمته المطلقة حتى قبل البعثة، هل هؤلاء تحكمون بكفرهم؟؟

هل الذين يتولّون الله ورسوله والذين آمنوا، ويهوون هوى عترة النبي

ويوالونهم، كما عرّفهم ابن منظور في لسان العرب في مادة شيعة، فهل تقولون أنتم بأنهم غير مسلمين؟؟

هل هؤلاء الشيعة الذين يقيمون الصلاة كأفضل قيام، ويؤتون الزكاة ويزيدون عليها خمس أموالهم طاعة لله ولرسوله ويصومون رمضان وغيره من الأيام ويحجون البيت ويعظمون شعائر الله ويحترمون أولياء الله ويتبرؤون من أعداء الله وأعداء الإسلام، هل هؤلاء عندكم مشركون؟؟

هل الذين يقولون بإمامة اثني عشر إماماً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وقد نصّ عليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، كما أخرج ذلك البخاري ومسلم وغيرهما من صحاح أهل السنة، هل هؤلاء عندكم مارقين عن الإسلام؟؟

هل كان المسلمون يوماً يجهلون الإمامة ولا يقرّون بها سواء كان ذلك في حياة الرسول أو بعد وفاته حتى نلصق نظرية الإمامة ومبادئها بالفرس والمجوس؟

وهل تقولون فعلاً بكفر من لا يعترف بإمامة يزيد بن معاوية الذي عرف فسقه الخاص والعام من المسلمين، ويكفي يزيد خسّة وسقوطاً ما أجمع عليه المسلمون من إباحته المدينة المنورة لجيشه وجنده يفعلون فيها ما يشاؤون لأخذ البيعة له بالقهر على أنهم له عبيد، فقتلوا عشرة آلاف من خيرة الصحابة والتابعين وهتكوا فيها أعراض المحصنات من النساء والفتيات المسلمات حتى ولدن من سفاح ما لا يحصي عدده إلا الله. ويكفيه عاراً وشناراً وخزياً مدى الدهر قتله سيد شباب أهل الجنة وسبيه بنات الرسول، وضربه ثنايا الحسين بقضيبه وتمثله بالأبيات المعروفة:

ليت أشياخي ببدر شهدوا إلى قوله لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحي نزل".

وهو صريح بأنه لا يؤمن بنبوة محمد ولا بالقرآن الكريم، فهل حقاً

توافقون على تكفير من تبرأ من يزيد وأبيه معاوية الذي كان يلعن علياً ويأمر بلعنه بل ويقتلُ كلّ من امتنع عن ذلك من خيرة الصحابة كما فعل مع حجر بن عدي الكندي وأصحابه، وسنها سنة متبعة دامت سبعون عاماً، وهو يعلم قول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم "من سبّ علياً فقد سبني ومن سبني فقد سبّ الله". كما أخرج ذلك صحاح أهل السنة. إضافة إلى ما قام به من أعمال تتنافى مع الإسلام، وقتله الأبرياء والصلحاء من أجل أخذ

البيعة لابنه يزيد بالقهر والقوة، وقتله الحسين بن علي عن طريق جعدة بنت الأشعث، إلى جرائم أخرى كثيرة يذكرها له التاريخ عند أهل السنة كما يشهد له بها شيعة علي.

فما أظنكم سيدي توافقون على كل ذلك، وإلا فعلى الإسلام السّلام، وعلى الدنيا العفا. وعندها لا يبقى بعد ذلك مقاييس ولا عقل ولا شرع ولا منطق ولا دليل.

والله سبحانه وتعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا وكونوا مع الصادقين) . ولقد صدق والله عالم الباكستان المغفور له أبو الأعلى المودودي رحمه الله عندما ذكر في كتابه المسمى بـ"الخلافة والملك" في صفحة 106 نقلاً عن الحسن البصري قوله:

أربع خصال كنّ في معاوية لو لم تكن له إلا واحدة لكانت موبقة له:

1 ـ أخذه الأمر من غير مشورة المسلمين وفيهم بقايا الصحابة ونور الفضيلة.

2 ـ استخلافه بعده ابنه السكير الخمير الذي يلبس الحرير ويضرب الطنابير.

3 ـ إدعاؤه زياداً وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم "الولد للفراش وللعاهر الحجر".

4 ـ قتله حجراً وأصحاب حجر فيا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر (أعادها ثلاثاً).

فرحم الله أبا الأعلى المودودي الذي صدع بالحقّ ولو شاء لزاد فوق هذه الخصال الأربع أربعين ولكنه رحمه الله رأى أن في ذلك كفاية لتكون موبقة لمعاوية، والمعروف أن كلمة موبقة معناه (توبق في النار).

ولعلّ المودودي كان يراعي عواطف الناس الذين تعلّموا من أسلافهم تقديس معاوية واحترامه والترضّي عليه بل وحتى على ابنه يزيد أيضاً كما سمعت ذلك بنفسي من علمائكم في الهند فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولكل ذلك راعيت أنا أيضاً عواطف أولئك الذين دعوني ليستفرّوني، فلم أذكر لهم شيئاً من ذلك خوفاً على نفسي.

فأنا أهيب بكم سيدي أن تقفوا وقفة صريحة تبغون بها وجه الله تعالى فإن الله لا يستحي من الحقّ ولا أطلب منكم الاعتراف بمساوىء هؤلاء ولا بنشر فضائحهم فالتاريخ كفانا وإياكم مؤونة ذلك.

ولكن المطلوب منكم أن تعترفوا وتعلّموا أتباعكم بأن الذين لا يعترفون بإمامة هؤلاء ولا يوالونهم، هم مسلمون حقيقيون جديرون بالاحترام وليس في ذلك شكّ. أن تقولوا بأن الشيعة مظلومون على مرّ التاريخ لأنّهم لم يتبعوا ولم يعترفوا بإمامة الشجرة الملعونة التي ضربها الله مثلاً في القرآن.

فما هو ذنب الشيعة بربّكم، إذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يأمر المسلمين باتباع أهل بيته من بعده حتى جعلهم كسفينة نوح ينجو من يركب فيها ويهلك من يتخلّف عنها. وما ذنب الشيعة إذا امتثلوا لأمر الرسول بقوله "تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً" كما تشهد بذلك صحاح الستة فضلاً عن كتب الشيعة.

وبدلاً من شكرهم وتقديمهم وتفضيلهم على غيرهم لامتثالهم أوامر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم، نشتمهم ونكفّرهم ونتبرّأ منهم، فما هذا بإنصاف ولا هو معقول.

دعونا سيدي من أقوال التخريف والتزييف التي لم تعد تقوم على دليل وبرهان ولم تعد تنطلي على المثقفين من أبناء أمتنا، من أن الشيعة لهم قرآن خاص بهم، أو أنهم يقولون بأن صاحب الرسالة هو علي، أو أن عبد الله بن سبأ اليهودي هو مؤسس التشيع، إلى غير ذلك من الأقوال السخيفة المغرضة التي يشهد الله أنها من خيال أعداء الإسلام وأعداء أهل البيت وشيعتهم، والتي ما أوجدها إلا التعصّب الأعمى والجهل المقيت.

وأنا أسأل سيدي العزيز أين علماء الهند من علماء الأزهر الشريف الذين أفتوا بجواز التعبّد بمذهب الشيعة الإمامية منذ ثلاثين عاماً، ومن علماء الأزهر الأعلام من يرى بأن الفقه الجعفري الذي تعمل به الشيعة هو أشمل وأثرى وأقرب إلى روح الإسلام من المذاهب الإسلامية الأخرى التي هي عيالٌ عليه. وعلى رأس هؤلاء فضيلة الشيخ محمود شلتوت رحمه الله الذي ترأس الأزهر في حياته فهل أمثال هؤلاء العلماء لا يعرفون الإسلام والمسلمين؟ أم أن علماء الهند أعلم منهم وأعرف؟ فما أظنكم تقولون بذلك...!!

سيدي الكريم أملي فيكم وطيد وقلبي إليكم مفتوح بالمحبّة والشفقة والحنان. وقد كنت في ما مضى مثلكم محجوب عن الحقيقة وعن أهل البيت وشيعتهم، فهداني الله سبحانه إلى الحقّ الذي ليس بعده إلاّ الضّلال. وتحررت من قيود التعصب والتقليد الأعمى، وعرفت بأنّ أغلب المسلمين لا زالت تحجبهم الإشاعات والأباطيل وتصدّهم الدعايات عن الوصول إلى الحقيقة ليركبوا جميعاً في سفينة النجاة ويعتصموا بحبل الله المتين فليس هناك كما تعلمون بين السنة والشيعة فرقٌ إلا فيما اختلفوا فيه بعد الرسول من أجل الخلافة، وأساس الفرقة هو اعتقادهم في الصحابة،

والصحابة رضي الله عنهم اختلفوا فيما بينهم حتى لعنوا بعضهم بل وحاربوا وقتل بعضهم بعضاً.

فإن يكن الإختلاف فيهم خروجاً عن الإسلام فالصحابة هم أولى بهذه التهمة والعياذ بالله. ولا أعتقد بأنكم ترضون بذلك والإنصاف يدعوكم أن لا ترضوا بإخراج الشيعة عن الإسلام وكما دأب الشيعة على تقديس أهل البيت واحترامهم كذلك دأب السنة على احترام الصحابة وتقديسهم أجمعين وشتان بين الموقفين، فإذا كان الشيعة في ذلك مخطئين فأهل السنة أولى بالخطأ، لأن الصحابة بأجمعهم يُقدّمون على أنفسهم أهل البيت ويصلّون عليهم كصلاتهم على النبي ولم نعرف أحدً من الصحابة رضوان الله عليهم قدّم نفسه أو فضّلها على أهل بيت المصطفى في علم أو في عمل.

فالوقت قد حان لرفع المظلمة التاريخية عن شيعة أهل البيت والتقارب معهم والتآخي والتعاون على البرّ والتقوى ـ ويكفي هذه الأمة إراقة الدّماء وإثارة الفتن.

فعسى الله سبحانه يجمع بكم الكلمة ويلم بكم الشتات ويرتق بكم الفتق ويداوي بكم هذه الجراح ويخمدَ بكم نار الفتنة ويخزي بكم الشيطان وحزبه فتكونون عند الله من الفائزين خصوصاً وأنكم من سلالة العترة الطاهرة على ما أسمع، فاعملوا على أن تحشروا معهم (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربّكم فاعبدون) . (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وفقكم الله وإيانا لما فيه خير البلاد والعباد وجعلكم الله وإيانا من العاملين المخلصين لوجهه الكريم.

أبعث لسيادتكم وبصحبة هذه الرسالة نسخة من كتاب "ثم اهتديت" الذي ألفته بخصوص هذا الموضوع هدية مني إليكم عسى أن يجدَ لديكم القبول.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
المخلص محمد التيجاني السماوي التونسي

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون(1)

إن هذه الآية الكريمة تأمر المسلمين بالرّجوع إلى أهل الذكر في كلّ ما أشكل عليهم حتى يعرفوا وجه الصواب لأن الله رشحهم لذلك بعدما علّمهم، فهم الراسخون في العلم الذين يعلمون تأويل القرآن.

وقد نزلت هذه الآية لتعرّف بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وذلك في عهد النبوة، أما بعد النبي وحتى قيام الساعة فهم هؤلاء الخمسة المذكورين أصحاب الكساء يضاف إليهم الأئمة التسعة من ذرية الحسين الذين عينهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في عدة مناسبات وسماهم أئمة الهدى ومصابيح الدّجى وأهل الذكر، والراسخون في العلم الذين أورثهم الله سبحانه علم الكتاب.

وهذه الروايات ثابتة صحيحة ومتواترة عند الشيعة منذ عهد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد أخرجها بعض علماء أهل السنة ومفسّروهم معترفين بنزولها في أهل البيت عليهم الصّلاة والسّلام. أذكر من هؤلاء على سبيل المثال:

1 ـ الإمام الثعلبي في تفسيره الكبير في معنى هذه الآية من سورة النحل.

———————————

(1) سورة النحل آية 43. وسورة الأنبياء آية 7.

2 ـ تفسير القرآن لابن كثير في جزئه الثاني الصفحة 570.

3 ـ تفسير الطبري في جزئه الرابع عشر الصفحة 109.

4 ـ تفسير الألوسي المسمى روح المعاني في جزئه الرابع عشر الصفحة 134.

5 ـ تفسير القرطبي في جزئه الحادي عشر الصفحة 272.

6 ـ تفسير الحاكم المسمى شواهد التنزيل في جزئه الأول الصفحة 334.

7 ـ تفسير التستري المسمى إحقاق الحق في جزئه الثالث الصفحة 482.

8 ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي الصفحة 51 و140.

ولما كان أهل الذكر في ظاهر الآية هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى كان لزاماً علينا أن نوضح بأنهم ليسوا المقصودين من الآية الكريمة.

أولاً: لأن القرآن الكريم ذكر في العديد من الآيات بأنهم حرفوا كلام الله وكتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً وشهد بكذبهم وتقليبهم الحقائق فلا يمكن والحال هذه أن يأمر المسلمين بأن يرجعوا إليهم في المسائل التي لا يعلمونها.

ثانياً: روى البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات باب لا يسأل أهل الشرك من الجزء الثالث صفحة 163.

عن أبي هريرة: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تصدّقوا أهلَ الكتاب ولا تكذّبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل"... الآية.

وهو يفيد عدم الرجوع إليهم في المسألة وتركهم وإهمالهم، لأن عدم

التصديق وعدم التكذيب ينفيان الغرض وهو السؤال الذي ينتظر الجواب الصحيح.

ثالثاً: روى البخاري في صحيحه من كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: (كل يوم هو في شأن) من جزئه الثامن صفحة 208.

عن ابن عباس قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم أحدث الأخبار بالله محضاً لم يُشبْ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدّلوا من كتب الله وغيروا فكتبوا بأيديهم قالوا هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً أو لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم. فلا والله ما رأينا رجُلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم.

رابعاً: لو سألنا أهل الكتاب من النصارى اليوم فإنهم يدّعون بأن عيسى هو إله واليهود يكذّبونهم ولا يعترفون به حتى نبياً. وكلاهما يكذّب بالإسلام ونبيّ الإسلام ويقولون عنه كذّاب ودجّال ـ لكل هذا لا يمكنُ أن يفهم من الآية بأن الله أمرنا بمسألتهم ولما كان أهل الذكر في ظاهر الآية هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى. فإن هذا لا ينفي أنّها نازلة في أهل بيت النبوة كما ثبت عند الشيعة والسنة من طرق صحيحة وبذلك يفهم منها أن الله سبحانه وتعالى أورث علم الكتاب الذي ما فرط فيه من شيء إلى هؤلاء الأئمة الذين اصطفاهم من عباده ليرجع إليهم الناس في التفسير والتأويل وبذلك تضمن هدايتهم ـ إذا ما أطاعوا الله ورسوله.

ولأن الله سبحانه وجلّت حكمته أراد أن يُخضِع الناس عامة إلى نخبةٍ منهم اصطفاهم وعلّمهم على الكتاب لكي تسهل القيادة وتنتظم أحوال الناس بذلك، فلو غاب هؤلاء عن حياة الناس لأصبح المجال مفتوحاً أمام المدَّعين والجاهلين ولَرَكِبَ كلّ واحد هواه واضطربت أمور الناس ما دام كل واحد يمكنه ادّعاء الأعلمية.

ولأُبَرهِنَ على الرأي بعد اقتناعي بأن أهل البيت هم أهل الذكر ـ فسأورِدُ بعض الأسئلة التي ليس لها جواب عند أهل السنة والجماعة، أو أن لها جواباً ولكن متكلّف لا يستند إلى حجّة يقبلها الباحث المحقق. أما جوابُها الحقيقي فهو عند هؤلاء الأئمة الأطهار الذين ملأوا الدنيا علماً ومعرفةً، وعملاً وصلاحاً.

الفصل الأول

فيما يتعلّق بالخَالِق جلّ جلاله

السّؤال الأوّل: حول رؤية الله سبحانه وتجسيمه:

يقول الله سبحانه في كتابه العزيز: (لا تدركه الأبصار) [الأنعام: 103]. (وليس كمثله شيء) [الشورى: 11] ويقو لموسى لمّا طلب رؤيته، (لن تراني) [الأعراف: 143].

فكيف تقبلُون بالأحاديث المرويّة في صحيح البخاري وصحيح مسلم بأنّ الله سبحانه يتجلّى لخلقه ويَروْنَه كما يرون القمر ليلة البدر(1) ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا في كلّ ليلة(2) ويضع قدمه في النار فتمتلىء(3) وأنّه يكشف عن ساقه لكي يعرفهُ المؤمنون(4) وأنه يضحك ويتعجّب. وإلى غير ذلك من الرّوايات التي تجعل من الله جسماً متحركاً ومتحولاً، له يدان ورجلان وله أصابع خمسة يضع على الأول منها السماوات وعلى الإصبع الثاني الأرضين، والشجر على الإصبع الثالث وعلى الرابع يضع الماء

_____

(1) صحيح البخاري: 7/205. صحيح مسلم: 1/112.

(2) صحيح البخاري: 2/47.

(3) صحيح البخاري: 8/178 و187.

(4) صحيح البخاري: 8/182. صحيح مسلم: 1/115.

والثرى ويضع بقية الخلائق على الإصبع الخامس(1) وله دار يسكُن فيها ومحمدٌ يستأذن للدخول عليه في داره ثلاث مرات(2) . تعالى الله عن ذلك عُلوّاً كبيراً ـ سبحان ربّك ربّ العزة عمّا يصفون.

والجواب على هذا عند أئمة الهُدى ومصابيح الدّجى هو التنزيه الكامل لله سبحانه وتعالى عن المجانسة والمشاكلة والتصوير والتجسيم والتشبيه والتحديد.

يقول الإمام علي عليه السلام في ذلك:

«الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يُحصي نعماءهُ العادّون، ولا يؤدّي حقّه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا ينالُه غوصُ الفطن، الذي ليس

لصفته حدّ محدود ولا نعت موجود ولا وقتٌ معدود ولا أجل ممدُودٌ...

فمن وصف الله سبحانه فقد قرنَهُ، ومن قرنَهُ فقدْ ثنّاهُ ومن ثنَّاهُ فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهلُه، ومن جهلَهُ فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حَدَّهُ، ومن حدّهُ فقد عَدَّهُ، ومن قال فِيمَ فقدْ ضمَّنه، ومن قال علامَ فقد أخلَى منه كائنٌ لاَ عن حَدَثٍ، موجودٌ لا عن عَدَمٍ، مع كل شيء لا بمُقارنةٍ وغيرٌ كل شيءٍ لا بمزايلةٍ، فاعِلٌ لا بمعنى الحركات والآلةِ بصيرٌ إذْ لا منظور إليه من خلقِهِ(3) .

وإنّي ألفِتُ نظر الباحثين من الشباب المثقفين إلى الكنوز التي تركها الإمام علي عليه السلام والتي جُمعتْ في نهج البلاغة ذلك السفر القيّم الذي لا يتقدّمه إلاّ القرآن والذي بقي مع الأسف مجهولاً لدى أغلبية النّاس نتيجة الإعلام والإرهاب والحصار المضروب من قبل الأمويين والعبّاسيين

---

(1) صحيح البخاري: 6/33.

(2) صحيح البخاري: 8/183. صحيح مسلم: 1/124.

(3) نهج البلاغة للإمام علي: شرح محمد عبده ج1 الخطبة الاولى.

على كل ما يتّصل بعلي بن أبي طالب.

ولستُ مبالغاً إذا قلتُ بأن في نهج البلاغة كثيراً من العلوم والنصائح التي يحتاجها النّاس على مرّ العصور، وفي نهج البلاغة علم الأخلاق وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وإشارات قيمة في علم الفضاء والتكنولوجيا إضافة إلى الفلسفة والسّلوك والسياسة والحكمة.

وقد اثبتُ ذلك شخصياً في الأطروحة التي قدمتها إلى جامعة السربون والتي نُوقِشتُ على مواضيع أربعة اخترتها من نهج البلاغة وحصلتُ من خلالها على شهادة الدكتوراه. فيا ليتَ المسلمين يولون نهج البلاغة عناية خاصّة فيبحثون فيه كلّ الأطروحات وكل النّظريات فهو بحر عميق كلّما غاص فيه الباحث استخرج منه اللؤلؤ والمرجان. تعليق:

هناك فرق واضح بين العقيدتين:

عقيدة أهل السنة والجماعة التي تقول بالتجسيم وتجعل من الله سبحانه وتعالى جسماً وشكلاً يُرى وتصوره وكأنّه إنسان فهو يمشي وينزل ويحوي جسمه دارٌ إلى غير ذلك من الأشياء المنكرة، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وعقيدة الشيعة الذين ينزّهون الله عن المشاكلة والمجانسة والتجسيم ويقولون باستحالة رؤيته في الدنيا وفي الآخرة وأعتقد شخصيّاً بأنّ الروايات التي يحتج بها أهل السنة والجماعة كلها من دسّ اليهود في زمن الصحابة لأن كعب الأحبار اليهودي الذي أسلم في عهد عمر بن الخطّاب هو الذي أدخل هذه المعتقدات التي يقول بها اليهود، عن طريق بعض البسطاء من الصحابة أمثال أبي هريرة ووهب بن منبّه فأغلب هذه الروايات مروية في البخاري ومسلم عن أبي هريرة وقد تقدم في بحث سابق كيف أنّ أبا هريرة

لا يفرق بين أحاديث النّبي وأحاديث كعب الأحبار حتّى ضربه عمر بن الخطاب ومنعه من الرواية في قضية خلق الله السماوات والأرض في سبعة أيام.

وما دام أهل السنة والجماعة يثقون في البخاري ومسلم ويجعلون منهما أصحّ الكتب وما دام هؤلاء يعتمدون على أبي هريرة حتى أصبح عمدة المحدّثين وأصبح

عند أهل السنة راوية الإسلام فلا يمكن والحال هذه أن يغيّر أهل السنّة والجماعة عقيدتهم إلاّ إذا حرّروا من التقليد الأعمى. ورجعوا إلى أئمة الهدى وعترة المصطفى وباب مدينة العلم الذي منه يُؤتى.

وهذه الدعوى لا تختصّ بالكبار والشيوخ ولكن الشباب المثقف من أهل السنّة والجماعة كذلك ومن واجبه أن يتحرّر من التقليد الأعمى ويتّبع الحجة والدليل والبرهان. السؤال الثاني: حول العدل الإلهي والجبر

يقول الله سبحانه في كتابه العزيز: (وقل الحقّ من ربّكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) [الكهف: 23]. (لا إكراه في الدّين قد تبيّن الرشد من الغي) [البقرة: 256]. (فمن يعملْ مثقال ذرة خيراً يَرَهُ ومنْ يعمل مثقال ذرة شراً يره) [الزلزلة: 8]. (إنما أنت مذكّر لست عليهم بمصُيطر) [الغاشية: 22]. فكيف تقبلون بالأحاديث المروية في صحيح البخاري وصحيح مسلم بأنّ الله سبحانه قدّر على عباده أفعالهم قبل أن يخلقهم فقد روى البخاري في صحيحه(1) قال: أحتجَّ آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونَا خيّبتنا وأخرجتنا من الجنَّة. قال له آدمُ: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخطّ لك بيده أتلومني على أمرٍ قدّرَهُ الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنةٍ فحجَّ آدمُ موسى ثلاثاً...

---

(1) صحيح البخاري: 7/214 كتاب القدر باب حاج آدم وموسى. صحيح مسلم: 8/49.

كما روى مسلم في صحيحه(1) قال: إنّ أحدكم يُجمَعُ خَلْقُهُ في بطن أمّهِ أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقةً مثل ذلك ثم يكون في ذلك مُضغة مثل ذلك ثم يُرسل الملكُ فينفُخُ فيه الرّوح ويُؤْمَرُ بأربع كلماتٍ بِكَتْبِ رِزقِهِ وأجلهِ وعَملِهِ وشقيٌ أو سَعِيدٌ فوالذي لا إله غيرهُ إنّ أحدكم ليعملُ بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينُه وبينها إلاّ ذراع فيسبقُ عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وأن أحكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعملُ بعمل أهل الجنة فيدخلُها.

كما روى مسلم في صحيحه(2) عن عائشة أمّ المؤمنين قالت: دُعي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى جنازة صبيٍّ من الأنصار فقلتُ يا رسول الله طوبى لهذا عصفورٌ من عصافير الجنّة لَمْ يعمل السّوء ولم يدركْهُ. قال: أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنّة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنّارِ أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم.

وروى البخاري في صحيحه(3) قال رجلٌ: يا رسول الله أيُعرفُ أهل الجنة من أهل النّار؟ قال: نعم. قال: فلم يعمَلُ العاملون؟ قال: كلٌّ يعملُ لما خُلقَ له أو لما يُسيَّر لَهُ.

سبحانك ربّنا وبحمدك تباركت وتعاليتَ عن هذا الظلم علوّاً كبيراً ـ فكيف نصدّق بهذه الأحاديث المناقضة لكتابك العزيز الذي قُلت فيه وقولك الحقّ:

(إن الله لا يظلم النّاس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون) [يونس: 44]. (إن الله لا يظلم مثقال ذرّة) [النساء: 40] (ولا يظلم ربّك أحداً) [الكهف: 49]. (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) [آل عمران: 117].

---

(1) صحيح مسلم: 8/44 كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه. صحيح البخاري: 7/210.

(2) صحيح مسلم: 8/55 كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة.

(3) صحيح البخاري: 7/210 كتاب القدر باب جفّ القلم على علم الله.

(فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) [التوبة: 70 ـ العنكبوت: 40 ـ الروم: 9] (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) [الزخرف: 76]. (ذلك بما قدّمت أيديكم وأنّ الله ليس بظلاّم للعبيد) [الأنفال: 51] (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربّك بظلام للعبيد) [فصلت: 46]. وكما قال في حديث قدسي «يا عبادي إني حرّمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا» فكيف يصدق مسلم آمن بالله وبعدالته ورحمته أنّ الله سبحانه خلق الخلق وحكم على بعضهم بالجنة وعلى الآخرين بالنار حسب اختياره هو. وقدّر لهم أعمالهم فكلّ ميسّرٌ لما خُلِقَ له. على حسب هذه الروايات المعارضة للقرآن الكريم. وللفطرة التي فطر الله الناس عليها. وللعقل والوجدان ولأبسط حقوق الإنسان؟

كيف نؤمن بهذا الدّين يحجّر العقول على أنّ هذا الإنسان هو دمية تُحرّكُها أَيْدي القدر كيف شاءت لتُلقي بها بعد ذلك في التنّور ـ هذا الاعتقاد الذي يمنع العقول من الخلق والابتكار والإبداع والتطوّر والمنافسة التي تأتي بالأعاجيب ويبقى الإنسان جامداً راضٍ بما هو فيه وبما عنده بدعوى أنه ميسّر لما خُلقَ لَهُ.

كيف نقبلُ هذه الرّوايات التي تصادمُ العقول السليمة وتصور لنا بأن الله سبحانه هو خالقُ جبّارٌ قويٌّ قاهرٌ وله أن يخلق عباده الضعفاء ليزجَّ بهم في نار جهنم لا لشيء إلاّ لأنّه يفعل ما يشاء. وهل يسمّي العقلاء هذا الإله حكيماً أو رحيماً أو عادلاً؟

كيف لو تَحدّثنا مع المثقّفين والعلماء من غير المسلمين وعَرفُوا بأنّ رَبّنا على هذه الصّفات وأنَّ دِينّنَا قد حكم على النّاس قبل ولاداتهم بالشقاء. فهل سيقبلون الإسلام ويدخلون في دين الله أفواجاً؟؟

سبحانك إنّ هذا زورٌ من القول ركّزَهُ الأمويّون وروّجوا له لحاجة في نفس يعقوب. والباحث يعرف سرّ ذلك. وهو زورٌ من القول لأنه يعارض

كلامك. وحاش رسولك أنّ يتقوّل عليك بما يُناقضُ وَحْيُك الذي أوحيتَ إليه. وقد ثبت أنَّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إذا جاءكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافق الكتاب فخذوه وما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار».

وكل هذه الأحاديث وأمثالها كثيرة تعارض كتاب الله وتعارض العقل فليضرب بها عرض الجدار ولا يُلتفتُ إليها وإن كان أخرجها البخاري ومسلم فما كان معصوميُن عن الخطأ. ويكفينا دليلاً واحداً للردّ على هذا الأدّعاء الباطل. هو بعثة الأنبياء والمرسلين من قبل الله إلى خلقه. وعلى طول التاريخ البشري ليُصلحوا مفاسد العباد ويوضّحوا لهم الصراط المستقيم ويعلّموهم الكتاب والحكمة ويبشّروهم بالجنّة إن كانوا صالحين وينذروهم من عذاب الله في النّار إن كانوا مُفسدين.

ومن عدالة الله سبحانه في خلقه ورحمته بهم أنّه لا يعذّب إلا من بعث إليه رسولاً وأقام عليه الحجّة قال تعالى: (من اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنما يضلُّ عليها ولا تَزِر وازرة وزر أخرى وما كُنّا مُعذّبين حتّى نبعث رسولاً) [الإسراء: 15].

فإذا كانت هذه الروايات التي أخرجها البخاري ومسلم والتي تقول بان الله كتب على عباده أعمالهم قبل أن يخلُقهم وحكم على البعض منهم الجنّة وعلى البعض بالنّار. كما قدّمنا سابقاً وكما يؤمنُ بذلك أهل السنّة والجماعة. أقول إن كان هذا صحيح. فإن إرسال الرّسل وإنزال الكتب يصبح ضرباً من العبث! ـ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ـ وما قدروا الله حق قدره ـ فما يكون لنا أن نتكلّم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم.

(تلك آيات الله نتلوها عليك بالحقّ وما الله يريد ظلماً للعالمين) [آل عمران: 108]. والجواب على هذا عند أئمة الهدى ومصابيح الدّجى ومنار الأمّة. هو تنزيه الله سبحانه عن الظلم والعبث.

فلنستمع إلى باب مدينة العلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يشرح للنّاس هذا الاعتقاد الذي بقي لغزاً عند بعض المسلمين الذين تركوا الباب يقول عليه السلام (لمّا سأله أحد أصحابه: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدره؟):

«ويحك لعلّلك ظنَنْتَ قضاءً لازماً وقدراً حاتماً، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد. إنّ الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهُم تحذيراً، وكلّف يسيراً ولم يكلّف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يُرسل الأنبياء لعباً، ولم يُنزل الكُتبَ للعباد عَبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، «ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار»(1) . صدق الإمام عليه السلام فويلٌ للذين يُنسبون العبث والظلم لله من عذاب أليم.

والجدير بالذكر والحقُّ يقال بأنّ أهل السنّة والجماعة ينزّهون الله عن العبثِ والظلم فإذا ما سألت أحدهم فسوف لن يُنسب الظلم لجلال الله سبحانه، ولكنّه سوف يجد نفسه متحرّجاً لرفض أحاديث أخرجها البخاري ومسلم ويعتقد ضمنيّاً أنّها صحيحة، ولذلك تراه عندما تجادله بالمنطق المعقول، يدّعي بأنّ ذلك لا يُسمّى ظلماً عند الله إذ أنّه الخالق، وللخالق أن يفعل في مخلوقاته ما يشاء! فهو لا يسأل عمّا يفعل وهم يُسألون وعندما تسأله: كيف يحكم الله على عبدٍ بالنار قبل خلقه لأنّه كتب عليه الشقاء، ويحكم على آخر بالجنّة قبل خلقه لأنه كتب عليه السعادة؟ أليس في ذلك ظلم للأثنين؟ لأن الّذي يدخل الجنّة لا يدخلها بعمله وإنّما باختيار الله له، وكذلك الّذي يدخل النار لا يدخلها بما اقترفه من ذنوبه وإنّما بما قدّره الله عليه. أليس في ذلك ظلم، وهو يناقض القرآن؟ فسيجيبك «بأن الله فعّالٌ لما يريد». فلا تفهم من موقفه المتناقض شيئاً، وهذا بديهي إذا أنه يُنزل

_____

(1) نهج البلاغة شرح محمد عبده: 673 ـ 674 من الجزء الرابع.

البخاري ومسلم بمنزلة القرآن ويقول أصحّ الكتب بعد كتاب الله البخاري ومسلم. وفي البخاري ومسلم عجائب وغرائبٌ ومصائبٌ ابتُلي بها المسلمون وقد نجح الأمويون ومن بعدهم العبّاسيون نجاحاً كبيراً في بثّ بدعهم وعقائدهم التي تتماشى وسياستهم العقيمة وبقيتْ آثارهم حتى اليوم إذ يعتبرها المسلمون أعزّ وأعظم تراث لأنّه جمع الأحاديث النبويّة الصحيحة على حدّ زعمهم ولو يعلم المسلمون مقدار ما كذّبوا على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من أجل أغراضهم السّياسية لما صدّقوا بتلك الأحاديث وخصوصاً منها المتناقض مع كتاب الله.

ولأن القرآن الكريم تكفّل الله بحفظه ولأنّه كان محفوظاً عند الصحابة وكانوا يعرضونه على النّبي لذلك لم يتمكّنوا من تحريفه وتبديله فعمدوا إلى السنّة المطهّرة فوضعوا ما شاؤوا لمن شاؤوا، وبما أنّهم كانوا أعداءاً لأهل البيت حفظة القرآن والسنّة، اختلفوا لكل حادثة حديث نسبوه للنّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. وموّهوا على المسلمين بأن هذه الأحاديث هي أصحّ من غيرها فقبلها النّاس على حسن نيّة وهم يتداولونها بالوراثة جيلاً بعد جيل. وللإنصاف أقول بأنّ الشيعة هم الآخرون ضحية الدس والتمويه في كثير من الأحاديث التي تُنسب للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أو لأحد الأئمة الأطهار سلام الله عليهم. فهذا الدس والتمويه لم يسلم منه المسلمون سنة وشيعة على مرّ التاريخ ولكن الشيعة يمتازون على أهل السنّة والجماعة بثلاثة أشياء ميّزتهم على غيرهم من الفرق الإسلامية الأخرى وأبرزت عقائدهم سليمة ومتّفقة مع القرآن والسنّة والعقل، وهذه الأشياء الثلاثة هي:

أولاً: انقطاعهم لأهل البيت النّبوي فهم لا يقدّمونه عليهم أحداً وكلّنا يعلم من هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

ثانياً: عدد أئمة أهل البيت وهو اثني عشر إماماً امتدتْ حياتهم

وآثارهم طوال ثلاثة قرون. وقد وافق بعضهم بعضاً في كل الأحكام والأحاديث ولم يختلفوا في شيء ممّا جعل شيعتهم وأتباعهم متعلّمين في كل مجالات العلم والمعرفة بوضوح وبدون تناقض في العقائد أو في غيرها.

ثالثا: اعترافهم وإقرارهم بأنّ ما لديهم من الكتب يحتملُ الخطأ والصّواب وليس عندهم كتاب صحيح إلا كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ويكفيك أن تعرف مثلاً أن أعظم كتاب عندهم وهو «أصول الكافي» يقولون بأنّ فيه آلاف الأحاديث المكذوبة. ولذلك تجد علماءهم ومجتهديهم دائبين على البحث والتنقيب فلا يأخذون منه إلا الثّابت بالمتن والسند وما لا يتعارض مع القرآن والعقل.

أمّا أهل السنة والجماعة فقد ألزموا أنفسهم بكتب سمّوها الصحّاح الستّة باعتبار أن كل ما فيها صحيح وأغلبهم يتناقلون هذا الرأي بالوراثة بدون بحث ولا تمحيص. وإلا فإنّ كثيراً من الأحاديث التي رُويتْ في هذه الكتب لا تقوم على دليل علمي وفيها الكفر الصريح وبما يتناقض والقرآن وأخلاق الرسول أفعاله والحطّ من كرامته ويكفي الباحث أن يقرأ كتاب الشيخ المصري محمود أبو رية «أضواء على السنّة المحمدية» ليعرف ما هي قيمة الصحاح الستّة والحمد لله أنّ كثيراً من الشباب الباحث اليوم تحرّر من تلك القيود وأصبح يُفرّق بين الغث والسمين. بل حتّى الشيوخ المتعصّبين للصحّاح أصبح الكثير منهم اليوم يُنكرها لا لأنّه ثبت لديه ضعف بعض الأحاديث فيها ولكن لأنّه وجد فيها حجّة الشيعة التي يقولون بها سواء في الأحكام الفقهية أو في العقائد الغيبيّة. فما من حُكم أو عقيدة يقول بها الشيعة إلاّ ولها وجودٌ فعلي في أحد الصحاح الستّ لدى أهل السنة والجماعة.

وبالمقابل قال لي بعض المتعصّبين ما دُمتم تعتقدون بأنّ أحاديث

البخاري ليست صحيحة فلماذا تحتجّون بها علينا؟ أجبت: ليس كل ما في البخاري صحيح وليس كل ما فيه مكذوب فالحقّ حقّ والباطل باطل وعلينا أن نُغربل ونصقي.

قال: هل عندك مِجْهرٌ خاصّ تعرف به الصحيح من المكذوب؟ قلت: ليس عندي أكثر مما عندك، ولكن ما اتّفق عليه السنة والشيعة فهو صحيح لأنه ثبتت صحّته عند الطرفين وتُلزمهم به كما ألزموا أنفسهم. وما اختلفوا فيه حتى لو كان صحيحاً عند أحدهم فلا يُلزم الطرف الثاني بقبوله، كما لا يلزم الباحث الحيادي قبوله والاحتجاج به لأنه دوريّ.

وأضرب لذلك مثلاً واحداً حتى لا يبقى هناك إشكال في هذا الموضوع وحتى لا يعاد نفس الانتقاد بأساليب متعدّدة.

* يدّعي الشيعة بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نصّب علياً خليفة للمسلمين في غدير خم يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة بعد حجّة الوداع وقال بالمناسبة:

"من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه". فهذه الحادثة وهذا الحديث نقله كثير من علماء أهل السنة والجماعة في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم. فيمكن للشيعة عندئذ أن يحتجّوا به على أهل السنة والجماعة.

* ويدّعي أهل السنة والجماعة بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عيّن أبا بكر ليصلّي بالناس في مرض موته وقال بالمناسبة: "ويأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر".

فهذه الحادثة وهذا الحديث لا وجود له في كتب الشيعة وإنما يروون بأن رسول الله بعث إلى عليّ، فبعثت عائشة إلى أبيها ولما عرف رسول الله ذلك قال لعائشة: "إنكنّ لصويحبات يوسف" وخرج هو ليصلّي بالناس وزحزح أبا بكر.

فلا يمكن وليس من الإنصاف أن يحتج أهل السنة والجماعة على الشيعة بما انفردوا هم به وخصوصاً إذا كانت الروايات متناقضة ويكذّبها الواقع والتاريخ ـ لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عيّن أبا بكر ليكون ضمن جيش أسامة وتحت إمرته وقيادته ومن المعلوم أن أمير الجيش في السّرية هو إمام الصّلاة، وقد ثبت تاريخياً بأن أبا بكر لم يكن موجوداً في المدينة عند وفاة الرّسول وكان بالسّنح يتجهز للخروج مع أميره وقائده أسامة بن زيد الذي لم يبلغ من العمر إلاّ سبعة عشر عاماً ـ فكيف والحال هذه يمكن لنا أن نصدّق بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عينه لإمامة الصّلاة؟ اللّهم إلاّ إذا صدّقنا بقول عمر بن الخطاب بأنّ رسول الله يهجر ولا يدر ما يفعل ولا ما يقول، وهذا أمرٌ لا سبيل إليه فهو مستحيلٌ ولا يقول به الشيعة.

فعلى الباحث هنا أن يتقي الله في بحثه ولا تأخذه العاطفة فيميل عن الحق ويتبع الهوى فيضلّ عن سبيل الله، إنما واجبُه أن يخضع للحق ولو كان الحقّ مع غيره، ويحرّر نفسه من الرّواسب والعواطف والأنانية فيكون من الذين امتدحهم الله عزّ وجلّ في قوله: (فبشّر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب) [الزمر: 18].

فليس من المعقول إذاً أن يقول اليهود إنّ الحقّ عندنا ويقول النصارى إن الحقّ عندنا ويقول المسلمون إن الحق عندنا وهم مختلفون في العقائد والأحكام!

فلا بدّ للباحث أن يمحّص أقوال الديانات الثلاثة ويقارن بعضها ببعض حتى يتبيّن له الحق.

وليس من المعقول أيضاً أن يقول أهل السنة بأنّ الحقّ معهم ويقول الشيعة بل الحقّ عندهم وحدهم وهم يختلفون في بعض المفاهيم والأحكام! فالحقّ واحدٌ لا يتجزأ.

فلا بد للباحث أن يتجرّد ويمحّص أيضاً أقوال الطّرفين ويقارن بعضها ببعض ويحكّم عقلَهُ حتى يتبيّن له الحقّ، وذلك هو نداء الله سبحانه لكل فرقة تدّعي الحق؛ إذ يقول: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) [البقرة: 111].

فليست الأكثرية بدالة على الحقّ: بل العكس هو الصّحيح قال تعالى: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله) [الأنعام: 116]. وقال أيضاً: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) [يوسف: 103]. مثلما أن المتقدّم الحضاري والتكنولوجي والثراء ليس دليلاً على أن الغرب على حقّ والشرق على باطل قال تعالى: (فلا تعجِبْك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريد الله ليعذّبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) [التوبة: 55].

قول أهل الذكر في الله تعالى

يقول الإمام علي: الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور، ودلت عليه أعلام الظهور، وامتنع على عين البصير. فلا عين من لم يره تنكره. ولا قلب من أثبته يبصره، سبق في العلو فلا شيء أعلى منه، وقربّ في الدُنو فلا شيء أقربُ منه. فلا استعلاؤه بأعده عن شيء من خلقه، ولا قربه ساواهم في المكان به. لم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود. تعالى الله عما يقول المشبّهون به والجاحدون له علواً كبيراً.

والحمد لله الذي لم يسبق له حالٌ حالا فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً. ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً. كل مسمى بالوحدة غيره قليل، وكلّ عزيز غيره ذليل. وكل قويّ غيره ضعيف، وكلّ مالك غيره مملوك، وكلّ عالم غيره متعلّم، وكل قادر غيره يقدر ويعجز، وكلّ سميع غيره يصمُّ عن لطيف الأصوات ويصمُّهُ كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها، وكل بصير

غيره يعمى عن خفيّ الألوان ولطيف الأجسام، وكل ظاهر غيره باطن، وكل باطن غيره ظاهر. لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ولا تخوفٍ من عواقب زمان، ولا استعانة على ندٍّ مشاورٍ، ولا شريك مكائرٍ ولا ضدّ منافرٍ، ولكن خلائق مربوبون وعباد داخرون. لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن. ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائنٌ. لم يؤده خلقُ ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ، ولا وقف به عجزٌ عما خلق. ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدّر. بل قضاءٌ متقنٌ وعلمٌ محكمٌ وأمرٌ مبرمٌ، المأمول مع النّقم والمرهوب مع النعم. ليس لأوليته ابتداءٌ ولا لأزليته انقضاء، هو الأول لم يزل والباقي بلا أجل. خرّت له الجباه ووحّدته الشفاه، لا تقدّره الأوهام بالحدود والحركات، ولا بالجوارح والأدوات، لا يقال له متى، ولا يضربُ له أمد بحتى الظاهر لا يقال مما، والباطن لا يقال فيما، لا شبحٌ فيتقصى ولا محجوبٌ فيحوى. تعالى الله عما ينحله المحدّدون من صفات الأقدار ونهايات الأقطار وتأثل المساكن وتمكّن الأماكن، فالحدّ لخلقه مضروبٌ وإلى غيره منسوبٌ. لم يخلق الأشياء من أصوال أزلية ولا أوائل أبدية، بل خلق ما خلق فأقام حدّه، وصور ما صور فأحسن صورته ليس لشيء منه امتناع. ولا له بطاعة شيء انتفاعٌ علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين، وعلمه بما في السماوات العُلى كعلمه بما في الأرضين السفلى.

الفصل الثاني

فيما يتعلّق بالرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم

السؤال الثاني: حول عصمة الرّسول؟

يقول الله سبحانه وتعالى في حقّ نبيّه محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم: (والله يعصمك من النّاس) [المائدة: 67]. وقال أيضاً: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) [النجم: 3]. وقال: (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) [الحشر: 7]. وتدل هذه الآيات دلالة واضحة على عصمته المطلقة في كل شيء. وتقولون بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم معصوم فقط في تبليغ القرآن وما عدا ذلك فهو كسائر البشر يُخطِئُ ويُصيب وتستدلّون على خطئه في عدة مناسبات بأحداث تروونها في صحاحكم!

فإذا كان الأمر كذلك فما هو حجّتكم وما هو دليلكم في ادّعائكم التمسّك بكتاب الله وسنّة نبيّه ما دامت هذه السنّة عندكم غير معصومة ويمكن فيها الخطأ؟

وعلى هذا الأساس فالمتمسّك بالكتاب والسنّة على حسب معتقداتكم لا يأمن من الضلالة، وخصوصاً إذا عرفنا بأن القرآن كُلّه مفسَّرٌ ومُبَيّنٌ بالسنّة النبويّة. فما هي حجّتكم في أن تفسيره وتبيانه لم يكن مخالفاً لكتاب الله تعالى؟

قال لي أحدهم معبّراً عن هذا الرأي: لقد خالف الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم في القرآن في كثير من الأحكام حسب ما تقتضيه المصلحة.

ـ قلت متعجّباً: أعطني مثلاً واحداً على مخالفته.

ـ أجاب: يقول القرآن: (الزّانية والزّاني فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة) [النور: 2]. بينما حكم الرّسول على الزاني والزانية بالرّجم وهو غير موجود في القرآن.

ـ قلت: إنّما الرّجم على المحصن إذا زنى، ذكراً كان أم أنثى والجلد على الأعزب إذا زنى ذكراً كان أم أنثى.

ـ قال: في القرآن ليس هناك أعزب أو مُحصن لأن الله لم يخصّص بل أطلق لفظ الزانية والزاني بدون تخصيص.

ـ قلت: إذاً على هذا الأساس فكلّ حكم مطلق في القرآن خصّصه الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فهو مخالفٌ للقرآن؟ فأنت تقول بأن الرّسول خالف القرآن في أكثر أحكامه؟

ـ أجاب متحرّجاً: القرآن وحده معصوم لأن الله تكفّل بحفظه أمّا الرسول فهو بشر يخطىء ويصيب كما قال القرآن في حقّه: (قل ما أنا إلا بشر مثلكم) !

ـ قلت: فلماذا تُصلّي الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء وقد أطلق القرآن لفظ الصّلاة بدون تخصيص لأوقاتها؟

ـ أجاب: القرآن فيه (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) والرّسول هو الذي بيّن أوقات الصلاة.

ـ قلت: فلماذا تصدّقه في أوقات الصلاة وتردّ عليه في حكم رجم الزاني.

وحاول جهده أن يُقنعني بفلسفات عقيمة متناقضة لا تقوم على دليل

عقلي ولا منطقي كقوله: بأنّ الصّلاة لا يمكن الشك فيها لأنّ رسول الله فعلها طيلة حياته وفي كل يوم خمس مرّات، أمّا الرّجم فلا يمكن الاطمئنان إليه لأنّه لم يفعله في حياته غير مرّة أو مرتين ـ وكقوله بأن الرّسول لا يُخطىءُ عندما يأمره الله بأمره. أما عندكم يحكم بفكره فهو ليس معصوم، ولذلك كان الصّحابة يسألونه في كل أم، هل هو من عنده أم من عند الله، فإذا قال هو من عند الله امتثلوا بدون نقاش، وإذا قال هو من عندي، عند ذلك يُناقشونه ويجادلونه وينصحونه ويتقبّل نصائحهم وآراءهم، وقد ينزل القرآن أحياناً موافقاً لآراء بعض الصّحابة ومُخالفاً لرأيه كما في قضيّة أسرى بدر، وقضايا أُخرى مشهورة.

وحاولتُ بدوري إقناعهُ ولكن بدون جدوى ـ لأنّ علماء أهل السنّة والجماعة مقتنعون بذلك وصحاحُهم مشحونةٌ بمثل هذه الروايات التي تخدش في عصمة الرسول وتجعل منه شخصاً أقل مستوى من الرّجل الذكي، أو القائد العسكري، أو حتى شيخ الطريقة عند الصوفية، ولست مبالغاً إذ قلت أقلَّ مستوى حتى من الرجل العادي، فإذا ما قرأنا بعض الرّوايات في صحاح أهل السنّة والجماعة يتبينُ لنا بوضوح إلى أي مدى وصل التأثير الأموي في عقول المسلمين، من عهدهم وبقيت آثاره حتى يوم النّاس هذا.

وإذا ما بحثنا الغرض أو الهدف من ذلك فسوف نخرج بنتيجة حتمية ومرّة ألا وهي: أنّ أولئك الّذين حكموا المسلمين في عهد الدولة الأموية وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان، لم يعتقدوا يوماً من الأيّام بأنّ محمّداً ابن عبد الله، هو مبعوث برسالة من عند الله أو هو نبيّ الله حقّاً. وأغلب الظن أنّهم كانوا يعتقدون بأنّه كان ساحراً وقد تغلّب على النّاس وشيّد ملكه على حساب المستضعفين من النّاس وبالخصوص العبيد الذين أيّدوا دعوته وناصروه. وليس هذا

مجرّد ظنّ فإنّ بعض الظنّ إثم ولكن عندما نقرأ في كتب التاريخ لنتعرف على شخصيّة معاوية وأحواله. وما فعله طيلة حياته

خصوصاً مدة حكمه فالظن يصبح حقيقة لا مفرَّ منها.

فكلّنا يعرف من هو معاوية. ومن هو أبوه أبو سفيان ومن هي أمّهُ هند فهو الطّليق ابن الطّليق الذي قضى شبابه في رحاب أبيه وفي تعبئة الجيوش لمحاربة رسول الله والقضاء على دعوته بكل جهوده حتّى إذا ما فشلت جميع محاولاته وتغلّب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليه وعلى أبيه استسلم للأمر الواقع في غير قناعة. ولكن الرّسول لكرمه ولعظمه خُلقه عفى عنه وسمّاه الطّليق.وبعد موت صاحب الرسالة حاول أبوه إثارة الفتنة والقضاء على الإسلام وذلك عندما جاء في اللّيل للإمام عليّ يحرّضه على الثورة ضد أب بكر وعمر ويمنّيه بالمال والرجال ولكن الإمام علي سلام الله عليه عرف قصده فطرده وبقي يعيش حاقداً على الإسلام والمسلمين طيلة حياته حتى آلت الخلافة إلى ابن عمّه عثمان عند ذلك أظهر ما في نفسه من كفر ونفاق فقال: تلقّفوها تلقّف الكرة يا بني أمية فوالذي يحلف به أبو سفيان ليس هناك جنّة ولا نار(1) . وأخرج ابن عساكر في تاريخه من الجزء السادس في صفحة 407 عن أنس أن أبا سفيان دخل على عثمان بعدما عمي فقال: هل هنا أحد؟ فقالوا: لا. فقال: اللّهم اجعل الأمر أمر جاهلية والملك ملك غاصبية واجعل أوتاد الأرض لبني أميّة.

وأما ابنهُ معاوية وما أدراك ما معاوية فحدّث ولا حرج وما فعله بأمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم طيلة ولايته في الشّام ثم بعد تسلّطه على الخلافة بالقهر والقوة وما ذكره المؤرخون من هتكه للقرآن والسنّة وتعدّيه كل الحدود التي رسمتها الشريعة والأعمال التي يتنزّه القلم عن كتابتها واللّسان عن ذكرها لقُبحها وفحشها. وقد ضربنا عنها صفحاً مراعاةً لعواطف إخواننا من أهل السنة والجماعة والذين أشربوا في قلوبهم حبّ معاوية والدفاع عنه.

ولكن لا يفوتنا أن نذكر هنا نفسيات الرجل وعقيدته في صاحب

---

(1) تاريخ الطبري: 11/357. مروج الذهب: 1/440.

الرسالة فهي لا تبعد عن عقيدة أبيه وقد رضعها من حليب أمّه آكلة الأكباد والمشهورة بالعهر والفجور(1) كما ورثها عن أبيه شيخ المنافقين الذي ما عرف الإسلام يوماً إلى قلبه سبيلاً.

وكما عرفنا نفسية الأب فها هو الابن يعبّر بنفس التعبير ولكن على طريقته في الدّهاء والنّفاق.

فقد روى الزبير بن بكار عن مطوف بن المغيرة بن شعبة الثقفي قال: دخلت مع أبي على معاوية. فكان أبي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله ويعجب ممّا يرى منه. إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء فرأيته مغتمّاً فانتظرته ساعة وظننتُ أنّه لشيء حدث فينا أو في عملنا فقلتُ له: ما لي أراك مُغتمّاً منذ الليلة؟

قال: يا بني إني جئتُ من عند أخبث الناس. قلتُ له: وما ذاك. قال: قلتُ لمعاوية وقد خلوتُ به: إنك قد بلغتَ مُناك يا أمير المؤمنين. فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً. فإنّك قد كبرت ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. وإن ذلك ممّا يبقى لك ذكره وثوابه. فقال لي: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل. فما غدا أن هلك فهلك ذكره إلاّ أن يقول قائل: أبو بكر: ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين. فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلاّ أن يقول قائل: عمر. ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل وعُمل به فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فُعل به. وإن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرّات: أشهد أن محمداً رسول الله: فأي عمل وأي ذكر يبقى مع

---

(1) الزمخشري في ربيع الأبرار ج2 باب القرابات والأنساب. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 1/111.

هذا لا أمّ لك؟ والله إلاّ دفناً دفناً(1) .

خسئت وخبت وأخزاك الله يا من أردت دفن ذكر رسول الله بكلّ جهودك وأنفقت في سبيل ذلك كل ما تملكه ولكنّ جهودك كلّها باءت بالفشل لأن الله سبحانه لك بالمرصاد وهو القائل لرسوله: (ورفعنا لك ذكرك) فلست أنت بقادر على دفن ذكره الذي رفعه ربّ العزّة والجلالة. فكدْ كيدك واجمع جمعك فأنت غير قادر على إطفاء نور الله بفيك. والله متمّ نوره رغم نفاقك فها قد مَلكت الأرض شرقاً وغرباً وما إن هلكت حتّى هلك ذكرك إلاّ أن يذكرك ذاكر بأفعالك الشنيعة التي أردت بها هدم الإسلام. كما جاء ذلك على لسان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم(2) . وبقي ذكر محمد بن عبد الله أخي هاشم عبر القرون والأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها كلّما ذكره ذاكر إلاّ صلّى الله عليه وآله وسلّم رغم أنفك وأنوف بني أميّة الذين حاولوا بقيادتك وزعامتك القضاء عليهم وعلى فضائلهم فما زادهم ذلك إلاّ رفعة وسموّاً وسوف تلقون الله يوم القيامة غاضباً عليكم لما أحدثتموه في شريعته فيجزيكم بما تستحقون.

وإذا ما أضفنا إلى هؤلاء فرخهم يزيد بن معاوية الماجن الفاسق شارب الخمور والمجاهر بالفسق والفجور فسوف نجده هو الآخر يحمل نفس العقيدة التي ورثها عن أبيه معاوية وجدّه أبي سفيان كما ورث عنهم الخسّة والدناءة وشرب الخمر ومعاقرة العاهرات ولعب القمار ولو لم يرث كل هذه الصفات البشعة لما أورثه أبوه معاوية الخلافة وسلّط على رقاب المسلمين وكلهم يعرفوه حق معرفته وفيهم فضلاء الصحابة كالحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة ولا أشك في أنّ معاوية قضى حياته وأنفق ماله الذي

_____

(1) كتاب الموفقيات: 576. تاريخ المسعودي مروج الذهب: 2/341. وشرح النهج لابن أبي الحديد: 5/130. الغدير للعلامة الأميني: 10/ 283.

(2) كتاب صفين: 44.

اكتسبه من حرام في سبيل القضاء على الإسلام والمسلمين الحقيقيين. ولقد رأينا كيف كان يريد دفن ذكر محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وما قدر على ذلك فأشعلها حرباً على ابن عمّه علي وصيّ النّبي حتى إذا ما قضى عليه ووصل للخلافة بالقهر والغش والنفاق سنَّ سنّة سُنّته المشؤومة وأمر عمّاله في كلّ الأقطار بلعن علي وأهل البيت النّبوي على كل المنابر وفي كلّ صلاة وهو بذلك يريد سبّ ولعن رسول الله(1) ولما أعيته الحيل وأدركه الأجل ولم يصل إلى مأربه إنتدب إبنه وولاّه على الأمة ليواصل ذلك المخطط الذي رسمه هو وأبوه أبو سفيان ألا وهو القضاء على الإسلام وإعادة الأمر إلى الجاهلية.

فاستلم ذلك الماجن الفاسق الخلافة وشمّر سواعده للقضاء على الإسلام حسب رغبة أبيه فبدأ باستباحة مدينة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لجيشه الكافر ففعل فيها ما فعل طيلة ثلاثة أيّام وقتل فيها عشرة آلاف من خيرة الصحابة وثنّى بعد ذلك بقتل سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وكل أهل البيت النّبوي وهم أقمار الأمّة حتّى أخذت حرائر أهل البيت سبايا. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولو أن الله لم يقصف عمره لتمكّن ذلك الوغد اللئيم من القضاء على الإسلام والمسلمين. والذي يهمّنا في هذا البحث هو الكشف عن عقيدته هو الآخر كما كشفنا عن عقيدة أبيه وجدّه.

فقد حدّث المؤرخون(2) أنه بعد وقعة الحرّة المشؤومة وقتل عشرة آلاف من خيرة المسلمين سوى النساء والصبيان. وأفتضّ فيها نحو ألف بكر. وحبلت ألف إمرأة في تلك الايام من غير زوج. ثم بايع من بقي من

---

(1) أخرج ابن عبد ربه في العقد الفريد: 2/301 قال إن معاوية لعن علي على المنبر وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر ففعلوا. فكتبت أمّ سلمة زوج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى معاوية: إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم. وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبّه. وأنا أشهد أن الله أحبّه ورسوله. فلم يلتفت معاوية إلى كلامها.

(2) أنساب الأشراف للبلاذري: 5/42. لسان الميزان: 6/294. تاريخ ابن كثير: 8/221. الإصابة: 3/473.

الناس على أنّهم عبيد ليزيد ومن امتنع قتل. ولما بلغ يزيد خبر تلك الجرائم والمآسي التي يندى لها الجبين ولم يشهد لها التاريخ مثيلاً حتى عند المغول والتتار وحتى عند الإسرائيليين فرح بذلك وأظهر الشماتة بنبيّ الإسلام وتمثّل بقول ابن الزبعّري الّذي أنشده بعد موقعة أحد قائلاً:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسلْ
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً	ثم قالوا: يا يزيد لا تشلْ
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدلنا ميل بدر فاعتدلْ
لست من خندفٍ إن لم أنتقم	ومن بني أحمد ما كان فعلْ
لعبت هاشم الملك فلا	خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزلْ

فإذا كان الجدّ أبو سفيان العدوّ الأول لله ورسوله يقول صراحة:

تلقّفوها يا بني أمية تلقّف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان فما من جنّة ولا نار.

وإذا كان الأب معاوية العدوّ الثاني لله رسوله يقول صراحة: (عندما يسمع المؤذن يشهد أن محمداً رسول الله) أي عمل وأي ذكر يبقى مع هذا لا أمّ لك؟ والله إلاّ دفناً دفناً.

وإذا كان الابن يزيد العدوّ الثالث لله ورسوله يقول صراحة:

لعبت هاشم بالملك فلا * خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزلْ

وإذا ما نحن عرفنا عقيدة هؤلاء في الله ورسوله وفي الإسلام وإذا ما نحن عرفنا أعمالهم الشنيعة التي أرادوا بها هدم أركان الإسلام والإساءة إلى نبي الإسلام والتي لم نذكر منها إلاّ النزر اليسير روماً للاختصار ولو أردنا التوسّع لملأنا مجلداً ضخماً في أعمال معاوية وحده التي بقيت عليه عاراً وشناراً وفضيحة مدى الدهر ولو جُنّد لتغطيتها وسترها بعض علماء السّوء الذين كان لبني أمية عليهم أيادي وعطايا أعمت عيونهم فباعوا آخرتهم بدنياهم وألبسوا الحق بالباطل وهم يعلمون. وبقي أغلب المسلمين ضحية

هذا الدسّ. والتزوير. ولو علم هؤلاء الضحايا الحقيقة. لما ذكروا أبا سفيان ومعاوية ويزيد إلاّ باللّعن والبراءة.

ولكن الذي يهمّنا في هذا البحث الوجيز هو التوصّل إلى مدى تأثير هؤلاء وأشياعهم وأتباعهم الذين حكموا المسلمين طيلة مائة عام ولما يزل في خطواته الأولى.

ولا شك في أنّ تأثير هؤلاء المنافقين كان كبيراً على المسلمين فغيّر عقيدتهم وغيّر سلوكهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وحتى عباداتهم وإلاّ كيف يمكن لنا تفسير قعود الأمة عن نصرة الحق وخذلان أولياء الله والوقوف مع أعداء الله ورسوله.

وكيف يمكن لنا أن نفسّر وصول معاوية الطّليق ابن الطّليق واللّعين ابن اللّعين إلى الخلافة التي تمثل مرتبة وخلافة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. وفي الوقت الذي يموّه علينا المؤرخون بأن النّاس كانوا يقولون لعمر بن الخطاب لو رأينا فيك إعوجاجاً لقوّمناك بسيوفنا. نراهم يتحدّثون عن معاوية وهو يعتلي منصّة الخلافة بالقهر والقوة وأول خطبة يقولها في جميع الصّحابة: «إني ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولكن لأتأمّر عليكم وها أنا ذا أميرٌ عليكم» فلا يحرّك منهم أحدٌ ساكناً ولا يعارضوه بل يَجْرُوا في ركابه حتى يسمّوا ذلك العام الذي استولى فيه معاوية على الخلافة بعام الجماعة في حين أنه كان بحق عام الفرقة.

ثم نراهم بعد ذلك يقبلون منه أن يولّي عليهم ابنه الفاسق يزيد المعروف لديهم جميعاً فلا يثورون ولا يتحرّكون إلاّ ما كان من بعض الصلحاء الذين قتلهم يزيد في وقعة الحرّة وأخذ ممن بقي منهم البيعة على أنهم له عبيد. فكيف لنا تفسير كل ذلك. على أننا نجد بعد ذلك أنّه وصل للخلافة باسم إمارة المؤمنين الفسّاق من بني أميّة كالوزغ مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وغيرهم.

ووصل الأمر بأمراء المؤمنين أن يستبيحوا مدينة رسول الله ويفعلوا فيها الأفاعيل وتُهتكُ فيها الحرمات. بل ويحرقوا بيت الله الحرام ويقتلوا في الحرم خيار الصحابة. ووصل الأمر بأمر المؤمنين أن يسفكوا دماء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وذلك بقتلهم ريحانة رسول الله وذريته ويستبيحوا سبي بناته. فلا يحرّك أحدٌ من الأمة ساكناً ولا يجد سيد شباب أهل الجنة ناصراً.

ووصل الأمر بأمراء المؤمنين أن يمزّقوا كتاب الله ويقولون له إذا لقيت ربّك يوم حشرٍ فقل يا رب مزّقني الوليد. كما فعل الوليد الأموي.

ووصل الأمر بأمراء المؤمنين أن يلعنوا على المنار علي بن أبي طالب ويأمروا النّاس بلعنه في كل الأقطار وهم لا يقصدون بذلك غير لعن رسول الله فلا يحرك منهم أحدٌ ساكناً ومن امتنع قُتِلَ وصُلب ومُثّل به.

ووصل الأمر بأمراء المؤمنين أن يتجاهروا بشرب الخمر والزنا واللهو بالطرب والغناء والرقص وو... وحدّث ولا حرج!

فإذا كان أمرُ الأمة الإسلامية قد وصل إلى هذا الحدّ من الانحطاط في الأخلاق والذلّ والاستكانة فلا بد أن هناك عوامل أثّرت في عقيدتها وهذا ما يهمّنا في هذا البحث لانّه يتعلّق بموضوع العصمة وشخصية الرّسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلم.

وأوّل ما يُلفتُ انتباهنا هنا هو أنّ الخلفاء الثّلاثة أبو بكر وعمر وعثمان منعوا كتابة حديث النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بل وحتى التحدّث به.

فهذا أبو بكر يجمع النّاس في خلافته ويقول لهم: إنكم تحدّثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والنّاس بعدم أشدّ إختلافاً فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً. فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه(1) .

---

(1) تذكرة الحفاظ للذهبي: 1/ 2 و3.

كما أن عمر بن الخطاب هو الآخر منع أن يتحدّثُ الناس بحديث الرسول. قال قرظة بن كعب: لما سيّرنا عمر بن الخطاب إلى العراق مشى معنا وقال أتدرون لما

شيعتكم؟ قالوا: تكرمة لنا. قال: ومع ذلك إنكم تأتون أهل قرية لهم دوّي بالقرآن كدوي النّحل فلا تصدّوهم بالأحاديث فتشغلوهم جوّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم.

يقول هذا الراوي: فلم أنقل حديثاً قط بعد كلام عمر. ولمّا قدم العراق هرع النّاس إليه يسألونه عن الحديث فقال لهم قرظة: نهانا عن ذلك عمر(1) .

كما أن عبد الرحمن بن عوف قال بأنّ عمر بن الخطاب جمع الصّحابة من الآفاق لمنعهم من التحدث بأحاديث رسول الله في النّاس وقال لهم: أقيموا عندي ولا تفارقوني ما عشتُ. فما فارقوه حتى مات(2) .

كما يذكر الخطيب البغدادي والذهبي في تذكرة الحفاظ بأنّ عمر بن الخطاب حبس في المدينة ثلاثة من الصّحابة وهم أبو الدرداء وابن مسعود وأبو مسعود الأنصاري بذنب الإكثار من نقل الحديث ـ كما أنّ عمر أمر الصحابة أن يحضروا ما في أيديهم من كتب الحديث فظنّوا أنّه يريد أن يُقوّمها على أمر لا يكون فيه اختلاف فأتوه بكتبهم فأحرقها كلها في النّار(3) .

ثم أتى بعده عثمان فواصل المشوار وأعلن للنّاس كافة أنّه «لا يحل لاحد أن يروي حديثاً لم يسمع به على عهد أبي بكر ولا عهد عمر»(4) .

ثم بعد هؤلاء جاء دور معاوية بن أبي سفيان لمّا اعتلى منصّة الخلافة

---

(1) سنن ابن ماجة: 1/12. وسنن الدارمي: 1/85. والذهبي في تذكرة الحفاظ: 1/.

(2) مستدرك الحاكم: 1/110. كنز العمال: 5/239.

(3) الطبقات الكبرى لابن سعد: 5/140. الخطيب البغدادي في تقييد العلم.

(4) منتخب كنز العمّال بهامش مسند أحمد: 4/64.

صعد على المنبر وقال: «أيها الناس إيّاكم والحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. إلاّ حديثاً يذكر على عهد عمر»(1) .

فلا بدّ أنّ هناك سرّاً لمنع الأحاديث التي قالها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والتي لا تتماشى وما جرت عليه المقادير في ذلك العصر وإلاّ لماذا يبقى حديث الرّسول ممنوعاً طوال هذه المدة الطويلة ولا يُسمح بكتابته إلاّ في زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

ولنا أن نستنتج طبقاً لما سبق من الأبحاث بخصوص النصوص الصريحة في الخلافة والّتي أعلنها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على رؤوس الأشهاد بأنّ أبا بكر وعمر منعا من الرّاوية والحديث عن النبيّ خوفاً أن تسري تلك النّصوص في الأقطار أو حتى في القرى المجاورة فتكشف للنّاس بأنّ خلافته وخلافة صاحبه ليست شرعية وإنّما هي اغتصاب من صاحبها الشرعي علي بن أبي طالب. وقد تكلّمنا في هذا الموضوع وكشفنا عن هذه الحقيقة في كتابنا «لأكون مع الصّادقين» فليراجع لمزيد الإطمئنان.

والعجيب في أمر عمر بن الخطاب هو مواقفه المتناقضة بالخصوص في كل ما يتعلق بأمر الخلافة.

ففي حين نجده هو الذي ثبّت بيعة أبي بكر وحملَ الناس عليها قهراً يحكم عليها بأنها فلتةً وقى الله شرّها ـ وفي حين يختار هو ستّة للخلافة نراه يقول: لو ولّوها الأجلح (يقصد علي بن أبي طالب) لحملهم على الجادّة فما دام يعترف بأن علي هو الشخص الوحيد الذي يحمل النّاس على الجادّة فلماذا لم يعيّنه

وينتهي الأمر ويكون بذلك قد بذل النصح لأمّة محمّد. ولكنّا نراه بعد ذلك يتناقض فيرجّح كفّة عبد الرحمن بن عوف ثم يتناقض

---

(1) الخطيب البغدادي شرف أصحاب الحديث: 91.

مرة أخرى فيقول: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لوليته عليكم(1) .

والأعجب من ذلك في أمر أبي حفص هو منعة الحديث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وحبسه الصّحابة في المدينة ومنعهم من الخروج منها، ونهيَه المبعوثين من قِبله إلى الأقطار بأن لا يحدّثوا النّاس عن السنّة النبوية، وحرقه للكتب التي كانت بأيدي الصّحابة وفيها أحاديث النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم.

ألم يفهم عمر بن الخطاب بأن السنّة النبويّة هي تبيان للقرآن الكريم؟ أو لّم يقرأ قوله سبحانه وتعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للنّاس ما نُزّل إليهم) [النحل: 4]. أم أنه فهم من القرآن ما لم يفهمه صاحب الرسالة الذي أنزل عليه القرآن؟

وهذا ما يحاوله بعض المهوّسين الذين يقولون بأن القرآن كثيراً ما ينزل موافقاً لآراء عمر، ومخالفاً لآراء النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إنهم لا يفقهون.

وكنت دائماً أتعجب عندما أقرأ في البخاري رفض عمر قبول رواية عمّار بن ياسر بخصوص تعليم النبي له كيفية التيمّم، كما أتعجّب من قول عمّار: إن شئت لا أحدّث به. مخافة من عمر. فيتبيّن بوضوح بأن عمر بن الخطاب كان شديداً على كل من يروي أحاديث الرّسول فيلحقه الأذى.

وإذا كان الصحابة من قريش يخافون من الخليفة فلا يخرجون من المدينة وحتى الذين يخرجون منها يمتنعون عن نقل الأحاديث النبويّة، ثم يحرق لهم كتبهم التي جمعوا فيها الأحاديث فلا يتكلم منها أحدٌ، فما قيمة عمّار بن ياسر الغريب البعيد والبغيض لقريش لوقوفه مع علي بن ابي طالب وحبّه إيّاه؟

---

(1) وهذا الحديث اتخذه أبو حنيفة حجة على جواز الخلافة للموالي وخالف بذلك الصريح من حديث النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن الخلافة لا تكون إلاّ في قريش، ومن أجل ذلك اعتنق الأتراك مذهب أبو حنيفة عندما استولوا على الخلافة وسمّوا أبا حنيفة الإمام الأعظم.

وإذا ما رجعنا قليلاً بالبحث، وبالضّبط يوم الخميس الذي سبق وفاة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم، والذي سمّاه ابن عبّاس يوم الرّزية، وذلك عندما أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الحاضرين أن يأتوه بالكتف والدواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً، نرى في ذلك اليوم أن عمر بن الخطّاب هو الذي اعترض على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم واتّهمه بالهجر ـ أي الهذيان ـ والعياذ بالله، وقال: «حسبُنا كتاب الله يكفينا» وقد أخرج هذه الحادثة البخاري ومسلم وابن ماجة والنسائي وأبو داود والإمام أحمد وغيرهم من المؤرخين كثير.

فإذا كان عمر يمنعُ رسول الله من كتابة أحاديثه وبمحضر كثير من الصحابة وأهل البيت ويتّهمه بالهجر بتلك الجُرأة التي لم يعرف التاريخ لها مثيلاً، فليس غريباً ولا عجيباً أن يشمّر عن ساعديه بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ليمنع النّاس من نقل أحاديث الرسول بكل جهوده وهو الخليفة القوي الذي يملك الحول والطول، ولا شك أنّ له في الصّحابة أنصاراً كثيرين من سراة قريش الذين لهم نفوذ في القبائل والعشائر والذين كانوا يصحبون النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إما طمعاً أو خوفاً أو نفاقاً، وقد رأينا هؤلاء على كثرتهم يؤيدون قولة عمر بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يهجُر ويشاركونه في

منع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من كتابة الكتاب. وأعتقد بأن ذلك كان هو السبب الرّئيسي في سكوت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الكتابة لأنّه علم بوحي ربّه بأنّ المؤامرة قوية وقد تهدّد مسيرة الإسلام بكامله إذا ما كُتب ذلك الكتاب.

ذلك الكتاب الذي أراد به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تحصين أمّته من الدخول في الضّلالة فإذا بالمتآمرين يقلّبون الموقف ويصبح ذلك الكتاب (إذا ما كُتبَ) سبب الضلالة والانقلاب عن الإسلام.

فكيف لا يُغير رسول الله ـ بأبي هو وأمّي ـ وهو على تلك الحال من المرض على فراش الموت رأيهُ وبوحي من ربّه الذي يرنّ في أذنيه. ويملأ قلبه حسرة وأسى على أمّته المنكوبة قوله: (أفإن مات أو قتل انقلبتم على

أعقابكم) ولم تنزل هذه الآية عفوية بل هي نتيجة حتمية لما علمه الله سبحانه من دسائسهم ومؤامراتهم ومكرهم فهو يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور ـ والذي يُعزّي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ ربّه أعلمه عن كل ذلك وسلاّه وأجزاه خير ما يجزي نبي عن أمّته ولم يحمّله مسؤولية ارتداد الأمة وانقلابها ـ بل قال له مسبّقاً: (ويوم يعَضُّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلاً. يا ويلتي ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً. لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً. وقال الرسول يا ربّ إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً من المجرمين وكفى بربّك هادياً ونصيراً) [الفرقان: 27]. والذي لا مفرّ منه في هذا البحث هو النتيجة المؤلمة التي وصلنا إليها. وهو أن أبا سفيان ومعاوية ما كانا ليتجرّءا على صاحب الرسالة لولا مواقف عمر السّابقة وجرأته على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبحضرته صلّى الله عليه وآله وسلم. وخصوصاً إذا بحثنا مواقفه طيلة حياة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ومعارضته إياه في كثير من المواقف.

والاستنتاج الذي لا بدّ منه هو أن هناك مؤامرة كبرى حيكت للنّيل من شخصية الرسول الأكرم وانتقاصه وتصويره للناس الذين لم يعرفوه بأنّه شخصٌ عاديٌ أو أقلّ من ذلك فقد تأخذه العاطفة ويميل مع هواه ويزيغ عن الحق كل ذلك ليموّهوا على الناس بأنّه ليس معصوماً والدليل أنّ عمر عارضه عدة مرات والقرآن ينزل بتأييد ابن الخطاب حتّى وصل الأمر بأن يهدد الله نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فيبكي ويقول: لو أصابنا الله بمصيبة لم ينجُ منها إلا ابن الخطاب(1) في قضية اسرى بدر.

أو أن عمر كان يأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن يحجُب نساءه ولم يكن

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير نقلاً عن مسلم والإمام أحمد وأبي داود والترمذي وكذلك في السيرة الحلبية والسيرة الدحلانية: 1/512.

النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يفعل ذلك حتى نزل القرآن بتأييد عمر. وأمر نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يحجب نساءه(1) أو أن الشيطان لا يخاف من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكنّه يخاف ويهرب من عمر(2) إلى غير ذلك من الروايات المخزية التي تحطّ من قيمة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وترفع من قيمة الصحابة ولكن عمر ضرب الرقم القياسي في هذا الصدّد حتى رووا (أخزاهم الله) بأن رسول الله كان يشكّ في نبوّته وذلك لحديث يروونه بأنه قال صلّى الله عليه وآله وسلم: «ما أبطأ عني جبرئيل إلاّ ظننت أنّه ينزل على عمر بن الخطاب»!!.

وأنا أعتقد بأن هذه الأحاديث وأمثالها وضعت في زمن معاوية بن أبي سفيان لما أعيته الحيلة في طمس حقائق علي بن أبي طالب فلجأ إلى إطراء أبي بكر وعمر وعثمان واختلاف الفضائل لهم كي يرفعهم في نظر النّاس على مقام علي ويرمي من ذلك إلى هدفين:

الهدف الأوّل تصغير شان ابن أبي طالب (أبو تراب) كما يُسمّيه هو للتمويه على النّاس واعتبار الخلفاء الثّلاثة الذين سبقوه أفضل منه. والهدف الثاني لوضعه

الأحاديث هو لكي يتقبل الناس تجاوز أوامر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ووصاياه في أمر الخلافة في أهل بيته خصوصاً الحسنين عليهما السلام اللذين كانا يعاصران معاوية ـ فإذا كان من الممكن أن يتجاوز الثلاثة أوامر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم في علي عليه السلام لِمَ لا يمكن أن يتجاوز معاوية (الرابع) أوامره صلّى الله عليه وآله وسلّم في أولاد علي عليه السلام.

وقد نجح ابن هند في مخطّطه نجاحاً كبيراً والدليل أنّنا اليوم عندما نتحدث عن علم علي وشجاعته وقرابته وأفضاله على الإسلام والمسلمين يقفُ في وجوهنا من يقول: «قال رسول الله لو وزن إيمانُ أمتي بإيمان أبي

---

(1) صحيح البخاري: 1/46 باب خروج النساء إلى البراز.

(2) البخاري: 4/96 وج8/161.

بكر لرجح إيمان أبي بكر» ويقف في وجوهنا من يقول: «عمر الفاروق هو الذي يفرق بين الحق والباطل» ويقف في وجوهنا من يقول: عثمان ذو النورين الذي استحت منه ملائكة الرحمن.

والمتتّبع لهذه الأبحاث يجد أن عمر بن الخطاب أخذ نصيب الأسد في باب الفضائل وليس ذلك من باب الصدفة. كلاّ ولكن لمواقفه المعارضة والمتعددة تجاه صاحب الرسالة. أحبّتْهُ قريش. وخصوصاً للدور الذي لعبه عمر في إقصاء أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عن الخلافة وإرجاع الأمر إلى قريش تتحكّم فيه كيف شاءت ويطمع فيه الطلقاء والملعونين من بني أميّة. وقريش كلّها وعلى رأسهم أبو بكر يعرفون بأنّ الفضل كلّه يرجع لعمر في تسلطهم على رقاب المسلمين. فعمر هو بطل المعارضة لرسول الله وعمر هو المانع لرسول الله بأن يكتب الخلافة لعليّ. وعمر هو الذي هدّد الناس وشكّكهم في موت نبيّهم حتّى لا يسبقوه بالبيعة لعلي. وعمر هو بطل السّقيفة. وهو الذي ثبّت بيعة أبي بكر. وعمر هو الذي هدّد المتخلّفين في بيت علي بأن يحرق عليهم الدار بمن فيها إن لم بايعوا أبا بكر. وعمر هو الذي حمل الناس على بيعة أبي بكر بالقوّة والقهر. وعمر هو الذي كان يعيّن الولاة ويعطي المناصب في خلافة أبي بكر. بل لسنا مبالغين إذا قلنا بأنّه هو الحاكم الفعلي حتّى في خلافة أبي بكر نفسه فقد حكى بعض المؤرخين بأنّ المؤلفة قلوبهم لما جاؤوا لأبي بكر لأخذ سهمهم الذي فرضه الله لهم جرياً على عادتهم مع سول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فكتب لهم أبو بكر بذلك فذهبوا إلى عمر ليتسلّموا منه فمزّق الكتاب وقال: لا حاجة لنا بكم فقد أعزّ الله الإسلام وأغنى عنكم فإن أسلمتم وإلاّ فالسيف بيننا وبينكم. فرجعوا إلى أبي بكر. فقالوا له أنت الخليفة أم هو؟ فقال: بل هو إن شاء الله تعالى وأمضى ما فعله عمر(1) .

---

(1) كتاب الجوهرة النيرة في الفقه الحنفي: 1/164.

ومرة أخرى كتب أبو بكر لصحابيين قطعة من الأرض وأرسلها لعمر ليمضي فيه فتفل فيه عمر ومحاه فشتماه ورجعا لأبي بكر يتذمّران فقالا: ما ندري أأنت الخليفة أم عُمر؟! فقال: بل هو. وجاء عمر مغضباً إلى أبي بكر وقال له: ليس من حقك إعطاء الأرض إلى هذين. فقال أبو بكر: لقد قلتُ لك بأنّك أقوى منّي على هذا الأمر ولكنّك غلبتني(1) .

ومن هنا يتبيّن لنا سرّ المكانة التي حظي بها عمر بن الخطاب لدى قريش عامة ولدى بني أمية خاصّة حتى سمّوه بالعبقري وبالملهم وبالفاروق وبالعدل المطلق إلى أن فضّلوه على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم.

وقد رأينا عقيدة عمر في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من يوم صلح الحديبية إلى يوم الرّزية أضف إلى ذلك أنّه منع الصحابة من التبرّك بآثار رسول الله صلّى اله عليه وسلّم فقطع شجرة بيعة الرضوان. كما توسّل بالعبّاس عمّ النبيّ ليُشعرَ الناس بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مات وانتهى أمره فلا فائدة حتى في ذكراه. فلا لوم على الوهابية الذين يقولون بهذه المقالات فهي ليستْ جديدة كما يتوهّم البعض.

ومن هنا فُتح الباب إلى أعْداء الإسلام والمستشرقين ليستخلصوا بأنّ محمّداً رجلٌ عبقري عرف أنّ قومه وثنّيّين تربّوا على عبادة الأصنام فأزال الأصنام ولكنّه أبدلهم بذلك حجراً أسوداً.

ونرى بعد كل هذا عم هو بطل المعارضة لكتابة الأحاديث النبويّة حتى يحبس الصحابة في المدينة ويمنع آخرين من الحديث ويحرق كتب الحديث حرصاً منه بأن لا تتفشّى السنّة النبوية بين النّاس.

ونفهم أيضاً من خلال ذلك لماذا بقي علي حَبيس الدّار لا يخرج إلاّ عندما يُدعى لحلّ معضلة عجز عنها الصحابة ولم يُشركه عمر في منصب ولا

---

(1) الإصابة في معرفة الصحابة للعسقلاني في ترجمة عيينة. ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: 3/108.

في ولاية ولا في مسؤولية ولا في بعث. وحُرم حتّى من ميراث فاطمة وليس عنده ما يُطمع الناس فيه ولذلك يذكر المؤرخون بأنّه اضطرّ للبيعة بعد موت الزهراء سلام الله عليها لمّا رأى تحوّل وجوه الناس عنه: لك الله يا أبا الحسن فكيف لا يبغضُك الناس وقد قتلت أبطالهم وفرّقت جموعهم وسفّهت أحلامهم. وما تركت لهم في سوق الفضائل فضيلة ولا في ميدان الحسنات حسنة ومع ذلك فأنت ابن عمّ المصطفى وأقربهم إليه وزوج فاطمة سيدة نساء العالمين وأبو السبطين سيدي شباب أهل الجنّة وأوّلهم إسلاماً وأكثرهم علماً.

وعمّك حمزة سيد الشهداء. وجعفر الطيار ابن أمّك وأبيك. وأبو طالب سيد البطحاء وكفيل النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم هو أبوك. والأئمة الميامين كلهم من صُلبك. سبقت السَّابقين ونأيت عن اللاّحقين فكنت أسد الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكنت سيف الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكنت أمين الله ورسوله صلّى اله عليه وسلّم عندما بعثك صلّى الله عليه وآله وسلّم ببراءة ولم يأتمن عليها غيرك ـ وكنت أنت الصّديق الأكبر لا يقولها بعدك إلاّ كذّاب وكنت الفاروق الأكبر الذي يسير الحق في ركابه فيُعرف الحقُ به من بين ركام الباطل. وكنت العلم الظاهر والمنار الساطع يُعرفُ بحبّه إيمان المؤمن وببغضه نفاق المنافق. وكنتَ الباب لمدينة العلم. من أتاك أتاها. فقد كذب من زعم الدخول من غيرك والوصول بدونك.

فمن منهم له سهم كسهمك يا أبا الحسن ومن منهم له فضلٌ كفضلك فإن كان للشرف دليلاً فأنت دليله وأنت مبتداه ومنتهاه لقد حسدوك على ما أتاك الله من فضله ولقد أبعدوك لمّا خصّك الله من قُربه فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

لقد شط بنا القلم إلى مناجاة أمير المؤمنين المظلوم حيّاً وميّتاً وله في أخيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أسوة حسنة فهو أيضاً مظلوم حيّاً وميّتاً لأنّه قضى حياته صلّى الله عليه وآله وسلّم مجاهداً ناصحاً حريصاً على المؤمنين بهم رؤوف

رحيم وقابلوه في آخر لحظة بالكلام القبيح ورموه بالهجر وجابهوه بالعصيان والتمرّد في تأميره أسامة وهرعوا للسقيفة من أجل الخلافة وتركوه جثة هامدة ولم يشتغلوا حتى بتجهيزه وغسله وتكفينه بأبي هو وأمي. وبعد وفاته عملوا على انتقاصه في أعين الناس والحط من قيمته وتجريده من العصمة التي يشهد بها القرآن والوجدان كل ذلك من أجل حكم زائل ودنيا فانية.

وإذا عرفنا من خلال البحث، موقف بعض الصحابة تجاه شخصية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من أجل الوصول للخلافة.

فإنّ حكام بني أميّة على رأسهم معاوية بن أبي سفيان جاءتهم الخلافة بالوراثة واطمأنّوا لها ولم يكن يدور في خلد أحدٍ منهم بأنها في يوم من الأيام سوف تخرج منهم، فلماذا استمرّ بنوا أميّة في انتقاص شخصية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتزوير الرّوايات للحطّ من قيمته.

وأعتقد بأنّ هناك سببين رئيسيين وهما:

السبب الأول: إن في الحطّ من قيمة رسول الله، هو إرغام أنوف بني هاشم الذين نالوا عزّاً وشرفاً بين كل القبائل العربية لوجود النبي منهم وخصوصاً إذا عرفنا أن أمية كان ينافس أخاه هاشماً ويحسده ويعمل كل ما في وسعه للقضاء عليه.

زد على ذلك بأن عليّاً هو سيد بني هاشم بعد الرسول من غير منازع وقد عرف الخاص والعام بغض معاوية لعلي والحروب التي شنّها ضدّه لانتزاع الخلافة منه وبعد مقتله أولغ في سبّه ولعنه على المنابر. فالحطّ من شخصية الرسول بالنسبة لمعاوية هو تحطيم شخصية علي كما أن سبّ ولعن علي هو في الحقيقة موجّهٌ لرسول الله.

السبب الثاني: إن في الحطّ من قيمة رسول الله ـ فيه تبرير لما يقوم به حكام بني أمية من أعمال مخزيّة وقبائح شنيعة سجلها لهم التاريخ ـ فإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كما يصوره بني أمية ـ يميل مع هواه

ويحبّ النّساء إلى درجة أنّه ينسى واجباته ويميل إلى إحداهن إلى درجة أنه لا يعدل بينهن حتى يبعثن له يطالبنه بالعدل. فلا لوم بعد ذلك على البشر العاديين أمثال معاوية ويزيد وأضرابهم.

وتكمن الخطورة في السبب الثاني في أن الأمويين اختلقوا روايات وأحاديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أصبحت أحكاماً يُعمل بها في الإسلام، والمسلمون يأخذونها مسلّمة على أنها من أقوال وأفعال الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فتصبح عندهم سنّة نبويّة.

وأضرب لذلك بعض الأمثلة من الأحاديث المخزية التي وُضعت للنيل من شخصية الرسول والحطّ من قيمته ولا أريد أن أتوسّع في هذا الموضوع وسوف أقتصر فقط على ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما (روايات مخزية للطّعن في النّبي).

1 ـ أخرج البخاري في كتاب الغسل في باب إذا جامع ثم عاد ـ قال أنس: كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يدور على نسائه في السّاعة الواحدة من اللّيل والنّهار وهنّ إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أو كان يُطيقه؟ قال: كنا نتحدّث أنه أعطي قوة ثلاثين.

أنظر معي أيها القارئ إلى هذه الرواية المخزية التي تصوّر لنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على هذا النهم من الجماع فيجامع إحدى عشرة زوجة في ساعة واحدة ويجامعهنّ في الليل أو النهار وبهذه السرعة ومن غير أن يغتسل من الأولى فيجامع الثانية بماء الأولى وما عليك أيها القارئ إلاّ أن تتصور وتتخيّل كيف يرتمي إنسان على زوجته كالحيوان بدون مقدمات ولا تهيئة وقد شاهدنا أنّه حتى عند الحيوانات تستغرق عملية الجماع مدة طويلة وتتطلّب مقدّمات وتهيأ فكيف بهذا الرسول العظيم يفعل مثل هذا؟ قاتلهم الله ولعنهم أنّي يؤفكون ـ ولأن العرب في ذلك العهد والرجال حتى في هذا العهد ما زالوا يفتخرون بقوة الجماع ويعتبرون ذلك علامة الرجولة فوضعوا

هذه القصة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. وحاشاه وهو الذي كان يقول: «لا ترتموا على نسائكم كالبهائم واجعلوا بينكم وبينهنّ رسولاً».

فبمثل هذه الروايات يتحامل أعداء الإسلام على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ويصفونه بأنه رجل يتهالك على الجنس والجماع وحبّ النساء إلى غير ذلك

من التّهم.

وهل لنا أن نسأل أنس بن مالك راوي هذه القصّة. من أخبره بها؟ من أعلمه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يُجامع نساءه في ساعة واحدة وهن إحدى عشرة؟

هل النبي هو الذي حدّثه بذلك؟ فهل يليق بأحدنا أن يحدّث الناس على مجامعته لزوجته؟ أمْ أنّ زوجات النبي هنّ اللاتي حدّثنه بذلك؟ فهل يليق بالمرأة المسلمة أن تحكي للرجال عن جماع زوجها لها؟ أم أنّ أنس هو الذي تجسّس على النبي وتتبّع خلواته مع زوجاته وتفرج عليه من ثقوب الأبواب؟ أستغفر الله من همزات الشياطين ولعن الله الكذّابين.

ولا أشكّ في أن الحكام الأمويّين والعباسيين الذين اشتهروا بكثرة النساء والجواري هم الذين وضعوا مثل هذه القصّة لتبرير أعمالهم.

2 ـ أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الثالث صفحة 132 وكذلك مسلم في صحيحه من الجزء السابع في صفحة 136 قالا: قالت عائشة أرسل أزواج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فاطمة بنت رسول اله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى رسول الله فاستأذنت عليه وهو مُضطجع معي في مرطي فأذن لها. فقالت: يا رسول الله إنّ أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في أبنة أبي قحافة. وأنا ساكتة. قالت: فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: «أي بُنيّة ألست تُحبّين ما أحبُّ فقالت: بلى. قال: فأحبّي هذه»...

ثم تمضي الرواية فتقول إلى أن يبعث أزواج النبي مرّة ثانية بزينب بنت جحش زوج النبي ينشدنّهُ العدل في بنت أبي قحافة فتدخل هي الأخرى على رسول الله وهو مضطجع مع عائشة ولابس مرطها على الحالة التي

دخلت عليه فاطمة فتنشد الرسول العدل في بنت أبي قحافة على لسان أزواج النبيّ ثم تقع في عائشة وتسبّها فتنتصر عائشة لنفسها وتقع هي الأخرى في زينب حتى تسكتها فيبتسم عند ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويقول «إنها إبنة أبي بكر».

فما عساني أن أقول في هذه الرواية المنكرة التي تجعل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يميل مع هواه ولا يعدل بين زوجاته.وهو الذي جاء القرآن على لسانه: (وإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم) .

ثم كيف يأذن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لابنته فاطمة سيدة النساء لتدخل عليه وهو على تلك الحالة مضطجع مع زوجته ولا بس مرطها. فلا يجلس ولا يقوم ويبقى مضطجعاً حتى يقول. أي بنية: ألست تحبّين ما أحبّ. وكذلك عندما تدخل عليه زوجته زينب وتطالبه بالعدل يبتسم ويقول إنها ابنة أبي بكر.

أنظر أيها القارئ الكريم إلى هذه المخازي التي يُلصقونها برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم رمز العدالة والمساواة في حين أنهم يقولون مات العدل مع عمر بن الخطاب ويصوّرون رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شخصاً مستهتراً بالقيم الأخلاقية فلا يعرف الحياة ولا المروءة ـ ولهذه الرواية نظائر كثيرة في صحاح السنّة والتي يقصد الرّواة من ورائها إبراز فضلية لصحابي أو لعائشة بالذات لأنها ابنةُ أبي بكر. فينتقصون رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من حيث يشعرون أو لا يشعرون ـ وكما قدّمت في البحث. بأن هذه الرّوايات موضوعة للنيل من شخصيّة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فإليك الرواية الثالثة وهي شبيهة بهذه.

3 ـ أخرج مسلم في صحيحه في باب فضائل عثمان بن عفان. عن عائشة زوج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وعثمان حدّثا أنّ أبا بكر استأذن على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو مضطجع على فراشه لابسٌ مِرَط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف ثم استأذن

عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف. قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: أجمعي عليك ثيابك فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت. فقالت عائشة: يا رسول الله مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّ عثمان رجلٌ حَيِيٌّ وإنّي خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلُغ إليّ في حاجته.

وهذه الرواية أيضاً هي الأخرى شبيهة بما أخرجه البخاري ومسلم في فضل عثمان بن عفان ومفادها بأنّ رسول الله كان كاشفاً على فخذيه فاستأذن أبو بكر فلم يغطّي رسول الله فخذيه وكذلك فعل مع عمر فلما استأذن عثمان غطّى رسول الله فخذيه وسوّى ثيابه ولمّا سألته عائشة عن ذلك قال لها: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة».

قاتل الله بني أميّة الذين ينتقصون رسول الله لرفع مكانة سيّدهم.

4 ـ أخرج مسلم في صحيحه في باب وجوب الغسل بالتقاء الختانين عن عائشة زوج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الرّجل يجامع أهله ثم يُكسل هل عليهما الغسْلُ وعائشة جالسة فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: «إنّني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل».

وأترك لك أيها القارئ أن تُعلّق بنفسك على هذه الرواية. فقد بلغ من تدليل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لزوجته عائشة أن يحدّث بجماعها الخاص والعامّ من الناس وكم لعائشة بنت أبي بكر من أمثال هذه الروايات التي فيها مسّ من كرامة الرسول والحطّ من قيمته. فمرة تروي بأنه يضع خدّه على خدّها لتتفرج على رقص السودان ومرّة يحملها على كتفه ومرّة يتسابق معها فتغلبه وينتظر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى تسمن فيسابقها ويقول هذه بتيك. ومرة يستلقي على ظهره والنساء يضربن بالدفوف ومزمارة الشيطان في بيته فينتهرها أبو بكر.

وكم في كتب الصحاح أمثال هذه الروايات المخزية التي لا يقصد منها إلاّ انتقاص نبي الإسلام صلّى الله عليه وآله وسلم، كالروايات التي تقول بأن الرسول سُحر حتى لا يدري ما يفعل وما يقول وحتى يخيل له أنه يأتي نساءه ولا يأتيهن(1) وكالروايات التي تقول بأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يصبح في رمضان جنباً(2) وأنه ينام حتى يغطّ في نومه ثم يقوم فيصلّي بغير وضوء(3) .

ويسهو في صلاته فلا يدري كم ركعة صلّى(4) ولا يدري رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما هو مصيره يوم القيامة وما يفعل به(5) وأنه يبول قائماً والصحابي يبتعد عنه فيناديه الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ليقترب منه حتى يفرغ من بوله(6) .

نعم لقد بلغ من تدليل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم زوجته عائشة بنت أبي بكر أنه يحبس نفسه ويحبس المسلمين معه ليبحثوا عن عقد ضاع من عائشة وليس معهم ماء حتى أن الناس يشتكون من عائشة لأبي بكر فيأتي أبوها يوبّخها ويلومها كل ذلك ورسول الله مشغول بالنوم في حجر زوجته. وإليك الرواية بالتفصيل!

أخرج البخاري في صحيحه في باب التيمم ومسلم في صحيحه في باب التيمم أيضاً عن عائشة أنها قالت: خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماءٍ وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى إلى ما

———————————

(1) البخاري: 4/68 وج7/29.

(2) البخاري: 2/232 وصفحة 234.

(3) البخاري: 1/ 44 و171.

(4) البخاري: 1/123 وج 2/65.

(5) البخاري: 2/71.

(6) صحيح مسلم: 2/157 في باب المسح على الخفين.

صنعت عائشة أقامت برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبالناس معه وليسوا على ماءٍ وليس معهم ماء. فجاء أو بكر ورسول الله صلّى الله عليه واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء. قالت: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرّك إلا مكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أصبح على غير ماءٍ فأنزل الله آية التيمم فتيمموا. فقال أسيد بن الحُضير وهو أحد النقباء: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته(1) .

فهل يصدق مؤمن عرف الإسلام بأن رسول الله يتهاون في أمر الصلاة إلى هذه الدرجة ويحبس المسلمين وهم على غير ماء وليس عندهم ماء كل ذلك من أجل البحث على عقد زوجته الذي ضاع منها. ثم يترك المسلمين يتحسّرون على الصلاة ويشتكون إلى أبي بكر، وهو يذهب فينام على فخذ زوجته ثم يستغرق في نوم لا يشعر معه بدخول أبي بكر وتوبيخه عائشة وطعنها في خاصرتها، وكيف يجوز لهذا الرسول أن يترك الناس يموجون من أجل الماء واقتراب وقت الصلاة وينام هو في حجر زوجته.

ولا شك بأن هذه الرواية وضعت في زمن معاوية بن أبي سفيان ولا أساس لها، وإلاّ كيف نفسّر حادثة مثل هذه حضرها كل الصحابة وتغيب عن عمر بن

الخطاب فلا يعرفها عندما يسئل عن التيمم كما أخرج ذلك البخاري ومسلم في صحيحيهما في باب التيمم.

والمهم في كل هذه الأبحاث هو أن نعرف بأن المؤامرة ضد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كانت مؤامرة خسيسة ودنيئة تعمل على الانتقاص من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحّط من قيمته إلى درجة أن

———————————

(1) صحيح البخاري: 1/86. وصحيح مسلم: 1/191.

أحدنا اليوم (ورغم كل الفساد الذي عم البرّ والبحر) لا يرضى لنفه مثل هذه المواقف والأفعال. فما بالنا بأعظم شخصية عرفا تاريخ البشرية والذي يشهد له ربّ العزة والجلالة بأنه على خلق عظيم.

وقد بدات المؤامرة حسب اعتقادي بعد حجة الوداع وبعد تنصيب الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم للإمام علي كخليفة له يوم غدير خم وبذلك عرف الطّامعون في الرئاسة أن ليس أمامهم إلاّ المعارضة والتمرّد على هذا النص كلّفهم ذلك ما كلّفهم ولو أدّى إلى الانقلاب على الأعقاب. وبذلك يستقيم تفسير الأحداث التي بدأت بمعارضة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم في كل أوامره من كتابة الكتاب إلى تأمير أسامة إلى عدم الذهاب في الجيش الذي عبأه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بنفسه. وكذلك الأحداث التي أعقبت وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم من حمل الناس على البيعة بالقوة وتهديد المتخلفين بالحرق وفيهم علي وفاطمة والحسنين، إلى منع الناس من نقل أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحرق الكتب التي فيها سنة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحبس الصحابة لئلا يتحدثوا بأحاديث النبي، إلى قتل الصحابة الذين امتنعوا عن أداء الزكاة لأبي بكر لأنه ليس هو الخليفة الذي بايعوه على عهد نبيّهم، إلى اغتصاب حق فاطمة الزهراء من فدك والإرث وسهم الخمس وتكذيبها في دعواها، إلى إبعاد الإمام علي عليه السلام عن كل مسؤولية وتولية الفسّاق والمنافقين من بني أمية على رقاب المسلمين إلى منع الصحابة من التبرّك بآثار الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ومحاولة محو اسمه من الأذان إلى إباحة مدينته المنورة للجيش الكافر يفعل فيها ما يشاء إلى ضرب البيت الحرام بالمنجنيق وحرقه وقتل الصحابة في داخله ـ إلى قتل عترة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وسبّهم ولعنهم وحمل الناس على ذلك ـ إلى قتل وتشريد من يحبّ أهل البيت ويتشيع لهم، إلى أن أصبح دين الله لعباً وهزؤاً والقرآن يُمزق ويُعبث به.

والمؤامرة ما زالت حتى اليوم وآثارها ومفعولها يسري في الأمة الإسلامية وما دام هناك في المسلمين من يترضّى عن معاوية ويزيد ويبّرر

أفعالهم بأنها اجتهاد ولهم بها أجرٌ عند الله وما دام هناك من يكتب الكتب والمقالات ضد شيعة أهل البيت ويرميهم بكل شتيمة وشنيعة، وما دام هناك من يستبيح قتل شيعة أهل البيت في بيت الله الحرام وفي موسم الحجّ ـ فالمؤامرة ما زالت متواصلة وستبقى متواصلة إلى أن يشاء الله.

وأنا لست بقادر على كشفها كلها أو الإحاطة بكل تفاصيلها وجوانبها ولكني أحاول بجهدي المتواضع أن أُنزّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الروايات المخزية التي ألصقت بحضرته وأدافع عنه وعن عصمته، وأحاول إقناع المسلمين المثقفين والمتحرّرين بأنّ هذا الرسول الذي أرسله الله لهداية البشرية جميعاً وجعله قمراً وسراجاً مُنيراً هو أجلّ وأعظم وأسمى وأظهر وأنقى وأكمل إنسان خلقه الله تعالى فلا يمكن لنا أن نسكت على مثل هذه الروايات التي لم يقصد من ورائها إلا النيل من كرامته والحطّ من قيمته.

فلا ولن نرضى بهذه الروايات ولو اتفق عليها أهل السنة والجماعة وأخرجوها في صحاحهم ومسانيدهم، لا بل ولو اتفق عليها أهل الأرض كافة. فقوله سبحانه وتعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم) هو القول الفصل والحكم الأصل وليس بعده إلا الأباطيل والأوهام.

وهذا هو قول الشيعة في سيد الأنام ومنقذ البشرية من العمى والضلال وقائدها إلى الأمن والسّلام فاعتبروا يا أولى الألباب!.

قول أهل الذكر في الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم

يقول الإمام علي: حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً وأعزّ الأرومات مغرساً. من الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتخب منها أمناءه، عترته خير العتر وأسرته خير الأسر وشجرته خير الشجر نبتت في حرم وبسقت في كرم، لها فروع طوالٌ وثمرة لا تنال فهو إمام من أتقى وبصيرة من أهتدى، سراج لمع ضوءه

وشهابٌ سطع نوره وزندٌ برق لمعه سيرته القصد وسنته الرشد وكلامه الفصل وحكمه العدل، أرسله على حين فترة من الرسل وهفوةٍ عن العمل وغباوة من الأمم... فبالغ صلّى الله عليه وآله وسلّم في النصيحة ومضى على الطريقة ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة... مستقره خير مستقرّ ومبثّه أشرف منبت في معادن الكرامة ومماهد السلامة قد صُرفت نحوه أفئدة الأبرار وثنيت إليه أزمة الأبصار دفن به الضغائن وأطفأ به الثوائر. ألّف به أخواناً وفرّق به أقراناً، أعزّ به الذلّة وأذلّ به العزّة كلامه بيان وصمته لسان أرسله بحجة كافية، وموعظة شافية ودعوى متلافية، أظهر به الشرائع المجهولة وقمع به البدع المدخولة، وبيّن به الأحكام المفصولة.

أرسله بالضياء وقدّمه في الاصطفاء فرتق به المفاتق وساور به المغالب وذلّل به الصعوبة وسهّل به الحزونة حتى سرح الضلال عن يمين وشمال.

الفصل الثالث

فيما يتعلّق بأهل البيت عليهم السلام

السؤال الثالث: من هم أهل البيت؟

يقول الله سبحانه وتعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) [الأحزاب: 33].

يقول أهل السنة والجماعة بأن هذه الآية نزت في نساء النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، ويستدلّون على ذلك بسياق ما قبلها وما بعدها من الآيات، وعلى حسب زعمهم فإنّ الله أذهب الرجس عن نساء النبي وطهّرهن تظهيراً.

ومنهم من يضيف إلى نساء النّبي علي وفاطمة والحسن والحسين، ولكنّ الواقع النقلي والعقلي والتاريخي يأبى هذا التفسير، لأن أهل السنة يروون في صحاحهم بأنّ الآية نزلت في خمسة وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين،وأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الذي خصّهم ونفسه الشريفة بهذه الآية الكريمة عندما أدخل عليّاً وفاطمة والحسنين معه تحت الكساء. وقال: اللهم هؤلاء أهلي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وقد أخرج ذلك من علماء أهل السنة جمع غفير أذكر منهم:

1 ـ مسلم في صحيحه في باب فضائل أهل بيت النبي: 2/368.

2 ـ الترمذي في صحيحه: 5/30.

3 ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل: 1/330:

4 ـ مستدرك الحاكم: 2/123.

5 ـ خصائص الإمام النسائي: 49.

6 ـ تلخيص الذهبي: 2/150.

7 ـ معجم الطبراني: 1/65.

8 ـ شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: 2/11.

9 ـ البخاري في التاريخ الكبير: 1/69.

10 ـ الإصابة لابن حجر العسقلاني: 2/502.

11 ـ تذكرة الخواص لابن الجوزي: 233.

12 ـ تفسير الفخر الرازي: 2/700.

13 ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: 107.

14 مناقب الخوارزمي: 23.

15 ـ السيرة الحلبية: 3/212.

16 ـ السيرة الدحلانية: 3/329.

17 ـ أسد الغابة لابن الأثير: 2/12.

18 ـ تفسير الطبري: 22/6.

19 ـ الدر المنثور للسيوطي: 5/198.

20 ـ تاريخ ابن عساكر: 1/185.

21 ـ تفسير الكشاف للزمخشري: 1/193.

22 ـ أحكام القرآن لابن عربي: 2/166.

23 ـ تفسير القرطبي: 14/182.

24 ـ الصواعق المحرقة لابن حجر: 85.

25 ـ الاستيعاب لابن عبد البر: 3/37.

26 ـ العقد الفريد لابن عبد ربه: 4/311.

27 ـ منتخب كنز العمال: 5/96.

28 ـ مصابيح السنة للبغوي: 2/278.

29 ـ أسباب النزول للواحدي: 203.

تفسير ابن كثير: 3/483.

وغير هؤلاء من علماء أهل السنة والجماعة كثيرون لم نذكرهم واكتفينا في هذه العجالة بهذا القدر.

وإذا كان كل هؤلاء يعترفون بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الذي بيّن المقصود من هذه الآية فما قيمة أقوال غيره من الصحابة أو التابعين أو المفسّرين الذين يريدون حمل معناها على غير ما يريده الله ورسوله، ابتغاء مرضاة معاوية وطمعاً في ما عنده.

كما أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أشار إليهم مرّة أخرى وخصّهم بأنهم هم أهل البيت لا غيرهم، وذلك عندما نزل قوله سبحانه وتعالى: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) [آل عمران: 61]. فدعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا فهلمّوا أنفسكم وأبناءكم ونساءكم. وفي رواية مسلم «اللهم هؤلاء أهلي»(1) .

وعلماء أهل السنّة والجماعة الذين ذكرتهم في المصادر السّابقة كلّهم يعترفون أيضاً بنزول هذه الآية في هؤلاء الخمسة المذكورين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

على أنّ أزواج النبي رضي الله تعالى عنهن عرفْن مقصود الآية

---

(1) صحيح مسلم: 7/121. باب فضائل علي بن أبي طالب.

الكريمة ولذلك لم تدّعي واحدة منهن أنّها من أهل البيت وعلى رأسهن أمّ سلمة وعائشة وقد روت كل واحدة منهنّ أن الآية خاصة برسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين وقد أخرج اعترافهن كل من مسلم والترمذي والحاكم والطبري والسيوطي والذهبي وابن الأثير وغيرهم.

أضف إلى كل ذلك أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، قد رفع هذا اللّبس وهذا الإشكال لأنّه علم بأنّ المسلمين قد يرؤون القرآن ويحملون أهل البيت على سياق الآيات السابقة واللاّحقة والتي تحذّر نساء النبي، فبادر إلى تعليم الأمّة بمقصود آية إذهاب الرجل والتطهير عندما داوم طيلة ستة أشهر (بعد نزول الآية) على المرور بباب علي وفاطمة والحسنين قبل الشروع في إقامة الصلاة فيقول: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. قوموا إلى الصلاة يرحمكم الله) .

وقد أخرج هذه المبادرة التي فعلها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الترمذي في صحيحه: 5/31 والحاكم في المستدرك: 3/158 والذهبي في تلخيصه ـ وأحمد بن حنبل في مسنده: 3/259 وابن الأثير في أسد الغابة: 5/521 والحسكاني في شواهد التنزيل: 2/11 والسيوطي في الدر المنثور: 5/199 والطبري في تفسيره: 22/6 والبلاذري في أنساب الأشراف: 2/104 وابن كثير في تفسيره: 3/483 والهيثمي في مجمع الزوائد: 9/168 وغيرهم.

وإذا أضفنا إلى كل هؤلاء أئمة أهل البيت وعلماء الشيعة الذين لا يشكّون في اختصاص محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين بهذه الآية الكريمة فلا تبقى بعد ذل أية قيمة لمن خالفهم من أعداء أهل البيت والمتشيعين لمعاوية وبني أميّة الذين يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون.

وقد كشف أولئك الذين يفسّرون الآية على غير تفسير النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم

لها، بأنهم من المتزلّفين إلى الحكّام من الأمويين والعبّاسيين قديماً، وحديثاً بأنهم من النواصب الذين يبغضون عليّاً وإن تستروا بزي العلماء والفقهاء.

على أنّ العقل وحده يحكم بعدم شمول هذه الآية، أعني (إذهاب الرجس ـ والتطهير) لزوجات النبي صلّى الله عليه وآله وسلم.

1 ـ فإذا ما أخذنا على سبيل المثال أمّ المؤمنين عائشة التي تدّعي أنها أحبّ أزواج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إليه وأقربهم لديه حتّى أن باقي أزواج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم غرن منها وبعثن للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ينشدنه العدل في ابنة أي قحافة كما قدّمنا، لم تتجرّأ، ولم يتجرّأ أحد من أنصارها ومحبّيها ولا من السّابقين أو من اللاّحقين أن يقول بأنّ عائشة كانت تحت الكساء يوم نزول الآية، فما أعظم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم في أقواله وأفعاله وما أعظم حكمته عندما حصر أهل بيته معه تحت الكساء حتى أن أمّ المؤمنين أمّ سمة زوجة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أرادت الدخول معهم تحت الكساء وطلبت ذلك من زوجها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكنّه منعها من ذلك وقال لها: «أنت إلى خير».

2 ـ ثم إنّ الآية بمفهومها الخاص والعام دالّ على العصمة. فإن إذهاب الرّجس يشمل كل الذّنوب والمعاصي والرّذائل صغيرها وكبيرها وخصوصاً إذا أضيف إليها تطهير من ربّ العزّة والجلالة، وإذا كان المسلمون يتطهرون بالماء والتراب طهارة جسدية لا تتعدّى ظاهر الجسم، فأهل البيت طهرهم الله طهارة روحية غسلت العقل والقلب والفؤاد فلم تترك لوساوس الشيطان ولا لارتكاب المعاصي مكاناً، فأصبحت قلوبهم صافية نقية خالصة مخلصة لخالقها وبارئها في كل حركاتها وسكناتها.

3 ـ ولكلّ ذلك كان هؤلاء المطهّرون مثالاً للإنسانية جمعاء في الزهد والتقوى والإخلاص والعلم والحلم والشجاعة والمروءة والعفّة والنّزاهة والعُزوف عن الدنيا والقُرب منه جلّ وعلا ولم يسجّل التاريخ لواحد منهم معصية أو ذنباً طيلة حياته.

وإذا كان الأمر كذلك، فلنعد إلى المثال الأول لزوجات النبي صلّى اله عليه وآله وسلّم وهي عائشة التي بلغت من المرتبة السّامية والمكانة العالية والشهرة الكبيرة ما لم تبلغه أيّة زوجة أخرى للنبي صلّى الله عليه وآله وسلم، لا ولا حتّى لو جمعنا فضائلهنّ بأجمعهنّ ما بلغنَ عشر معشار عائشة بنت أبي بكر، هذا ما يقوله أهل السنة فيها والذين يعتبرون أنّ نصف الدّين يؤخذ عنها وحدها.

وإذا ما جرّدنا للحقيقة بدون تعصّب ولا انحياز، فهل من المعقول أن يحكم العقل بأنها مطهّرة من الذنوب والمعاصي؟ أم أنّ الله سبحانه رفع عنها حصانته المنيعة بعد موت زوجها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم؟ فلننظر معاً إلى الواقع.

عائشة في حياة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم

وإذا ما بحثنا حياتها مع زوجها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وجدنا الكثير من الذنوب والمعاصي فكانت كثيراً ما تتآمر مع حفصة على النبي حتّى اضطرّته إلى تحريم ما أحل الله له كما جاء ذلك في البخاري ومسلم وتظاهرتا عليه أيضاً كما أثبت ذلك كل الصحاح وكتب التفسير وقد ذكر الله الحادثتين في كتابه العزيز.

كما كانت الغيرة تسيطر على قلبها وعقلها فتتصرف بحضرة النبي تصرّفاً بغير احترام ولا أدب، فمرّة قالت للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم عندما ذكر عندها خديجة: مالي ولخديجة إنها عجوز حمراء الشدقين أبدلك الله خيراً منها، فغضب لذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى اهتزّ شعره(1) ومرّة أُخرى بعث إحدى أمهات المؤمنين للنبي (وكان في بيتها) بصحفة فيها طعام كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يشتهيه، فكسّرت الصحفة أمامه بطعامها(2) وقالت للنبي مرة أخرى: أنت

---

(1) صحيح البخاري: 4/231 باب تزويج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم خديجة وكذلك صحيح مسلم.

(2) صحيح البخاري: 6/157 في باب الغيرة.

الذي تزعم أنك نبي الله(1) ومرّة غضبت عنده فقالت له: اعدل وكان أبوها حاضراً فضربها حتى سال دمها(2) وبلغ بها الأمر من كثرة الغيرة أن تكذب على أسماء بنت النعمان لمّا زُفّت عرساً للنبي صلّى الله عليه وآله وسلم، فقالت لها: أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ليعجبُه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول له أعوذ بالله منك، وغرضها من وراء ذلك هو تطليق المرأة البريئة الساذجة والتي طلقها النبي بسبب هذه المقالة(3) . وقد بلغ من سوء أدبها مع حضرة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم، أنّه كان يصلّي وهي باسطة رجليها في قبلته فإذا سجد غمزها فقبضت رجليها وإذا قام أعادت بسطتها في قبلته(4) .

وتآمرت هي وحفصة مرّة أخرى على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى اعتزل نساءه بسببها لمدّة شهر كامل ينام على حصير(5) . ولمّا نزل قول الله تعالى: (ترجي من تشاء منهنّ وتؤوي إليك من تشاء...) قالت للنبي في غير حياء: ما أرى ربّك إلا يسارع في هواك(6) وكانت عائشة إذا غضبت (وكثيراً ما كانت تغضب) تهجر اسم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فلا تذكر اسم محمد وإنما تقول وربّ إبراهيم(7) .

وقد أساءت عائشة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كثيراً وجرّعته الغصص ولكن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم رؤوف رحيم، وأخلاقه عالية وصبره عميق، فكان كثيراً ما يقول لها: «ألبسك شيطانك يا عائشة» وكثيرا ما كان يأسى لتهديد الله لها ولحفصة بنت عمر، وكم من مرّة ينزل القرآن بسببها

---

(1) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي: 2/29 كتاب أدب النكاح.

(2) كنز العمّال: 7/116 وكذلك إحياء العلوم للغزالي.

(3) الطبقات الكبرى لابن سعد: 8/145. الإصابة لابن حجر: 4/233. تاريخ اليعقوبي: 2/69.

(4) صحيح البخاري: 1/101 باب الصلاة على الفراش.

(5) صحيح البخاري: 3/105 في باب الغرفة والعلية المشرفة من كتاب المظالم.

(6) صحيح البخاري: 6/24 و128 باب هل للمرأة ان تهب نفسها لأحدٍ. صحيح مسلم باب جواز هبة المرأة نوبتها لضرّتها.

(7) صحيح البخاري: 6/158 باب غيرة النساء ووجدهنّ.

فقد قال تعالى لها ولحفصة: (وإن تنوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) ، أي أنها زاغت وانحرفت عن الحق(1) وقوله: (إن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيراً) هو تهديد صريح من رب العزة لها ولحفصة التي كانت كثيراً ما تنصاع لها وتعمل بأوامرها. وقال الله لهما: (عسى ربّه إن طلّقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات مؤمنات) وهذه الآيات نزلت في عائشة وحفصة بشهادة عمر بن الخطاب كما جاء في البخاري(2) . فدلّت هذه الآية لوحدها على وجود نساء مؤمنات في المسلمين خير من عائشة.

ومرّة بعثها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا أراد أن يخطب لنفسه شراف أخت دحية الكلبي. وطلب من عائشة أن تذهب وتنظر إليها ولما رجعت كانت الغيرة قد أكلت قلبها فسألها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما رأيت يا عائشة؟ فقالت: ما رأيت طائلاً! فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: لقد رأيت طائلاً. لقد رأيت خالاً تجدها اقشعرت منه ذوائبك. فقالت: يا رسول الله ما دونك سرّ. ومن يستطيع أن يكتمك(3) .

وكل ما فعلته عائشة مع حضرة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من مؤامرات كانت في أغلب الأحيان تجرّ معها حفصة بنت عمر والغريب أننا نجد تفاهماً وانسجاماً تامّاً بين المرأتين عائشة وحفصة كالانسجام والتفاهم بين أبويهما أبو بكر وعمر غير أنّه في النّساء كانت عائشة دائماً هي الجريئة والقوية وصاحبة المبادرة وهي التي كانت تجرّ حفصة بنت عمر وراءها في كل شيء. بينما كان أبوها أبو بكر ضعيفاً أمام عمر الذي كان هو الجريء والقوي وصاحب المبادرة في كل شيء ولقد رأينا في ما مرّ من الأبحاث أنّه حتّى في خلافته كان ابن الخطاب هو الحاكم الفعلي ـ وقد حدث بعض

---

(1) صحيح البخاري: 3/106 باب الغرفة والعلية من كتاب المظالم.

(2) صحيح البخاري: 6/69 و71 باب وإذا أسرّ النبي إلى بعض أزواجه.

(3) طبقات ابن سعد: 8/115. كنز العمال: 6/294.

المؤرخين أنّ عائشة لما همّت بالخروج إلى البصرة لمحاربة الإمام علي فيما سُمّي بحرب الجمل أرسلت إلى أزواج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أمهات المؤمنين تسألهن الخروج معها فلم يستجب لها منهن إلاّ حفصة بنت عمر التي تجهّزت وهمّت بالخروج معها لكن أخاها عبد الله بن عمر هو الذي منعها وعزم عليها فحطّت رحلها(1) ومن أجل ذلك كان الله سبحانه يتهدد عائشة وحفصة معاً في قوله: (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيرا)وكذلك قوله: (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) ولقد ضرب الله لهما مثلاً خطيراً في سورة التحريم ليعلمهما وبقية المسلمين الذين يعتقدون بأنّ أم المؤمنين تدخل الجنّة بلا حساب ولا عقاب لأنها زوجة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم كلاّ. فقد أعلم الله عباده ذكوراً وإناثاً بأن مجرد الزوجية لا تضر ولا تنفع حتّى ولو كان الزوج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإنما الذي ينفع ويضرُّ عند الله هو فقط أعمال الإنسان. قال تعالى: (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل أدخلا النار مع الدّاخلين) [التحريم: 10].

وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذا قالت: (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجّني من فرعون وعمله ونجّني من القوم الظالمين. ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربّها وكتبه وكانت من القانتين) [التحريم: 11 ـ 12].

وبهذا يتبين لكل الناس بأن الزوجية والصّحبة وإن كانت فيهما فضائل كثيرة إلا أنهما لا يغنيان من عذاب الله إلاّ إذا اتسمتا بالأعمال الصالحة. وإلاّ فإن العذاب يكون مضاعفاً. لأن عدل الله سبحانه يقتضي أن لا يعذّب البعيد الذي لم يسمع الوحي كالقريب الذي ينزل القرآن في بيته والإنسان الذي عرف الحق فعانده كالجاهل الذي لم يعرف الحق.

---

(1) ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة: 2/80.

وإليك الآن أيها القارئ بعض رواياتها بشيء من التفصيل لكي تتعرف على شخصية هذه المرأة التي لعبت أكبر الأدوار في إبعاد علي عن الخلافة وحاربته بكل

ما أوتيت من قوة ودهاء.

ولكي تعرف أيضاً بأنّ آية إذهاب الرجل والتطهير بعيدة عنها بعد السماء عن الأرض، وأنّ أهل السنة أكثرهم ضحايا الدسّ والتزوير فهم أتباع بني أمية من حيث لا يشعرون.

أم المؤمنين عائشة تشهد على نفسها

ولنستمع إلى عائشة تروي عن نفسها وكيف تفقدها الغيرة صوابها، فتتصرّف بحضرة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم تصرفاً لا أخلاقياً، قالت: «بعثت صفية زوج النبي إلى رسول الله بطعام قد صنعته له، وهو عندي، فلما رأيت الجارية أخذتني رعدة حتّى أستقلّني أفكل، فضربت القصعة ورميت بها، قالت: فنظر إليّ رسول اله صلّى الله عليه وآله وسلّم فعرفت الغضب في وجهه، فقتل: أعوذ برسول الله أن يلعنني اليوم، قالت، قال: أوّلي، قلت وما كفّارته يا رسول الله؟ قال: طعام كطعامها وإناء كإنائها(1) .

ومرة أخرى تروي عن نفسها، قالت: قلت للنبي حسبُك من صفيّة كذا وكذا، فقال لي النبي صلّى الله عليه وآله وسلم: لقد قلتِ كلمة لو مُزجتْ بماء البحر لمزجته(2) .

سبحان الله! أين أم المؤمنين من الأخلاق وأبسط الحقوق التي فرضها الإسلام في تحريم الغيبة والنّميمة؟ ولا شكّ بأن قولها: «حسبك من صفية كذا وكذا»، وقول الرسول بأنها كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته بأنّ ما قالته عائشة في ضرّتها أمّ المؤمنين صفية أمرٌ عظيم، وخطبٌ جسيم.

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل: 6/277، وسنن النسائي: 2/148.

(2) صحيح الترمذي وقد رواه عنه الزركشي في صفحة 73.

وأعتقد بأنّ روّاة الحديث استفضعوها واستعظموها فأبدلوها بعبارة (كذا وكذا) كما هي عادتهم في مثل هذه القضايا.

وها هي عائشة أم المؤمنين تحكي مرة أخرى عن غيرتها من أمهات المؤمنين قالت: ما غرت على امرأة إلاّ دون ما غرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة جعدة وأعجب بها رسول الله، وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت حارثة بين النعمان، وفزعنا لها فجزعت، فحوّلها رسول الله إلى العالية فكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشدّ علينا ثم رزقه الله الولد منها وحرمناه(1) .

كما أنّ عائشة تعدت غيرتها دائرة مارية ضرّتها إلى إبراهيم المولود الرضيع البريء! قالت لما ولد إبراهيم جاء به رسول الله إليّ، فقال: أنظري إلى شبهه بي، فقلت: ما أرى شبهاً، فقال رسول الله: ألا ترين إلى بياضه ولحمه؟ قالت فقلت: من سقي ألبان الضّان إبيضّ وسمن(2) .

وقد تعدّت غيرتها كل الحدود وفاقت كل تعبير عندما وصلت بها الظّنون والوساوس إلى الشك في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فكانت كثيراً ما تتظاهر بالنّوم عندما يبات عندها رسول الله ولكنّها ترقب زوجها وتتحسّس مكانه في الظلام وتتعقّبه أين ما ذهب وإليك الرواية عن لسانها والتي: أخرجها مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده وغيرهم قالت: لمّا كانت ليلتي التي كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلاّ ريثما ظنّ أن قد رقدتُ فأخذ رداءه رويداً وانتعل رويداً وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويداً فجعلت درعي في رأسي

---

(1) الطبقات الكبرى لأبن سعد: 8/212، أنساب الأشراف: 1/449، الإصابة في معرفة الصحابة للعسقلاني أخرجها في ترجمة مارية القبطية.

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد: 1/37 ترجمة إبرايم بن النبي ـ وكذلك في أنساب الأشراف.

واختمرت وتقنعت إزاري ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرّات ثم انحرف فانحرفت فأسرع فاسرعت فهرول فهرولت فأحضر فأحضرت فسبقته فدخلت فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال: مالك يا عائش حشياً رابيةً؟ قالت فقلت: لا شيء قال: لتخبريني أو ليخبرني اللّطيف الخبير قالت قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي فأخبرته قال: فأنت السّواد الذي رأيت أمامي قلت: نعم، فلهدني في صدري لهدة أوجعتني ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله...(1) .

ومرة أخرى قالت فقدت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فظننت أنّه أتى بعض جواريه، فطلبته فإذا هو ساجد يقول: رب اغفر لي(2) وأخرى قالت: إن رسول الله خرج من عندي ليلاً، قالت: فغرت عليه، قالت فجاء فرأى ما أصنع فقال: مالك يا عائشة، أغرتِ؟ فقلت: ومالي أن لا يغار مثلي على مثلك! فقال رسول الله: أفأخذك شيطانك...(3) .

وهذه الرواية الأخيرة تدلّ دلالة واضحة على أنها عندما تغار تخرج عن أطوارها وتفعل أشياء غريبة كأن تكسّر الأواني أو تمزّق الملابس مثلاً. ولذلك تقول في هذه الرواية فلمّا جاء ورأى ما أصنع قال: أفأخذكِ شيطانكِ؟

ولا شك أنّ شيطان عائشة كان كثيراً ما يأخذها أو يلبسها وقد وجد لقلبها سبيلاً من طريق الغيرة وقد روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «الغيرة للرّجل إيمان وللمرأة كفرٌ». باعتبار أن الرّجل يغار على زوجته لأنّه لا يجوز شرعاً أن يشاركه فيها أحد ـ أما المرأة فليس من

---

(1) صحيح مسلم: 3/64 باب ما يقال عند دخول القبور، مسند أحمد بن حنبل: 6/221.

(2) مسند الإمام أحمد: 6/147.

(3) مسند أحمد بن حنبل: 6/115.

حقّها أن تغارٍ على زوجها لأنّ الله سبحانه أباح له الزواج بأكثر من واحدة، فالمرأة الصالحة المؤمنة التي أذعنت لأحكام الله سبحانه تتقبّل ضرّتها بنفس رياضية كما يقال اليوم وخصوصاً إذا كان زوجها عادلاً مستقيماً يخاف الله، فما بالك بسيّد الإنسانية ورمز الكمال والعدل والخلق العظيم؟ على أنّنا نجد تناقضاً واضحاً في خصوص حبّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لعائشة وما يقوله أهل السنّة والجماعة من أنّها كانت أحبّ نسائه إليه وأعزّهم لديه حتّى أنّهم يروون أنّ بع نسائه وهبْنَ نوبتهنّ لعائشة لمّا علمن بأنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يحبّها ولا يصبر عليها، فهل يمكن والحال هذه أن نجد مبرّراً وتفسيراً لغيرة عائشة المفرطة؟ والمفروض أن العكس هو الصحيح. أي أن تغار بقية أزواج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من عائشة لشدّة حبه إياها وميله معها كما يروون ويزعمون، وإذا كانت هي المدلّلة عند الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فما هو مبرّر الغيرة؟

والتاريخ لم يحدّث إلا بأحاديثها وكتب السيرة طافحة إلاّ بتمجيدها وأنها حبيبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المدلّلة التي كان لا يطيق فراقها.

واعتقد بأنّ كل ذلك من الأمويّين الذين أحبّوا عائشة وفضّلوها لمّا خدمت مصالحهم وروت لهم ما أحبّوا وحاربت عدوّهم علي بن أبي طالب.

وكما أعتقد بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يكن يحبّها لما فعلته معه كما قدّمنا! وكيف يحبّ رسول الله من تكذب وتغتاب وتمشي بالنميمة وتشكّ في الله ورسوله وتظنّ منهما الحيف ـ كيف يحبّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من تتجسّس عليه وتخرج من بيتها بدون إذنه لتعلم أين يذهب ـ كيف يحبّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من تشتم زوجاته بحضرته ولو كنّ أمواتاً ـ كيف يحبّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من تبغض إبنه إبراهيم وترمي أمّه مارية بالإفك(1) ـ كيف يحبّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من تتدخّل بينه وبين زوجاته بالكذب مرّة وبإثارة الأحقاد أخرى وتتسبب في

---

(1) يراجع في هذا الموضوع كتاب حديث الإفك للعلاّمة جعفر مرتضى العاملي.

طلاقهنّ ـ كيف يحبّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من تبغض إبنته الزهراء وتبغض أخاه وابن عمّه علي بن أبي طالب إلى درجة أنها لا تذكر إسمه ولا تطيب له نفساً بخير(1) . كلّ هذا وأكثر في حياته صلّى الله عليه وآله وسلّم أمّا بعد وفاته فحدّث ولا حرج.

وكل هذه الأفعال يمقُتها الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا يحبّان فاعلها. لأنّ الله هو الحق ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم يمثل الحق. فلا يمكن له أن يُحب من كان على غير الحق.

وسوف نعرف خلال الأبحاث القادمة بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يكن يحبّها. بل إنّه حذّر الأمة من فتنتها(2) .

سألت بعض شيوخنا مرّة عن سبب حبّ النبي المفرط لعائشة بالذّات دون سواها؟ فأجابوني بأجوبة عديدة كلّها مزيّفة.

قال أحدهم: لأنها جميلة وصغيرة وهي البكر الوحيدة التي دخل بها ولم يشاركه فيها أحد سواه. وقال آخر: لأنها ابنة أبي بكر الصدّيق صاحبه في الغار.

وقال ثالث: لأنها حفظت عن رسول الله نصف الدّين فهي العالمة الفقيهة. وقال رابع: لأنّ جبرئيل جاءه بصورتها وكان لا يدخل على النبي إلاّ في بيتها.

وأنت كما ترى أيها القارئ بأن كلّ هذه الدّعايات لا تقوم على دليل ولا يقبلها العقل والواقع. وسوف نأتي على نقضها بالأدلة. فإذا كان الرسول يحبّها لأنها جميلة وهي البكر والوحيدة التي دخل بها. فما الذي يمنعه من الزواج بالأبكار الجميلات اللآتي كن بارعات في الحسن والجمال وكنّ

---

(1) صحيح البخاري: 3/135 باب هبة الرجل لامرأته من كتاب الهبة وفضلها.

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد: 2/29.

(3) صحيح البخاري: 4/46 باب ما جاء في بيوت أزواج النبي من كتاب الجهاد والسير.

مضرب الأمثال في القبائل العربية وكنّ رهن إشارته. على أنّ المؤرخين يذكرون غيرة عائشة من زينب بنت جحش ومن صفية بنت حيي ومن مارية القبطية لأنهن كنّ أجمل منها.

روى ابن سعد في طبقاته: 8/148 وابن كثير في تاريخه: 5/299 أنّ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم تزوّج مليكة بنت كعب. وكانت تعرف بجمال بارع. فدخلت

عليها عائشة، فقالت لها: أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيك، فاستعاذت من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فطلّقها فجاء قومها إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فقالوا: يا رسول الله إنّها صغيرة وإنها لا رأي لها، وإنها خُدعت فارجِعْها، فأبى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وكان أبوها قد قُتل في يوم فتح مكة، قتله خالد بن الوليد بالخندمة.

وهذه الرواية تدلّنا بوضوح بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما كان همّه من الزواج الصغر والجمال وإلاّ لما طلّق مليكة بنت كعب وهي صغيرة وبارعة في الجمال، كما تدلّنا هذه الرواية وأمثالها على الأساليب التي إتّبعتها عائشة في خداع المؤمنات البريئات وحرمانهن من الزواج برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وقد سبق لها أن طلّقت أسماء بنت النّعمان لمّا غارت من جمالها وقالت لها: إن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ليعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول له: أعوذ بالله منك، وهذه مليكة، تُثير فيها حساسية مقتل أبيها وأنّ قاتله هو رسول الله وتقول لها: أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيك، فما كان جواب هذه المسكينة إلاّ أنها استعاذت من رسول الله! وما عساها أن تقول غير ذلك والناس لا يزالون حديثي عهد بالجاهلية الذين يأخذون بالثأر ويعيّرون من لا يثأر لأبيه؟

بقي أن نتساءل ويحق لنا أن نتساءل: لماذا يطلّق الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم هاتين المرأتين البريئتين واللّتين ذهبتا ضحية مكر وخداع عائشة لهنّ؟

وقبل كل شيء لابدّ لنا أن نضع في حسابنا أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم معصوم ولا يظلم أحداً ولا يفعل إلاّ الحق فلا بدّ أن يكون في تطليقهنّ حكمة يعلمها الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما ان عدم تطليق عائشة رغم أفعالها فيه أيضاً حكمة، ولعلّنا نقف على شيء منها في الأبحاث المقبلة.

أما بالنسبة للمرأة الأولى وهي أسماء بنت النعمان فقد ظهرت سذاجتها عندما انطلت عليها حيلة عائشة فأول كلمة قابلت بها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عندما مدّ يده إليها هي: «أعوذ بالله منك». ورغم جمالها البارع فلم يبقها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لبلاهتها يقول ابن سعد في طبقاته في: 8/145 وغيره عن ابن عبّاس: قال: «تزوج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أسماء بنت النعمان وكانت من أجمل أهل زمانها وأتمّه». ولعلّه صلّى الله عليه وآله وسلم؟ أراد أن يعلّمنا أنّ رجاحة العقل أولى من الجمال. فكم من امرأة جميلة جرّها غباؤها للفاحشة.

أمّا بالنسبة للمرأة الثانية وهي مليكة بنت كعب والتي عيّرتها عائشة بأن زوجها هو قاتل أبيها، فلم يرد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أن تعيش هذه المسكينة (والتي هي صغيرة السنّ ولا رأي لها كما شهد بذلك قومها) على هواجس ومخاوف قد تُسبّب مصائب كبرى خصوصاً وأنّ عائشة سوف لن تتركها ترتاح مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. ولا شك أنّ هناك أسباباً أخرى يعلمها رسول الله وغابت عنّا.

والمهم أن نعرف بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يكن يجري وراء الجمال والشهوات الجسدية والجنسية كما يتوهّمه بعض الجاهلين وبعض المستشرقين الذين يقولون كان همّ محمّد هو النساء الحسناوات.

وقد رأينا كيف طلّق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هاتين المرأتين رغم صغرهما وجمالهما فكانتا أجمل أهل زمانهما وأتمّه كما جاء

في كتب التاريخ وكتب الحديث ـ فقول من يدّعي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يحبّ عائشة لصغرها وجمالها مردود ولا يقبل.

أمّا القائلين بان حبّه إيّاها لأنها إبنة أبي بكر، فهذا غير صحيح، ولكن يمكننا أن نقول بأنّه تزوّجها من أجل أبي بكر، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تزوّج من عدّة قبائل زواجاً سيّاسياً لتأليف القلوب ولتسُود المودة والرحمة في تلك القبائل بدلاً من التنافر والتّباغض فقد تزوّج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بأمّ حبيبة أخت معاوية وهي بنت أبي سفيان العدوّ الأول للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وذلك لأنّه لا يحقد وهو رحمة للعالمين، وقد تعدّى عطفه

وحنانه القبائل العربية إلى مصاهرة اليهود والنصارى والأقباط ليقرّب أهل الأديان بعضهم من بعض.

وبالخصوص إذا عرفنا من خلال ما نقرأه في كتب السّيرة بأنّ أبا بكر هو الذي طلب من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن يتزوج من ابنته عائشة، كما طلب عمر من النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن يتزوج إنته حفصة، وقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأن قلبه يسع أهل الأرض كلّهم.

قال تعالى: (ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك) [آل عمران: 159].

وإذا رجعنا إلى الرواية التي روتها عائشة وقالت فيها بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يلبث إلاّ ريثما ظنّ أن قد رقدت فأخذ رداءه رويداً وفتح الباب فخرج ثم أجافه، عرفنا كذب الزعم بأنه صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يصبر عنها(1) .

وهذا الاستنتاج ليس استنتاجاً عفوياً ألّفه خيالي، كلاّ فإنّ له أدلّة في صحاح السنّة، فقد روى مسلم في صحيحه وغيره من صحاح أهل السنّة، أنّ عمر بن الخطاب قال: لمّا اعتزل نبي الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نساءه قال دخلت المسجد فإذا النّاس ينكتون بالحصى ويقولون طلّق رسول الله صلّى

---

(1) صحيح مسلم: 3/64، ومسند الإمام أحمد: 6/221.

الله عليه وسلّم نساءه وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب، فقال عمر: فقلت لأعلمنّ ذلك اليوم قال: فدخلت على عائشة فقلت:

يا بنت أبي بكر أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقالت: مالي ومالك يا ابن الخطاب عليك بعيبتك! قال: فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها: يا حفصة أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، والله لقد علمت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يحبّك، ولولا أنا لطلّقك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، فبكت أشدّ البكاء... الحديث(1) .

إنّ هذه الرواية تدلّنا بوضوح لا يقبل الشكّ في أن زواج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من حفصة بنت عمر لم يكن عن محبّة، ولكنّه لمصلحة سياسية اقتضتها الظروف.

وممّا يزيدنا يقيناً بصحّة ما ذهبنا إليه في هذا الاستنتاج أنّ عمر بن الخطاب يُقسمُ بالله بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يحبّ حفصة ويزيدنا عمر يقيناً جديداً بأنّ ابنته حفصة تعلم هي الأخرى هذه الحقيقة المؤلمة، إذ يقول لها: «والله لقد علمت بأنّ رسول الله لا يحبّك».

ثم لا يبقي لنا أدنى شكّ في أنّ الزواج منها كان لمصلحة سياسيّة عندما قال: «ولولا أنا لطّلقك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم».

فهذه الرواية تعطينا أيضاً فكرة على زواج النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بعائشة بنت أبي بكر، وأنّه صبر وتحمّل كل أذاها من أجل أبي بكر أيضاً، وإلاّ فإنّ حفصة أولى بحبّ الرسول وتقديره، لأنّه لم يصدر منها ما يسيء للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم عشر معشار ما فعلته عائشة بنت أبي بكر.

---

(1) صحيح مسلم: 4/188 في باب الإيلاء واعتزال النّساء وتخييرهنّ وقوله تعالى: (وإن تظاهرا عليه) .

وإذا بحثنا في الواقع العملي بقطع النّظر عن الروايات الموضوعة الّتي نمّقها بنو أميّة في فضائل عائشة لوجدنا أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان

كثيراً ما يتأذّى منها وكثيراً ما يغضب عليها. وها نحن ننقل رواية واحدة أخرجها البخاري وكثير من المحدّثين من أهل السنّة، تعرب عن مدى النفور الذي كانت تشعر به أم المؤمنين عائشة من قبل زوجها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

أخرج البخاري في صحيحه في الجزء السابع في باب قول المريض إنّي وجع، أو وارأساه.

قال: سمعت القاسم بن محمد قال قالت عائشة: وا رأساه! فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: «ذاك لو كان وأنا حيّ فأستغفر لك وأدعو لك» فقالت عائشة: واثكلياه، والله إنّي لأظنّك تحبّ موتي، ولو كان ذاك لظللت آخر يومك معرّساً ببعض أزواجك(1) .

فهل تدلّك هذه الرواية على حبّ النبيّ لعائشة؟؟

ونخلص بالأخير إلى أنّ بني أميّة وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان، يبغضون رسول الله صلّى الله عليه وآله، ومنذ أن آلت إليهم الخلافة عملوا على تقليب الحقائق ظهراً على عقب، ورفعوا أقواماً إلى القمّة من المجد والعظمة بينما كانوا في حياة النبيّ أناساً عاديّين وليس لهم شان كبير، ووضعوا آخرين كانوا في قمة الشرف والعزّ أيام النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم.

وأعتقد أنّ ميزانهم الوحيد في الرفع والوضع هو فقط عداؤهم الشديد وبغضهم اللاّمحدود لمحمد وأهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين، فكل شخص كان ضد الرسول صلّى الله عليه وآله وضد أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً رفعوا من شأنه واختلقوا له روايات

---

(1) صحيح البخاري: 7/8 من كتاب المرضى والطبّ.

وفضائل وقربوه وأعطوه المناصب والعطايا فأصبح يحظى بتقدير الناس واحترامهم.

وكل شخص كان يحب الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ويدافع عنه، عملوا على انتقاصه وخلق المعايب الكاذبة له واختلاق الروايات التي تنكر فضله وفضائله.

وهكذا أصبح عمر بن الخطاب الذي كان يعارضه في كل أوامره حتى رماه بالهجر في أواخر أيام حياته صلّى الله عليه وآله وسلم. أصبح هذا الرجل هو قمة الإسلام عند المسلمين زمن الدولة الأموية.

أما علي بن أبي طالب الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى والذي يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله والذي هو ولي كل مؤمن أصبح يلعنُ على منابر المسلمين ثمانين عاماً.

وهكذا أصبحت عائشة التي جرّعت رسول الله الغصص وعصت أوامره كما عصت أمر ربّها، وحاربت وصيّ رسول الله وتسبّبت في أكبر فتنة عرفها المسلمون والتي قتل فيها الآلف المسلمين، أصبحت هذه المرأة هي أشهر نساء الإسلام وعنها تؤخذ الأحكام ـ أما فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين التي يغضب ربّ العزّة لغضبها ويرضى لرضاها، أصبحت نسياً منسياً ودفنت في الليل سرّاً بعد ما هدّدوها بالحرق وعصروا على بطنها بالباب حتى أسقطت جنينها ولا أحد من المسلمين من أهل السنة يعرف رواية واحدة تنقلها عن أبيها.

وهكذا أصبح يزيد بن معاوية وزياد بن أبيه وابن مرجانة وابن مروان والحجّاج وابن العاص وغيرهم من الفسّاق الملعونين بنص الكتاب على لسان نبي الله. نعم أصبح هؤلاء أمراء المؤمنين وولاّة أمورهم ـ أما الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وريحانتا النبي من هذه الأمة، والأئمة من

عترة الرسول الذين هم أمان الأمة، أصبحوا مشرّدين مسجونين مقتولين مسمومين.

وهكذا أصبح أبو سفيان المنافق الذي ما وقعت حربٌ ضدّ الرّسول إلاّ وكان هو قائدها، أصبح محموداً مشكوراً حتى قيل من دخل داره كان آمناً أما أبو طالب حامي النبي وكفيله والمدافع عنه بكل ما يملك، والذي قضى حياته مناوئاً لقومه وعشيرته من أجل دعوة ابن أخيه حتى قضى ثلاث سنوات في الحصار مع النبيّ في شعب مكة وكتم إيمانه لمصلحة الإسلام أي لإبقاء بعض الجسور مفتوحة مع قريش فلا يؤذون المسلمين كما يريدون ـ وذلك كمؤمن آل فرعون الذي كتم إيمانه. أما هذا فكان جزاؤه ضحضاح من نار يضع فيها رجله فيغلي منها دماغه، وهكذا أصبح معاوية بن أبي سفيان الطليق بن الطّليق واللعين بن اللعين ومن كان يتلاعب بأحكام الله روسوله ولا يقيم لها وزناً ويقتل الصلحاء والأبرياء في سبيل الوصول إلى أهدافه الخسيسة ويسبّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على مرأى ومسمع من المسلمين(1) ، أصبح هذا الرّجل يسمى كاتب الوحي ويقولون بأن الله إئتمن على وحيه جبرئيل ومحمداً ومعاوية وأصبح يوصف بأنه رجل الحكمة والسياسة والتدبير.

أما أبو ذر الغفاري الذي ما أقلّت الخضراء ولا أظلت الغبراء أصدق ذي لهجة منه، فأصبح صاحب فتنة يضربُ ويشرّد ويُنفى إلى الربذة وأما سلمان والمقداد وعمار وحذيفة وكل الصحابة المخلصين الذين والوا عليا وتشيعوا له فقد لا قوا التعذيب والتشريد والقتل.

وهكذا أصبح أتباع مدرسة الخلفاء وأتباع معاوية وأصحاب المذاهب الذين أوجدتهم السلطة الجائرة، أصبحوا هم أهل السنة والجماعة وهم

———————————

(1) يقول الشاعر في هذا المعنى:

عاندوا "أحمد" وعادوا علياً * وتولوا منافقاً وغوياً وأسروا سبّ النبي نفاقاً * حين سبّوا جهراً أخاه علياً

الذين يمثلون الإسلام ومن خالفهم كان من الكافرين. ولو اقتدى بأئمة أهل البيت الطيبين الطاهرين.

أما أتباع مدرسة أهل البيت الذين اتبعوا باب مدينة العلم وأول الناس إسلاماً ومن كان الحق يدور معه حيث دار، وتشيعوا لأهل البيت واتبعوا الأئمة المعصومين، أصبحوا هم أهل البدعة والضلالة ومن خالفهم وحاربهم كان من المسلمين * فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم وصدق الله إذ يقول:

(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) [البقرة: 13].

وإذا رجعنا إلى موضوع حبّ الرسول صلّى الله عليه وآله لعائشة لأنها حفظت عنه نصف الدّين وكان يقول خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء، فهذا حديث باطل لا أساس له من الصّحة ولا يستقيم مع ما روي عن عائشة من أحكام مضحكة مبكية يتنزه عن ذكرها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. ويكفينا مثلاً على ذلك قضية رضاعة الكبير التي كانت ترويها عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والتي أخرجها مسلم في صحيحه ومالك في موطّأه والتي وافينا البحث فيها في كتابنا "لأكون مع الصادقين" فمن أراد التفصيل والوقوف على جلية الأمر فليراجعه.

ويكفي في هذه الرواية الشنيعة أن زوجات النبي كلّهن رفضن العمل بها وأنكرنها. وحتى أن راويها بقي عاماً كاملاً يتهيب أن يذكرها لفظاعتها وقلة حيائها.

وإذا ما رجعنا إلى صحيح البخاري في باب يقصر من الصّلاة إذا خرج من موضعه، قال: عن الزهريّ عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: الصلاة أول ما فُرضت ركعتان فأقرّت صلاة السّفر وأتمّت صلاة الحضر، قال الزهري: فقلت لعروة فما بال عائشة تتم؟ قال: تأولت ما تأول عثمان ـ وأخرجها مسلم في صحيحه في باب صلاة المسافرين وقصرها وبعبارة أوضح مما في البخاري. قال عن الزهري عن عروة عن عائشة أن الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرّت صلاة السفر وأتمّت صلاة الحضر، قال الزهري فقلت لعروة: ما بال عائشة تتم في السفر؟ قال: إنها تأولت كما تأول عثمان.

إنه التناقض الصريح، فهي التي تروي بأن صلاة المسافر فرضت ركعتين ولكنها تخالف ما افترضه الله وعمل به رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتتأول لتغير أحكام الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم إحياء لسنة عثمان ولهذه الأسباب نجد كثيراً من الأحكام في صحاح أهل السنة والجماعة ولكن لا يعملون بها لأنهم في أغلب الأحيان يأخذون بتأول أبي بكر وتأول عمر وتأول عثمان وتأول عائشة وتأول معاوية بن أبي سفيان وغيرهم من الصحابة.

فإذا كانت الحميراء التي يؤخذ عنها نصف الدّين تتأول في أحكام الله كيف تشاء، فلا أعتقد بأن زوجها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يرضى منها هذا ويأمر الناس بالاقتداء بها، على أنه ورد في صحيح البخاري وصحاح أهل السنة إشارة إلى أن في اتباعها معصية لله، وسنوافيك بذلك في أوانه إن شاء الله.

وأما القائلون بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يحبّها لأن جبرئيل أتاه بصورتها قبل الزواج وأنه لا يدخل عليه إلاّ في بيتها فهذه روايات تضحك المجانين ولست أدري أكانت الصورة التي جاء بها جبرئيل فوتوغرافية أم لوحة زيتية، على أن صحاح أهل السنة يروون بأن أبا بكر بعث بعائشة إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ومعها طبق من التمر لينظر إليها وهو الذي طلب من النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يتزوج ابنته، فهل هناك داع لنزل جبرئيل بصورتها وهي تسكن على بعد بضع أمتار من مسكن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأعتقد أن مارية

القبطية التي كانت تسكن مصر وهي بعيدة عن رسول الله صلّى الله عليه وما كان أحد يتصور مجيئها، هي أولى بأن ينزل جبرئيل بصورتها ويبشر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّ الله سيرزقه منها إبراهيم.

ولكن هذه الروايات هي من وضع عائشة التي كانت لا تجد شيئاً تفتخر به على ضرّاتها إلاّ الأساطير التي يخلقها خيالها، أو أنها من وضع بني أمية على لسانها ليرفعوا من شأنها عند بسطاء العقول.

وأما أن جبرئيل كان لا يدخل على محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو مضطجع إلاّ في بيت عائشة فهي أقبح من الأولى والمعلوم من القرآن الكريم أنّ الله هدّدها عندما تظاهرت على رسوله، هدّدها بجبرئيل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيراً.

فما أقوال شيوخنا وعلمائنا إلاّ ضربٌ من الظنّ والخيال وإنّ الظنّ لا يغني من الحق شيئاً ـ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلاّ الظن وإن أنتم إلاّ تخرصون.

عائشة فيما بعد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم

أما إذا درسنا حياة أم المؤمنين عائشة إبنة أبي بكر بعد لحوق زوجها بالرفيق الأعلى روحي له الفداء. وبعد ما خلا لها الجو وأصبح أبوها هو الخليفة والرئيس على الأمة الإسلامية وأصبحت هي حينذاك المرأة الأولى في الدولة الإسلامية لأن زوجها رسول الله وأبوها هو خليفة رسول الله.

ولأنها كما تعتقد هي أو توهم نفسها بأنها أفضل أزواج النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، لا لشيء إلاّ لأنه تزوجها بكراً وما تزوج بكراً غيرها، وقد توفي عنها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهي في عزّ شبابها وزهرة عمرها فكان عمرها يوم وفاة زوجها ثمانية عشر عاماً على أكثر التقادير وأشهر الروايات، ولم تعاشر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سوى ست أو ثمان سنوات على اختلاف الرّواة قضت السنوات الأولى منها تلعب ألعاب

الأطفال وهي زوجة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وهي كما وصفتها بريرة جارية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عندما قالت في عائشة "إنها جارية حديثة السنّ تنام عن العجين فتأتي الدّاجن فتأكله"(1) .

نعم ثمانية عشر عاماً لفتاة بلغت سن المراهقة كما يقال اليوم وقضت نصف عمرها مع صاحب الرسالة وبين ضرّاتٍ يبلغ عددهن عشر أو تسع زوجات وهناك امرأة أخرى أغفلنا ذكرها في حياة عائشة وكانت أشدّ عليها من كل ضرّة لأن حب الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لها فاق التصور وهذه المرأة هي فاطمة الزهراء ربيبة عائشة إبنة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من خديجة وما أدراك ما خديجة الصدّيقة الكبرى التي سلّم عليها جبرئيل وبشرها ببيت لها في الجنة لا صخب فيه ولا نصب(2) .

والتي كان رسول اله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يدع مناسبة تفوته إلاّ ويذكر خديجة فيتفطر كبد عائشة ويحترق قلبها غيرة فتثور ثائرتها وتخرج عن أطوارها فتشتم بما يحلو لها ولا تبال بعواطف زوجها ومشاعره. ولنستمع إليها تحدث عن نفسها بخصوص خديجة كما روى البخاري وأحمد والترمذي وابن ماجة قالت: ما غرت على امرأة لرسول الله كما غرت على خديجة(3) لكثرة ذكر رسول الله إياها وثنائه عليها، فقلت ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين هلكت في الدّهر قد أبدلك الله خيراً منها، قالت: فتغير وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تغيراً ما كنت أراه إلاّ عند نزول الوحي، وقال: لا ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، وواستني بما لها إذ حرمني الناس، ورزقني الله

———————————

(1) صحيح البخاري: 3/156 باب تعديل النساء بعضهن بعضهاً.

(2) صحيح البخاري: 4/231. صحيح مسلم باب فضائل أم المؤمنين خديجة: 7/133.

(3) قد مرّ بنا سابقاً قولها ما غرت على امرأة كما غرت على صفية وقولها ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، لك الله يا عائشة فهل سلمت واحدة من أزواج النبي من غيرتك وأذيّتك؟

عز وجلّ ولدها إذ حرمني أولاد النساء.

وليس هناك شك أنّ ردّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم يبطل دعوى من يقول بأن عائشة هي أحب وأفضل أزواج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وأكيد أيضاً أن عائشة إزدادت غيرة وكرهاً لخديجة عندما قرّعها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بهذا التوبيخ وأعلمها بأن ربّه لم يبدله خيراً من خديجة، ومرّة أخرى يعلّمنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنه لا يميل مع الهوى ولا يحبّ الجمال والبكارة، لأن خديجة سلام الله عليها تزوجت قبلة مرّتين وكانت تكبره بخمسة عشرة عاماً، ومع ذلك فهو يحبّها ولا ينثني عن ذكرها، وهذا لعمري هو خُلق النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي يحب في الله ويبغض في الله. وهناك فرق كبير بين هذه الرواية الحقيقة وتلك المزيفة التي تدّعي بأن الرسول يميل إلى عائشة حتى بعثن إليه نساؤه ينشدنه العدل في ابنة أبي قحافة.

وهل لنا أن نسأل أم المؤمنين عائشة التي ما رأت يوماً في حياتها السيدة خديجة ولا التقت بها كيف تقول عنها عجوز حمراء الشدقين؟ وهل هذه هي أخلاق المؤمنة العادية التي يحرم عليها أن تغتاب غيرها إذا كان حياً؟ فما بالك بالميت الذي أفضى إلى ربّه، فما بالك إذا كان ضحية الغيبة زوج رسول

الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والتي ينزل جبرئيل في بيتها ويبشّرها ببيت في الجنة لا صخب فه ولا نصب(1) .

وبالتأكيد أن ذلك البغض وتلك الغيرة التي تاجّجت في قلب عائشة من اجل خديجة لابدّ لها من فورة ومتنفس وإلاّ انفجرت. فلم تجد عائشة أمامها إلاّ فاطمة إبنة خديجة ربيبتها والتي هي في سنها أو تكبرها قليلاً على اختلاف الرّواة.

وبالتأكيد أيضاً أن ذلك الحبّ العميق من رسول الله صلّى الله عليه وآله

———————————

(1) صحيح البخاري: 4/231. صحيح مسلم باب فضل خديجة أم المؤمنين.

وسلم لخديجة تجسّد وقوي في ابنته ووحيدته فاطمة الزهراء، فهي الوحيدة التي عاشت مع أبيها تحمل في جنباتها أجمل الذكريات التي كان يحبّها رسول الله في خديجة فكان يسميها أم أبيها.

وزاد في غيرة عائشة أن ترى رسول الله يمجّد إبنته ويسميها سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة(1) ثم يرزقه الله منها سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين فترى رسول اله صلّى الله عليه وآله وسلّم يذهب ويبات عند فاطمة ساهراً على تربية أحفاده ويقول: ولداي هذان ريحانتي من هذه الأمة ويحملهما على كتفيه فتزداد بذلك عائشة غيرة لأنها عقيم، ثم ازدادت الغيرة أكثر عندما شملت زوج فاطمة أبا الحسنين لا لشيء إلاّ لحبّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إياه وتقديمه على أبيها في كل المواقف. فلا شك أنّها كانت تعيش الأحداث.

وترى ان أبي طالب يفوز في كل مرة على أبيها ويمضي بحب الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم له وتفضيله وتقديمه على من سواه. فقد عرفت أن أبوها رجع مهزوماً في غزوة خيبر بمن معه من الجيوش وأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تألم لذلك وقال: لأعطين غداً الراية إلى رجل يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كرّاراً ليس فراراً. وكان ذلك الرجل هو علي بن أبي طالب زوج فاطمة، ثم رجع علي بعد ما فتح خيبر بصفية بنت حيي التي تزوجها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ونزلت على قلب عائشة كالصاعقة.

وقد عرفت أيضاً أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعث أبوها بسورة براءة ليبلّغها إلى الحجيج ولكنه أرسل خلفه علي بن أبي طالب فأخذها منه ورجع أبوها يبكي ويسأل عن السبب فيجيبه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: "إن الله أمرني أن لا يبلّغ عني إلاّ أنا أو أحد من أهل بيتي".

وقد عرفت أيضاً بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نصّب ابن عمه علي خليفة

———————————

(1) صحيح البخاري: 4/209 و7/142.

المسلمين من بعده وأمر أصحابه وزوجاته بتهنئته بإمرة المؤمنين فجاءه أبوها في مقدمة الناس يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة.

وقد عرفت بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أمر على أبيها شاباً صغيراً لا نبات بعارضيه عمره سبعة عشر عاماً وأمره بالسّير تحت قيادته والصلاة خلفه.

ولا شك بأن أم المؤمنين عائشة كانت تتفاعل مع هذه الأحداث فكانت تحمل في جنباتها همّ أبيها والمنافسة على الخلافة والمؤامرة التي تدور عند رؤساء القبائل في قريش، فكانت تزداد بُغضاً وحنقاً على علي وفاطمة وتحاول بكل جهودها أن تتدخّل لتغيير الموقف لصالح أبيها بشتى الوسائل كلّفها ذلك ما كلّفها ـ وقد رأيناها كيف أرسلت إلى أبيها على لسان زوجها تأمره ليصلّي بالناس عندما علمت بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أرسل خلف علي ليكلفه بتلك المهمة ولما علم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بتلك المؤامرة اضطرّ للخروج فأزاح أبا بكر عن موضعه وصلّى بالناس جالساً. وغضب على عائشة وقال لها إنكنّ أنتنّ صويحبات يوسف (يقصد أن كيدها عظيم)(1) .

والباحث في هذه القضية التي روتها عائشة بروايات مختلفة ومتضاربة يجد التناقض واضحاً وإلاّ فإن أباها عبّأه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في جيش وأمره بالخروج تحت قيادة أسامة بن زيد قبل تلك الصلاة بثلاثة أيام، ومن المعلوم بالضرورة أن قائد الجيش هو إمام الصلاة فأسامة هو إمام أبي بكر في تلك السرية، فلما أحسّت عائشة بتلك الإهانة وفهمت مقصود النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم منها خصوصاً وأنها تفطّنت بأن علي بن أبي طالب لم يعينه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في ذلك الجيش الذي عبّأ فيه وجوه المهاجرين

———————————

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 9/197 ينقل ذلك عن الإمام علي.

والأنصار والذين لهم في قريش زعامة ومكانة، وقد علمت من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما علم أكثر أصحابه بأن أيامه أصبحت معدودة ولعلّها كانت على رأي عمر بن الخطاب في أن رسول الله أصبح يهجر ولا يدري ما يفعل، فدفعتها غيرتها القاتلة أن تتصرّف بما تراه يرفع من شأن أبيها وقدره مقابل منافسه علي، ولكلّ ذلك أنكرت أن يكون النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أوصى لعلي ولذلك حاولت إقناع البسطاء من الناس بأن رسول الله صلّى الله عليه آله وسلّم مات في حجرها بين سحرها ونحرها ـ ولذلك حدّثت بأنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لها وهو مريض ادع لي أباك وأخاك لأكتب لهم كتاباً عسى أن يدّع مدّع وأبى الله ورسوله والمؤمنون إلاّ أبا بكر فهل من سائل يسألها: ما الذي منعها من دعوتهم؟

موقف عائشة ضد علي أمير المؤمنين

والباحث في موقفها تجاه أبي الحسن يجد أمراً عجيباً وغريباً، ولا يجد له تفسيراً إلاّ الغيرة والعداء لأهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد سجّل لها التاريخ كرهاً وبغضاً للإمام علي لم يعرف له مثيل وصل بها إلى حدّ أنها لا تطيق ذكر إسمه(1) ولا تطيق رؤيته وعندما تسمع بأنّ الناس قد بايعوه بالخلافة بعد قتل عثمان، تقول: وددت لو أنّ السّماء انطبقت على الأرض قبل أن يليها ابن أبي طالب، وتعمل كل جهودها للإطاحة به وتقود ضدّه عسكراً جرّاراً لمحاربته، وعندما يأتيها خبر موته تسجد شكراً لله.

ألا تعجبون معي لأهل السنة والجماعة الذين يروون في صحاحهم بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: "يا علي لا يُحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق"(2) ، ثم يروون في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم بأن عائشة تبغض الإمام علي ولا تطيق ذكر إسمه، أليس ذلك شهادة منهم على ماهية المرأة؟ كما يروي البخاري في صحيحه أن رسول الله صلّى الله

———————————

(1) صحيح البخاري: 1/162 و3/135 و5/140.

(2) صحيح مسلم: 1/61. صحيح الترمذي: 5/306. سنن النسائي: 8/116.

عليه وآله وسلّم قال: فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني ومن أغضبني فقد أغضب الله(1) . ثم يروي البخاري نفسه بأن فاطمة ماتت وهي غاضبة على أبي بكر فلم تكلّمه حتى ماتت(2) ـ أليس ذلك شهادة منهم بأنّ الله ورسوله غاضبان على أبي بكر؟ فهذا ما يفهمه كلّ العقلاء، ولذلك أقول دائماً بأنّ الحق لا بدّ أن يظهر مهما ستره المبطلون ومهما حاول أنصار الأمويين التمويه والتلفيق فإن حجة الله قائمة على عباده من يوم نزول القرآن إلى قيام الساعة والحمد لله رب العاليمن.

حدّث الإمام أحمد بن حنبل أنّ أبا بكر جاء مرّة واستأذن على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقبل الدّخول سمع صوت عائشة عالياً وهي تقول للنبي صلّى الله عليه وآله وسلم: "والله لقد عرفتُ أنّ علياً أحبّ إليك مني ومن أبي تعيدها مرتين أو ثلاثاً..." الحديث(3) .

وبلغ من أمر عائشة وبغضها للإمام علي، أنها كانت تحاول دائماً إبعاده عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ما استطاعت لذلك سبيلاً.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم استدني علياً فجاء حتى قعد بينه وبينها وهما متلاصقان، فقالت له: أما وجدت مقعداً لكذا إلاّ فخذي.

وروي أيضاً أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ساير يوماً الإمام علي وأطال مناجاته، فجاءت عائشة وهي سائرة خلفهما حتى دخلت بينهما، وقالت لهما: فيم أنتما فقد أطلتما، فغضب لذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم(4) .

———————————

(1) البخاري: 4/210.

(2) صحيح البخاري: 5/82 و8/3.

(3) الإمام أحمد في مسنده: 4/275.

(4) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 9/195.

ويروي أيضاً أنها دخلت مرّة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو يناجي علياً فصرخت وقالت: مالي ولك يا بن أبي طالب؟ إن لي نوبة واحدة من رسول الله ـ فغضب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وكم من مرّة أغضبت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بتصرفاتها الناجّة عن الغيرة الشديدة وعن حدّة طبعها وكلامها اللاذع.

وهل يرضى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسم على مؤمن أو مؤمنة ملأ قلبه كرهاً وبغضاً لابن عمه وسيد عترته، الذي قال فيه "يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله"(1) وقال فيه "من أحبّ علياً فقد أحبّني ومن أبغض علياً فقد أبغضني"(2) .

وقرن في بيوتكنّ ولا تبرجن

أمر الله سبحانه نساء النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بالاستقرار في بيوتهنّ وأن لا يخرجن متبرّجات وأمرهنّ بقراءة القرآن وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلم.

وعمل نساء النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، وكلّهن امتثلن أمر الله وأمر رسوله الذي نهاهن هو الآخر صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل وفاته وحذّرهن بقوله: أيتكن تركب الجمل وتنبحها كلاب الحوأب، كلّهن ما عدا عائشة فقد اخترقت كل الأوامر وسخرت من كل التحذيرات ويذكر المؤرخون أن حفصة بنت عمر أرادت الخروج معها ولكن أخاها عبد الله حذّرها وقرأ عليها الآية فرجعت عن عزمها، أما عائشة فقد ركبت الجمل ونبحتها كلاب الحوأب يقول طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى: مرّت عائشة في طريقها بماء فنبحتها كلابه وسألت عن هذا الماء فقيل لها إنه الحوأب، فجزعت جزعاً شديداً وقالت:

———————————

(1) البخاري ومسلم في فضائل علي بن أبي طالب: 7/130.

(2) المستدرك للحاكم: 3/130 صحّحه على شرط الشيخين البخاري ومسلم وعشرات المصادر.

ردّوني ردّوني، قد سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول وعنده نساؤه: أيتكن تنبحها كلاب الحوأب: وجاء عبد الله بن الزبير فتكلّف تهدئتها وجاءها بخمسين رجلاً من بني عامر يحلفون لها كذباً أن هذا الماء ليس بماء الحوأب.

وأنا أعتقد بأن هذه الرواية وضعت في زمن بني أمية ليخفّفوا بها عن أم المؤمنين ثقل معصيتها ظناً منهم بأن أم المؤمنين أصبحت معذورة بعد أن خدعها ابن أختها عبد الله بن الزبير وجاءها بخمسين رجلاً يحلفون بالله ويشهدون شهادة زوراً بأن الماء ليس هو ماء الحوأب، إنها سخافة هزيلة يريدون أن يموهوا بمثل هذه الروايات على بسطاء العقول ويقنعونهم بأن عائشة خدعت لأنها عندما مرّت بالماء وسمعت نباح الكلاب فسألت عن هذا الماء

فقيل لها إنه الحوأب فجزعت وقالت ردّوني ردّوني. فهل لهؤلاء الحمقى الذين وضعوا الرواية أن يلتمسوا لعائشة عذراً في معصيتها لأمر الله وما نزل من القرآن بوجوب الاستقرار في بيتها، أو يلتمسوا لها عذراً في معصيتها لأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بوجوب لزوم الحصير وعدم ركوب الجمل، قبل الوصول إلى نباح الكلاب في ماء الحوأب، وهل يجدون لأم المؤمنين عذراً بعدما رفضت نصيحة أم المؤمنين أم سلمة التي ذكرها المؤرخون إذ قالت لها: أتذكرين يوم أقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ونحن معه حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال فخلا بعلي يناجيه فأطال، فأردت أن تهجمي عليهما فنهيتك فعصيتني وهجمت عليهما، فما لبثت أن رجعت باكية، فقلت: ما شأنك؟ فقلت: أتيتهما وهما يتناجيان، فقلت لعلي: ليس لي من رسول الله إلاّ يوم من تسعة أيام أفما تدعني يا ابن أبي طالب ويومي، فأقبل رسول الله عليّ وهم محمر الوجه غضباً فقال: ارجعي وراءك والله لا يبغضه أحد من الناس إلا وهو خارج من الإيمان، فرجعت نادمةً ساخطة، فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك. قالت: وأذكرك أيضاً كنت أنا وأنت مع رسول الله، فقال لنا: "أيتكنّ صاحبة الجمل الأدب تنبحها كلاب الحوأب

فتكون ناكبة عن الصراط؟" فقلنا نعوذ بالله وبرسوله من ذلك فضرب على ظهرك وقال: "إياك أن تكونيها يا حميراء" قالت عائشة أذكر ذلك. فقالت أم سلمة: أتذكرين يوم جاء أبوك ومعه عمر، وقمنا إلى الحجاب، ودخلا يحدثانه فيما أراد إلى أن قالا: يا رسول الله، إنّا لا ندري أمد ما تصحبنا، فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً فقال لهما: "أما أني قد أرى مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرّق بنو إسرائيل عن هارون"، فسكتا ثم خرجا، فلما خرجا خرجنا إلى رسول الله فقلت له أنت وكنت أجرأ عليه منا: يا رسول الله من كنت مستخلفاً عليهم؟ فقال: خاصف النعل، فنزلنا فرأيناه علياً. فقلتِ يا رسول الله ما أرى إلاّ علياً. فقال: هو ذاك.

قالت عائشة: نعم أذكر ذلك، فقالت لها أم سلمة: فأي خروج تخرجين بعد هذا يا عائشة. فقالت: إنما أخرج للإصلاح بين الناس(1) فنهتها أم سلمة عن الخروج بكلام شديد وقالت لها: إن عمود الإسلام لا يثأب بالنساء إن مال، ولا يرأبُ بهن إن صُدِعَ، حماديات النساء غض الأطراف، وخفر الأعراض، ما كنت قائلة لو أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عارضك في بعض هذه الفلوات، ناصّة قلوصا من منهل إلى آخر؟ والله لو سرت سيرك هذا ثم قيل لي أدخلي الفردوس، لاستحييت أن ألقى محمداً هاتكةً حجاباً ضربه عليّ(2) ..

كما لم تقبل أم المؤمنين عائشة نصائح كثير من الصحابة المخلصين روى الطبري في تاريخ أن جارية بن قدامة السعدي قال لها: يا أم المؤمنين والله قتل عثمان ن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسّلاح، إنه قد كان لك من الله سترٌ وحرمة فهتكت سِترَكِ

———————————

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 2/77.

(2) ابن قتيبة في كتابه المصنف في غريب الحديث وكذلك في الإمامة والسياسة.

وأبحت حرمتك، إنه من يرى قتالك فإنه يرى قتلك إن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك وإن أتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس(1) .

أم المؤمنين هي القائدة

ذكر المؤرخون بأنها كانت هي القائدة العامة وهي التي تولي وتعزل وتصدر الأوامر حتى أن طلحة والزبير اختلفا في إمامة الصلاة وأراد كلّ منهما أن يصلّي بالناس، فتدخّلت عائشة وعزلتهما معاً وأمرت عبد الله بن الزبير ابن أختها أن يصلّي هو بالناس. وهي التي كانت ترسل الرّسل بكتبها التي بعثتها في كثير من البلدان تستنصرهم على علي بن أبي طالب وتثير فيهم حمية الجاهلية.

حتى عبّأت عشرين ألفاً أو أكثر من أوباش العرب وأهل الأطماع لقتال أمير المؤمنين والإطاحة به. وأثارتها فتنة عمياء قتل فيها خلق كثير باسم الدّفاع عن أم المؤمنين ونصرتها ويقول المؤرّخون أن أصحاب عائشة لما غدروا بعثمان بن حنيف والي البصرة وأسروه هو وسبعين من أصحابه الذين كانوا يحرسون بيت المال جاؤوا بهم إلى عائشة فأمرت بقتلهم فذبحوهم كما يذبح الغنم. وقيل كانوا أربعمائة رجل يقال أنهم أول قوم من المسلمين ضربت أعناقهم صبراً(2) .

روى الشعبي عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه قال: لما قدم طلحة والزبير البصرة، تقلدت سيفي وأنا أريد نصرهما، فدخلت على عائشة فإذا هي تأمر وتنهي وإذا الأمر أمرها، فتذكرت حديثاً عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كنت سمعته يقول: "لن يفلح قوم تدبّر أمرهم امرأة" فانصرفت عنهم

وأعتزلتهم.

كما أخرج البخاري عن أبي بكرة قوله: لقد نفعني الله بكلمة أيام

———————————

(1) تاريخ الطبري: 6/482.

(2) الطبري في تاريخه: 5/178. وشرح النهج: 2/501 وغيرهم.

الجمل. لما بلغ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أن فارساً ملّكوا ابنة كسرى قال: "لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة"(1) .

ومن المواقف المضحكة والمبكية في آنٍ واحدٍ أن عائشة أم المؤمنين تخرج من بيتها عاصية لله ولرسوله ثم تأمر الصحابة بالاستقرار في بيوتهم، إنه حقاً أمرٌ عجيب!!

فكيف وقع ذلك يا ترى؟

روى ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج وغيره من المؤرخين أن عائشة كتبت ـ وهي في البصرة ـ إلى زيد بن صوحان العبدي رسالة تقول له فيها: من عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق، زوجة رسول الله، إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان، أما بعد فأقم في بيتك وخذّل الناس عن أبن أبي طالب، وليبلغني عنك ما أحبّ إنك أوثق أهلي عندي والسّلام.

فأجابها هذا الرجل الصالح بما يلي: من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر، أما بعد فإن الله أمرك بأمر، وأمرنا بأمرٍ، أمرك أن تقرّي في بيتك، وأمرنا أن نجاهد، وقد أتاني كتابك تأمريني أن أصنع خلاف ما أمرني الله به، فأكون قد صنعت ما أمرك الله به، وصنعت أنت ما به أمرني، فأمرك عندي غير مطاع، وكتابك لا جواب له.

وبهذا يتبيّن لنا بأن عائشة لم تكتف بقيادة جيش الجمل فقط وإنما طمحت في إمرة المؤمنين كافة في كل بقاع الأرض ولكل ذلك كانت هي التي تحكم طلحة والزبير اللذين كانا قد رشحهما عمر للخلافة، ولكل ذلك أباحت لنفسها أن تراسل رؤساء القبائل والولاة وتطمعهم وتستنصرهم.

ولكل ذلك بلغت تلك المرتبة وتلك الشهرة عند بني أمية فأصبحت هي المنظور إليها والمهابة لديهم جميعاً والتي يخشى سطوتها ومعارضتها

———————————

(1) صحيح البخاري: 8/97 باب الفتن. والنسائي: 4/305. والمستدرك: 4/525.

فإذا كان الأبطال والمشاهير من الشجعان يتخاذلون ويهربون من الصفّ إزاء علي بن أبي طالب ولا يقفون أمامه فإنها وقفت وألبت واستصرخت واستفزّت.

ومن أجل هذا حيرت العقول وأدهشت المؤرخين الذين عرفوا مواقفها في حرب الجمل الصغرى قبل قدوم الإمام علي وفي حرب الجمل الكبرى بعد مجيء الإمام علي ودعوتها لكتاب الله فأبت وأصرت على الحرب في عنادٍ لا يمكن تفسيره إلا إذا عرفنا عمق وشدة الغيرة والبغضاء التي تحملها أم المؤمنين لأبنائها المخلصين لله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلم.

تحذير النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من عائشة وفتنتها

لقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يدرك عمق وخطورة المؤامرة التي تدار حوله من جميع جوانبها، ولا شك بأنه عرف ما للنساء من تأثير وفتنة على الرّجال، كما أدرك بأن كيدهن عظيم تكاد تزول منه الجبال، وعرف بالخصوص بأن زوجته عائشة هي المؤهلة لذلك الدور الخطير لما تحمله في

نفسها من غيرة وبغض لخليفته علي خاصة، ولأهل بيته عامة، كيف وقد عاش بنفسه أدواراً من مواقفها وعداوتها لهم، فكان يغضب حيناً ويتغير وجهه أحياناً، ويحاول إقناعهم في كل مرة بأن حبيب علي هو حبيب الله والذي يبغض علياً هو منافق يبغضه الله ـ ولكن هيهات لتلك الأحاديث أن تغوص في أعماق تلك النفوس التي ما عرفت الحقّ حقاً إلاّ لفائدتها وما عرفت الصّواب صواباً إلاّ إذا صدر عنها.

ولذلك وقف الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لما عرف بأنها هي الفتنة التي جعلها الله في هذه الأمة ليبتليها بها كما ابتلى سائر الأمم السّابقة. قال تعالى: (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) [العنكبوت: 2].

وقد حذّر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أمته منها في مرّات

متعدّدة حتى قام في يوم من الأيام واتّجه إلى بيتها وقال: ههنا الفتنة، ههنا الفتنة حيث يطلع قرن الشيطان، وقد أخرج البخاري في صحيحه في باب ما جاء في بيوت أزواج النبي: قال عن نافع عن عبد الله رضي الله عنه قال: قام النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة ثلاثاً، من حيث يطلع قرن الشيطان(1) .

كما أخرج مسلم في صحيحه أيضاً عن عكرمة بن عمار عن سالم عن ابن عمر قال: خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من بيت عائشة، فقال: رأس الكفر من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان(2) .

ولا عبرة بالزّيادة التي أضافوها بقولهم: يعني المشرق، فهي واضحة الوضع ليخفّفوا بها عن أم المؤمنين ويبعدوا هذه التهمة عنها.

وقد جاء في صحيح البخاري أيضاً: قال لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، بعث علي عمار بن ياسر وحسن بن علي فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه فسمعت عماراً يقول: إن عائشة قد سارت إلى البصرة ووالله إنها لزوجة نبيكم صلّى الله عليه وآله وسلّم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إيّاه تطيعون أم هي(3) .

الله أكبر فهذا الخبر يدلّ أيضاً أن طاعتها معصية لله وفي معصيتها هي والوقوف ضدّها طاعةً لله.

كما نلاحظ أيضاً في هذا الحديث أن الرواة من بني أمية أضافوا عبارة والآخرة، في (أنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة) ليموهوا على العامة بأن الله غفر لها كل ذنب اقترفته أدخلها جنته وزوجها حبيبه رسول الله صلّى

———————————

(1) صحيح البخاري: 4/46.

(2) صحيح مسلم: 8/181.

(3) صحيح البخاري: 8/97.

الله عليه وآله وسلّم ـ وإلاّ من أين عَلِم عمار بأنّها زوجته في الآخرة؟

وهذه هي أخر الحيل التي تفطّن لها الوضّاعون من الرواة في عهد بني أمية عندما يجدون حديثاً جرى على ألسنة الناس فلا يمكنهم بعد نكرانه ولا تكذيبه فيعمدون إلى إضافة فقرة إليه أو كلمة أو تغيير بعض ألفاظه ليخفّفوا من حدّته أو يفقدوه المعنى المخصوص له، كما فعلوا ذلك بحديث، أنا مدينة العلم وعلي بابها الذي أضافوا وأبوا بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها.

وقد لا يخفى ذلك على الباحثين المنصفين فيبطلون تلك الزيادات التي تدلّ في أغلب الأحيان على سخافة عقول الوضّاعين وبُعدهم عن حكمة ونور الأحاديث النبوية، فيلاحظون أن القول بأن أبا بكر أساسها، معناه أن علم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كله من علم أبي بكر، وهذا كفر. كما أن القول بأن عمر حيطانها فمعناه بأن عمر يمنع الناس من الدخول للمدينة أعني يمنعهم من الوصول للعلم والقول بأن عثمان صفقها، فباطل بالضرورة لأنه ليس هناك مدينة مسقوفة وهو مستحيل. كما يلاحظون هنا بأن عماراً يقسم بالله على أن عائشة زوجة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في

الدنيا والآخرة، وهو رجماً بالغيب فمن أين لعمار أن يقسم على شيء يجهله؟ هل عنده آية من كتاب الله، أم هو عهد عهده إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟

فيبقى الحديث الصحيح هو إن عائشة قد سارت إلى البصرة، وإنها لزوجة نبيكم، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي.

والحمد لله ربّ العالمين على أن جعل لنا عقولاً نميز بها الحق من الباطل وأوضح لنا السبيل ثم ابتلانا بأشياء عديدة لتكون علينا حجّةً يوم الحساب.

خاتمة البحث

والمهم في كل ما مرّ بنا من الأبحاث وإن كانت مختصرة أن عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين وزوجة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم تكن معدودة من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، والذين عصمهم الله من كلّ الذنوب وطهّرهم من كل رجس فأصبحوا بعد ذلك معصومين.

ويكفي عائشة أنها قضت آخر أيام حياتها في بكاء ونحيب وحسرة وندامة، تذكر أعمالها فتفيض عيناها ولعلّ الله سبحانه يغفر لها خطاياها فهو وحده المطّلع على أسرار عباده والذي يعلم صدق نواياها، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. فلا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السّماء، وليس لنا ولا لأي أحدٍ من الناس أن يحكُم بالجنة أو بالنار على مخلوقاته فهذا تكلّف وتطفّلٌ على الله، قال تعالى: (لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء والله على كل شيء قدير) [البقرة: 284].

وبهذا لا يمكن لنا أن نترضّى عليها ولا أن نلعنها ولكن لنا أن لا نقتدي بها ولا نبارك أعمالها، ونتحدّث بكل ذلك لتوضيح الحقيقة إلى الناس، عسى أن يهتدوا لطريق الحق.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: لا تكونوا سبّابين ولا لعّانين، ولكن قولوا: كان من فعلهم كذا وكذا لتكون أبلغ في الحجّة.

قول أهل الذكر بخصوص أهل البيت

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو سيد العترة:

تالله لقد عَلِمت تبليغ الرسالات، وإتمام العدات وتمام الكلمات

وعندنا أهل البيت أبواب الحكم وضياء الأمر(1) .

أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى، إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم(2) .

نحن الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، لا تؤتى البيوت إلاّ من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً. ثم يذكر أهل البيت فيقول: فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وغن صمتوا لم يسبقوا(3) .

هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحقَّ ولا يختلفون فيه، هم دعائم الإسلام وولائج الإعتصام، بهم عاد الحقُّ في نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه وانقطع لسانه عن منبته عقلوا الدّين عقل وعايةٍ ورعاية، لا عقل سماع ورواية، فإن رواة العلم كثيرٌ ورعاته قليل(4) .

عترته خير العتر وأسرته خير الأسر وشجرته خير الشجر نبتت في حرم وبسقت في كرم لها فروع طوال وثمرة لا تنال.

نحن شجرة النبوة، ومحطّ الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، ناظرنا ومحبّنا ينتظر الرحمة، وعدوّنا ومبغضنا ينتظر

السطوة(5) .

———————————

(1) نهج البلاغة شرح محمد عبده: 283.

(2) نهج البلاغة شرح محمد عبده: 314.

(3) نهج البلاغة شرح محمد عبده: 330.

(4) نهج البلاغة شرح محمد عبده: 508.

(5) نهج البلاغة: 2/213.

نحن النجباء، وأفرطنا أفراط الأنبياء، وحزبنا حزب الله عزّ وجلّ، والفئة الباغية حزب الشيطان، ومن سوى بيننا وبين عدونا فليس منا.

فأين تذهبون وأنى تؤفكون؟ والأعلام قائمة والآيات واضحة، والمنار منصوبة فأين يتاه بكم، بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش.

أيها الناس خذوها من خاتم النبيين صلّى الله عليه وآله وسلم: إنّه يموت من مات منا وليس بميت، ويبلى من بلي منا وليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون فإن أكثر الحق فيما تنكرون، واعذروا من لا حجة لكم عليه وأنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر وركزت فيكم راية الإيمان(1) .

انظروا أهل بيت نبيكم فألزموا سمتهم وأتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا(2) .

هذه أقوال الإمام علي عليه السلام بخصوص العترة الطاهرة الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً.

ولو تتبعنا أقوال الأئمة من بنيه عليهم السلام والذين خطوا في الناس، أمثال الإمام الحسن، والإمام الحسين، وزين العابدين وجعفر الصادق والإمام الرضا عليهم السلام أجمعين لوجدناهم يقولون نفس الكلام ويرمون نفس المرمى، ويرشدون الناس في كل عصر ومصر إلى كتاب الله وعترة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لينقذوهم من الضلالة ويدخلوهم في الهداية.

———————————

(1) نهج البلاغة: 1/155.

(2) نهج البلاغة: 2/190.

أضف إلى ذلك بأن التاريخ خير شاهد على عصمة أهل البيت فلم يسجّل لهم إلاّ العلم والتقوى والورع والزهد، والجود والكرم والحلم والمغفرة، وكل عمل يحبّه الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلم.

كما أن التاريخ خير شاهد على أن الصالحين من هذه الأمة والزهاد من رجال الصوفية ومشايخ الطرق وأئمة المذاهب والمصلحين من العلماء القدامى والمعاصرين كلّ هؤلاء يقرّون بأفضليتهم وتقدّمهم علماً وعملاً وأخصّهم برسول الله قربى وشرفاً.

ولكل هذا فلا ينبغي لمسلم أن يخلط أهل البيت (الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً والذين أدخلهم الرسول معه تحت الكساء) بنساء

النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ألا ترى أنّ أئمة المحدّثين أمثال مسلم والبخاري والترمذي والإمام أحمد والنسائي وغيرهم عندما يخرجون أحاديث الفضائل في كتبهم وصحاحهم يفصلون فضائل أهل البيت عمن سواهم من نساء النبيّ(1) .

كما جاء في صحيح مسلم في باب فضائل عي بن أبي طالب قوله عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: "ألا وأني تارك فيكم الثقلين أحدهما كتاب الله عزّ وجلّ هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة" ثم قال "وأهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي" فقلنا من أهل بيته نساؤه؟ قال: "لا وأيمّ الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدّهر ثم يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده(2) .

كما جاءت شهادة البخاري ومسلم في أن عائشة من آل أبي بكر

———————————

(1) صحيح مسلم: 7/130 وما بعدها.

(2) صحيح مسلم: 7/123 باب فضائل علي بن أبي طالب.

وليست من آل النبي. في حادثة نزول آية التيمم(1) .

فلماذا هذا الإصرار من بعض المعاندين الذين يحاولون بكل ثمن إحياء الفتنة وتقليب الحقائق التي لا شكّ فيها.

فيسبّون الشيعة لا لشيء إلاّ لأنهم لا يعترفون لأم المؤمنين بهذه الفضيلة. فلماذا لا يسبّون صحاحهم وعلماءهم الذين أخرجوا نساء النبي بأجمعهن من أهل البيت. (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) [الأحزاب: 71].

———————————

(1) البخاري: 1/86. ومسلم: 1/191.

الفصل الرابع
فيما يتعلّق بالصّحابة عامة

إنّ كل الأحكام التشريعية والعقائد الإسلامية، جاءتنا عن طريق الصحابة، فليس هناك أحد يدّعي أنّه يعبد الله من خلال الكتاب والسنّة إلاّ وكان الصحابة هم الواسطة لإيصال هذين المصدرين الأساسيّين إلى كلّ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وبما أنّ الصّحابة اختلفوا بعد الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وتفرّقوا، وتسابّوا وتلاعنوا، وتقاتلوا حتّى قتل بعضهم بعضاً فلا يمكن والحال هذه، أن نأخذ عنهم الأحكام بدون نقاش ولا نقدٍ ولا تمحيص ولا اعتراض، كما لا يمكن أن نحكم لهم أو عليهم بدون معرفة أحوالهم وقراءة تاريخهم وما فعلوه في حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله وبعد وفاته، ونمحّص الحقّ من المبُطل، والمؤمن من الفاسق والمخلص من المنافق، ونعرف المنقلبين من الشّاكرين.

وأهل السنّة عامّة، وبكلّ أسف لا يسمحون بذلك ويمنعون بكل شدّة نقد الصّحابة وتجريحهم ويترضّون عليهم جميعاً، بل ويصلّون عليهم كما يصلّون على محمد وآل محمد ولا يستثنون منهم أحداً.

والسّؤال الذي يطرحُ على أهل السنّة والجماعة هو: هل في نقد الصّحابة وتجريحهم خروج عن الإسلام، أو مخالفةً للكتاب والسنّة؟

وإجابةً على هذا السّؤال لا بدّ لي من استعراض أعمال وأقوال بعض الصحابة في حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعد وفاته، من خلال ما ذكره علماء أهل السنّة في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم مقتصراً عليهم دون ذكر أي كتاب من كتب الشيعة لأنّ هؤلاء موقفهم من بعض الصّحابة معروف ولا يتطلّب مزيداً من التوضيح.

وحتّى أرفع الإلتباس لكي لا أترك للخصم حجّة يحتجّ بها عليّ، أقول إنّه عندما نتكلّم في هذا الفصل عن الصّحابة فالمقصود هو البعض منهم وليس جميعهم، وقد يكون هذا البعض أكثريّة أو أقلّية، فهذا ما سنعرفه من خلال البحث إن شاء الله تعالى. لأنّ كثيراً من المشاغبين يتّهموننا بأنّنا ضد الصّحابة، وأنّنا نشتم الصّحابة ونسبّهم ليؤثّروا بذلك على السّامعين ويقطعوا بذلك الطريق على الباحثين، في حين أنّنا نتنزّه عن سبّ الصّحابة وشتمهم بل ونترضّى على الصّحابة المخلصين الذين سمّاهم القرآن، بـ(الشاكرين) ونتبرّأ من المنقلبين على الأعقاب الذين ارتدّوا على أدبارهم بعد النبيّ وتسبّبوا في ضلالة أغلب المسلمين وحتّى هؤلاء لا نسبّهم ولا نشتمهم، وإنّما كل ما في الأمر أنّنا نكشف أفعالهم التي ذكرها المؤرخون والمحدّثون ليتجلّى الحقّ للباحثين، وهذا ما لا يرتضيه إخواننا من أهل السنّة ويعتبرون ذلك سبّاً وشتماً.

وإذا كان القرآن الكريم وهو كلام الله الذي لا يستحي من الحقّ هو الذي فتح لنا هذا الباب وأعلمنا بأنّ من الصّحابة منافقين، ومنهم الفاسقين، ومنهم الظّالمين، ومنهم المكذّبين، ومنهم المشركين ومنهم المنقلبين، ومنهم الذين يؤذون الله ورسوله.

وإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي لا ينطق عن الهوى، ولا أخذه في الله لومة لائم، هو الذي فتح لنا هذا الباب وأعلمنا بأنّ من الصّحابة مرتدّين، ومنم المارقين، والناكثين والقاسطين، ومنهم من يدخل النار ولا تنفعه الصّحبة، بل تكون عليه حجّة قد تضاعف عذابه يوم

لا ينفع مال ولا بنون.

فكيف والحال هذه، يشهد بها كتاب الله الحكيم، وسنّة رسوله العظيم، ومع ذلك يريد أهل السنّة منع المسلمين من التكلّم والنِّقاش في الصّحابة لئلاّ ينكشف الحقّ ويعرف المسلمون، أولياء الله فيوالونهم كما يعرفون أعداء الله ورسوله فيعادونهم.

كنت يوماً في العاصمة التونسية داخل مسجد عظيم من مساجدها، وبعد أداء فريضة الصلاة جلس الإمام وسط حلقة من المصلّين وبدأ درسه بالتّنديد والتكفير لأولئك الذين يشتمون أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم واسترسل في حديثه قائلاً:

إيّاكم من الذين يتكلّمون في أعراض الصّحابة بدعوى البحث العلمي والوصول لمعرفة الحق، فأولئك عليهم لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين، إنهم يريدون تشكيك النّاس في دينهم، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: «إذا وصل بكم الحديث إلى أصحابي فأمسكوا، فوالله لو أنفقتم مثل أحدٍ ذهباً لما بلغتم معشار معشار أحدهم».

وقاطعه أحدُ المستبصرين كان يصحبني قائلاً: هذا الحديث غير صحيح وهو مكذوب على رسول الله!

وثارت ثائرة الإمام وبعض الحاضرين والتفتوا إلينا منكرين مشمئزّين، فتداركت الموقف متلطّفاً مع الإمام وقتل له: يا سيدي الشيخ الجليل، ما هو ذنب المسلم الذي يقرأ في القرآن قوله: (وما محمّد إلاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) [آل عمران: 144].

وما هو ذنب المسلم الذي يقرأ في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم قول رسول الله صلّى الله عليه وآله لأصحابه: «سيؤخذ بكم يوم القيامة إلى ذات الشمال، فأقول: إلى أين؟ فيقال: إلى النار والله، فأقول:

يا ربّ هؤلاء أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا من بعدك إنهم لا يزالوا مرتدّين منذ فارقتهم، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي، ولا أرى يخلص منهم إلاّ مثل همل النّعم»(1) .

وكان الجميع يستمعون إليّ في صمتٍ رهيب، وسألني بعضهم إن كنت واثقاً من وجود هذا الحديث في صحيح البخاري؟ وأجبتهم: نعم كوثوقي بأن الله واحد لا شريك له، ومحمّد عبده ورسوله.

ولما عرف الإمام تأثيري في الحاضرين من خلال حفظي للأحاديث التي رويتها قال في هدوء: نحن قرأنا على مشايخنا رحمهم الله تعالى بأنّ الفتنة نائمة فعلن الله من أيقظها.

فقلت: يا سيدي الفتنة عمرها ما نامت، ولكنا نحن النّائمون، والذي يستيقظ منّا ويفتح عينيه ليعرف الحقّ تتهمونه بأنّه أيقظ الفتنة، وعلى كل حال فإنّ المسلمين مطالبون باتّباع كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلم، لا بما يقوله مشايخنا الذين يترضّون على معاوية ويزيد وابن العاص.

وقاطعني الإمام قائلاً: وهل أنت لا تترضّى عن سيدنا معاوية رضي الله عنه وأرضاه كاتب الوحي؟

قلت: هذا موضوع يطول شرحه، وإذا أردت معرفة رأيي في ذلك، فأنا أهديك كتابي «ثم اهتديت» لعلّه يوقظك من نومك ويفتح عينيك على بعض الحقائق وتقبّل الإمام كلامي وهديّتي بشيء من التردّد، ولكنّه وبعد شهر واحدٍ كتب إليَّ رسالة لطيفة يحمد الله فيها أن هداه إلى صراطه المستقيم وأظهر ولاءً وتعلّقاً بأهل البيت عليهم السلام وطلبتُ منه نشر رسالته في الطبعة الثالثة لما فيها من معاني الود وصفاء الروح التي متى ما عرفت الحقّ تعلّقت به وهي تعبّر عن حقيقة أكثر أهل السنّة الذين يميلون

---

(1) صحيح البخاري: 7/209 و4/94 و156. صحيح مسلم: 7/66.

إلى الحق بمجرد رفع السّتار.

ولكنّه طلب منّي كتم رسالته وعدم نشرها، لأنه لا بدّ له من الوقت الكافي حتّى يقنع المجموعة التي تصلّي خلفه، وهو يحبّذ أن تكون دعوته سلمية بدون هرج ومرج حسب تعبيره.

ونعود إلى موضوع الكلام في الصّحابة، لنكشف عن الحقيقة المرّة التي سجّلها القرآن الحكيم والسنّة النبوية الشريفة.

ولنبدأ بكلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو الحكم العدل وهو القول الفصل. قال تعالى في بعض الصّحابة:

* (ومن أهل المدينة مردوا على النّفاق لا تعلمهم، نحن نعلمهم سنعذّبهم مرتين ثم يردّون إلى عذاب عظيم) [التوبة: 101].

* (يحلفون بالله ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر، وكفروا بعد إسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا) [التوبة: 74].

* (ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدّقن ولنكونّن من الصّالحين فلما أتاهم من فضله بخلوا به وتولّوا وهم معرضون، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) [التوبة: 77].

* (الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً وأجدر ألاّ يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم) [التوبة: 97].

* (ومن الناس من يقول أمّنا بالله وباليوم والآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلاّ أنفسهم وما يشعرون، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) [البقرة: 10].

* (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول الله، والله يعلَمُ إنّك

لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون، إتّخذوا أيمانهم جنّة فصدوا عن سبيل الله إنّهم ساء ما كانوا يعملون، ذلك بأنّهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) [المنافقون: 3].

* (ألم تر إلى الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما انزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً، فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدّمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلاّ إحساناً وتوفيقا) [النساء: 62].

* (إنّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصّلاة قاموا كسالى يراؤون النّاس ولا يذكرون الله إلاّ قليلاً) [النساء: 142].

* (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم، هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون) [المنافقون: 4].

* (قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمَّ إلينا ولا يأتون البأس إلاّ قليلاً، أشحَّةً عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنةٍ حدادٍ أشحَّةً على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً) [الأحزاب:

19].

* (ومنهم من يستمع إليك حتّى إذا خرجوا من عندك قالوا للّذين أوتوا العلم ماذا قال أنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتّبعوا أهواءهم) [محمد: 16].

* (أم حسب الذين في قلوبهم مرضٌ أن لن يخرج الله أضغانهم. ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنّهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم) [محمد: 30].

* (سيقول لك المخلّفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا. فاستغفر لنا يقول بألسنتهم ما ليس في قلوبهم...) [الفتح: 11].

فهذه الآيات البيّنات من كتاب الله المجيد وما بيّنته من نفاق البعض منهم الذين اندسّوا في صفوف الصّحابة المخلصين. حتّى غابت حقيقتهم عن صاحب الرسالة نفسه لولا وحي الله.

ولك لنا دائماً من أهل السنّة اعتراضٌ على هذا. فهم يقولون. ما لنا والمنافقين لعنهم الله. والصحابة ليسوا من هؤلاء. أو أنّ هؤلاء المنافقين ليسوا من الصحابة. وإذا ما سألتهم مَنْ هؤلاء المنافقين الذين نزلت فيهم أكثر من مائة وخمسين آية في سورتي التوبة والمنافقون؟ فسيجيبون: هو عبد الله بن أُبي وعبد الله بن أبي سلّول. وبعد هذين الرجلين لا يجدون إسماً آخر!

سبحانه الله! فإذا كان النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم هو نفسه لا يعرف الكثير منهم. فكيف يُحصر النّفاق بابن أبي وابن أبي سلّول المعلومين لدى عامّة المسلمين؟

وإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله علم ببعضهم وعلّم أسماءهم إلى حذيفة بن اليمان كما تقولون وأمره بكتمان أمرهم حتّى أن عمر بن الخطاب أيام خلافته كان يسأل حذيفة عن نفسه. هل هو من أهل النّفاق؟ وهل أخبر النّبي باسمه؟ كما تروون في كتبكم(1) .

وإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله قد أعطى للمنافقين علامةً يعرفون بها وهي بغض علي بن أبي طالب كما تروون ذلك في صحاحكما(2)

---

(1) كنز العمّال: 7/24. تاريخ ابن عساكر: 4/97. إحياء العلوم للغزالي: 1/129.

(2) صحيح مسلم: 1/61. صحيح الترمذي: 5/306. سنن النسائي: 8/116. كنز العمّال: 15/105.

فما أكثر هؤلاء من الصحابة الذين تترضون عنهم وتضعونهم في القمّة وقد وصل بهم البغض لعلي أن حاربوه وقتلوه ولعنوه حيّاً ومَيّتاً هو وأهل بيته ومُحبّيه. وكلّ هؤلاء من خيار الصّحابة عندكم.

واقتضت حكمة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يُعلّم حذيفة أسماءهم تارةً. ويعطي للمسلمين علامتهم تارة أخرى. ليُقيم على النّاس الحجّة فلا يقولوا بعدها إنّا كنّا عن هذا غافلين.

ولا عبرة بما يقوله أهل السنّة اليوم: نحن نحبّ الإمام علي رضي الله عنه وكرّم الله وجهه فنقول لهم: إنّه لا يجتمع في قلب مؤمن حبّ ولي الله وحبّ عدوّه! وقد قال الإمام علي نفسه: «ليس منّا من سوّى بيننا وبين أعدائنا»(1) .

ثم إنّ القرآن الكريم عندما تكلّم عن الصحابة تكلّم عنهم بعدّة أوصافٍ وعلاماتٍ ثابتة. وإذا استثنينا منهم الصحابة المخلصين الشاكرين. فإن البقيّة الباقية

منهم وصفهم الذكر الحكيم بأنّهم: فاسقون، أو خائنون، أو متخاذلون، أو ناكثون أو منقلبون، أو شاكّون في الله وفي رسوله، أو فارّون من الزحف، أو معاندون للحقّ، أو عاصون أوامر الله ورسوله، أو مثبّطون غيرهم عن الجهاد، او منفضّون إلى اللّهو والتجارة وتاركون الصّلاة، أو قائلون مالا يفعلون، أو ممّنون على رسول الله إسلامهم، أو قاسية قلوبهم فلم تخشع لذكر الله وما نزل من الحقّ، أو رافعون أصواتهم فوق صوت النبي، أو مؤذون لرسول الله، أو سمّاعون للمنافقين.

ولنكتف بهذا القدر اليسير لأن هناك آيات كثيرة لم نذكرها روماً للاختصار ولكن لتعميم الفائدة لابدّ من ذكر بعض الآيات التي جاءت في ذمّ الصّحابة الذين اتصفوا بتلك الصّفات، ولكنّهم بفضل السّياسة أصبحوا

---

(1) نهج البلاغة: 1/155.

بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعد انقطاع الوحي كلّهم عدول أبصعين أجمعين ولا يمكن لأحدٍ من المسلمين أن يتكلّم في حقّهم بشيء من النقد والتجريح.

القرآن الكريم يكشف حقائق بعض الصّحابة

وحتّى لا يتوهّم معاندٌ في آيات المنافقين ويحاول فصْلَهم عن الصّحابة كما يقول بذلك أهل السنّة، فقد تعمّدنا سرد الآيات التي تخصّ المؤمنين.

فقد جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى:

ـ (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله إثّاقلتم إلى الأرض، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ قليل إلاّ تنفروا يُعذّبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرّوه شيئاً والله على كلّ شيء قدير) [التوبة: 39].

ـ (يا أيها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينه، فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يحاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائمٍ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) [المائدة: 54].

ـ (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول، وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون واعلموا أنّما أموالكم وأولادكم فتنةٌ وأنّ الله عنده أجرٌ عظيم) [الأنفال: 28].

ـ (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرّسول إذا دعاكم لما يُحييكم واعلموا أنّ الله يحولُ بين المرءِ وقلبه وأنّه إليه تحشرون، واتّقوا فتنةً لا تصيبنَّ الذّين ظلموا منكم خاصّة واعلموا أنّ الله شديد العقاب) [الأنفال: 25].

ـ (يا أيها الذين آمنوا اُذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً، إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار وبلغت القلوبُ الحناجر وتظنّون بالله الظنونا، هنالك ابتُلي المؤمنين وزلزلوا زلزالاً شديداً، وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً) [الأحزاب: 12].

ـ (يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون كبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) [الصف: 3].

ـ (ألم يأن اللذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) [الحديد: 16].

ـ (يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم، بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتُم صادقين) [الحجرات: 17].

ـ (قل إن كان أباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله، فتربّصوا حتّى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين) [التوبة: 24].

ـ (قالت الأعراب أمّنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم) [الحجرات: 14].

ـ (إنّما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددّون) [التوبة: 45].

ـ (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاّ خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمّاعون لهم والله عليم بالظالمين) [التوبة: 47].

ـ (فرح المخلّفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرّ، قل نار جهنّم أشدّ حرّاً لو كانوا يفقهون) [التوبة: 81].

ـ (ذلك بأنّهم أتّبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم، أم حسبَ الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم، ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنّهم في حن القول، والله يعلم أعمالكم) [محمد: 30].

ـ (وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحقّ بعد ما تبيّن كأنّما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) [الأنفال: 6].

ـ (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه، والله الغنيّ وأنتم الفقراء، وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثمّ لا يكونوا أمثالكم) [محمد: 38].

ـ (ومنهم من يلمزُك في الصّدقات فإنّ أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) [التوبة: 58].

ـ (ومنهم من يستمع إليك حتّى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً، أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتّبعوا أهواءهم) [محمد: 16].

ـ (ومنهم الذين يؤذون النبيّ ويقولن هو أذنٌ، قل هو أذنٌ خيرٍ لكم يؤمنُ بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمةً للذين آمنوا منكم، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليمٌ) [التوبة: 61].

إنّ هذا القدر من الآيات البيّنات كافٍ لإقناع الباحثين بأنّ الصّحابة ينقسمون إلى قسمين إثنين.

1 ـ قسمٌ آمن بالله وبرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأسلم أمره وقيادته لهما، فأطاع الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتفاني في حبهما وضحّى في سبيلها وكان من الفائزين.

وهؤلاء يمثّلون الأقلية وقد سمّاهم القرآن (الشّاكرين) .

2 ـ قسمٌ آمن بالله وبرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ظاهرياً ولكنّ قلبه فيه مرض، فلم يسلم أمره إلاّ لمصلحته الشخصيّة ومنافعه الدنيوية فهو يعارض الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم في أحكامه وأوامره ويقدّم بين يدي الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فكان من الخاسرين، وهؤلاء يمثّلون الأكثرية وقد عبّر عنهم القرآن بأوجز تعبير إذ يقول عزّ وجل: (لقد جئناكم بالحقّ ولكنّ أكثركم للحقّ كارهون) [الزخرف: 78].

فالباحث يكتشفُ أنّ هؤلاء «الأكثرية» كانوا في حياة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يعيشون معه ويصلّون خلفه ويصحبونه في حلّه وترحاله، ويتقرّبون إليه بكلّ وسيلة لئلاّ ينكشف أمرهم للمؤمنين المخلصين، ويحاولون جهدهم أن يظهروا بمظهر يغبطهم عليه المؤمنون لكثرة تعبّدهم وورعهم في أعين الناس(1) .

فإذا كان هذا حالهم في حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فكيف أصبحوا بعد وفاته؟ لا شك بأنّهم نشطوا وتكاثروا وازداد تستّرهم وتمثيلهم، فلم يعد هناك نبيٌّ يعرفهم ولا وحيٌ يفضحهم، وخصوصاً وقد ظهرت بموته صلّى الله عليه وآله وسلّم بوادر الشقاق والافتراق من أهل المدينة الذين مردوا على النفاق وكذلك ارتداد العرب في شبه الجزيرة الذين هم أشدّ كفراً ونفاقاً، ومنهم من إدّعى النبوّة كمسيلمة الكذاب وطليحة وسجاح بنت الحرث وأتباعهم وكلّ هؤلاء كانوا من الصّحابة.

_____

(1) أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده وابن حجر في إصابته في ترجمة ذي الثدية عن أنس بن مالك، قال: كان في عهد رسول الله رجلٌ يعجبنا تعبّده واجتهاده، وقد ذكرنا ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم باسمه فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه، فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجلُ، قلنا: هو ذا! قال رسول الله: إنكم تخبروني عن رجل إنّ في وجهه لسعفةٌ من الشيطان، إنّ هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، أقتلوهم فهم شرّ البريّة.

وإذا تركنا كل هؤلاء واعتمدنا فقط على سكّان المدينة من صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فإنّا نجزم بأنّ هؤلاء أيضاً ظهرت فيهم حسيكة النّفاق وحتّى المؤمنين منهم أغلبهم إنقلب على عقبيه من أجل الخلافة.

وقد عرفنا فيما سبق من أبحاث أنّهم تآمروا على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعلى وصيّه وعصوا رسوله الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في أوامره التي أمرهم بها وهو على فراش الموت.

وهذه الحقيقة لا مفرَّ منها للباحثين عن الحقّ إذ يصطدمون بها عند قراءة كتب التأريخ والسيرة النبويّة، وقد سجّلها كتاب الله سبحانه بأجل العبارة وأحكم الآيات بقوله تعالى:

(وما محمد إلاّ رسولٌ قد خلتْ من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) [آل عمران: 144].

فالشّاكرون هم الأقلية من الصحابة الذين لم ينقلبوا، وثبتوا على العهد الذي أبرموه مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يبدّلوا تبديلاً.

وبهذه الآية الكريمة ومدلولها المحكم تسقط دعوى أهل السنّة: بأنّ الصحابة لا علاقة لهم بالمنافقين ولو سلّمنا لهم جدَلاً بذلك، فإنّ هذه الآية الكريمة خاطبت الصحابة المخلصين الذين لم يكونوا منافقين في حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وإنّما انقلبوا على أعقابهم بعد وفاته مباشرة.

وسوف يتّضح أمر هؤلاء إذا ما بحثنا أحوالهم في حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعد وفاته وما قاله فيهم سول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وطفحت به كتب الحديث والسيرة والتأريخ.

وحتّى لا يتوهم معاندٌ في الأحاديث النبويّة التي تناولت الصّحابة يحاول الطعن فيها أو تضعيفها، فقد اعتمدنا فقط أحاديث البخاري والذي هو أصحّ الكتب عند أهل السنّة ورغم أنّ البخاري كتم الكثير من هذه الأحاديث حفاظاً على كرامة الصحابة كما هو معروف عنه ولان غيره من صحاح أهل السنّة أخرج أضعافها وبعبارات أكثر وضوحاً إلاّ أننا نكتفي بهذا الموجز الذي أخرجه البخاري لتكون حجّتنا أبلغ.

أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الأول في باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر من كتاب الإيمان.

قال إبراهيم التيميُّ: ما عرضت قولي على عملي إلاّ خشيت أن أكون مكذّباً، وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّهم يخاف النّفاق على نفسه، ما منهم أحدٌ يقول إنّه على إيمان جبريل وميكاييل... (صحيح البخاري: 1/17).

* وإذا كان ابن أبي مليكة أدرك ثلاثين من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّهم يخاف النفاق على نفسه ولا يدّعي الإيمان الصحيح لنفسه فما بالُ أهل السنّة يرفعونهم إلى منزلة الأنبياء ولا يقبلون النقد في أي واحد منهم.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب الجاسوس والتجسّس من كتاب الجهاد والسير.

أنّ حاطب بن أبي بلتعة وهو من صحابة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بعث إلى المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وقد جيء بكتابه إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: ما هذا يا حاطب؟ فاعتذر للنبيّ بأنه يريد حماية قرابته في مكّة، وصدّقه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق! قال: إنّه شهد بدراً، وما يدريك لعلّ الله أن يكن قد اطّلع على

أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.. (صحيح البخاري: 4/19).

* وإذا كان حاطب وهو من الرّعيل الأول من الصحابة الذين شهدوا بدراً يبعث بأسرار النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى أعدائه من مشركي مكّة ويخون الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعذر حماية قرابته، ويشهد عمر بن الخطاب نفسه على نفاقه، فكيف بالصحابة الذين أسلموا بعد الفتح أو بعد خيبر أو بعد حنين وكيف بالطلقاء الذين استسلموا ولم يسلموا.

أمّا ما جاء في الفقرة الأخيرة من القول المنسوب للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن الله قال لأهل بدر إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فنترك التعليق عليه للقارئ اللّبيب.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه السادس في باب قوله: سواء عليهم استغفر لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين من كتاب فضائل القرآن سورة المنافقين.

أنّ رجلاً من المهاجرين كسح رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاريُّ يا للأنصار وقال المهاجريُّ يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: ما بال دعوى أهل الجاهلية؟ قالوا: يا رسول الله كسح رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: دعوها فإنّها منتنةٌ، فسمع بذلك عبد الله بن أُبي فقال: فعلوها أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذلّ، فبلغ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم، فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق! فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلم: دعه لا يتحدّث النّاس أنّ محمداً يقتل أصحابه. (صحيح البخاري: 6/65).

* وهذا الحديث صريح في أنّ المنافقين كانوا من الصّحابة، فقد أقرّ رسول الله قول عمر بأنّه منافق ولكن منعه من قتله حتّى لا يُقال بأنّ محمداً يقتل أصحابه.

ولعلّ الرّسول كان يعلم بأنّ أكثر أصحابه منافقون وإذا ما قتل

كل المنافقين لم يبق من أصحابه عددٌ كثير. فأين أهل السنّة من هذه الحقيقة المؤلمة التي تدحض مزاعمهم.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب حديث الإفك من كتاب الشهادات.

أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: من يعذرني من رجلٍ بلغني أذاهُ في أهلي، فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله أنا والله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عُنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيّد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحميّة فقال: كبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن الحضير فقال: كذبت لعمر الله، والله لنقتلنّه فإنّك منافقٌ تجادل عن المنافقين، فثار الحيّان الأوس والخزرج حتّى همّوا أن يقتتلوا ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على المنبر فلم يزل يخفّضهم حتّى سكتوا وسكت... (صحيح البخاري: 3/156 وكذلك: 6/8).

* وإذا كان سعد بن عبادة سيد الأنصار يتّهم بالنّفاق بعد ما كان رجلاً صالحاً كما تشهد بذلك الرّواية، ويقال عنه منافق بحضرة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فلا بدافع عنه وإذا كان الأنصار الذين امتدحهم الله في كتابه يثورون جميعاً بأوسهم وخزرجهم ويهمّوا بالاقتتال من أجل منافق آذى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في أهله فيدافعون عنه ويرفعون أصواتهم بحضرة النبي صلّى الله عليه وآله وسلم.

فكيف يستغرب النفاقُ من غيرهم الذين كرّسوا حياتهم في محاربة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعوته أو من الذين همّوا بحرق دار إبنته بعد وفاته من أجل الخلافة.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثامن من كتاب التوحيد في باب قول الله تعالى: (تعرج الملائكة والروح إليه) .

أنّ علياً بن أبي طالب بعث وهو باليمن إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بقطع من الذهب فقسّمه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على بعض النّاس فتغضّبت قريش والأنصار فقالوا يعطيه صناديد أهل نجد ويدعنا؟ قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم: فمن يطع الله إذا عصيته؟ فيأمنّي على أهل الأرض ولا تأمنوني؟

فسأل خالد بن الوليد قتله فمنعه النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من ذلك. فلمّا ولّى قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم: إنّ من ضئضئي هذا قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السّهم من الرميّة يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل عادٍ. (صحيح البخاري: 8/178).

* وهذا منافقٌ آخر من الصحابة يتّهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالحيف في القسمة ويواجه النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في غير أدب بقوله: يا محمد إتّق الله ورغم معرفة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لنفاقه وأنّه يخرج من ضئضه قومٌ يمرقون من الإسلام مروق السّهم من الرميّة فيقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ورغم ذلك كلّه منع النبيُّ خالد من قتلهِ.

وفي هذا جواب لأهل السنّة الذين كانوا كثيراً ما يحتجّون عليَّ بقولهم: لو كان رسول الله يعلم أنّ من أصحابه منافقين سيكونوا سبباً في ضلالة المسلمين لوجب عليه قتلهم لحماية أمّته وحماية دينه.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب إذا أشار الإمام بالصلح من كتاب الصلح.

أنّ الزبير كان يحدّث أنّه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدْراً إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في شراج من الحرّة كانا يسقيان به كلاهما فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم للزبير: إسقِ يا زبير ثم أرسل إلى جارك فغضب الأنصاريُّ فقال: يا رسول الله إن كان ابن عمّتك؟ فتلوّن وجه

رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. ثم قال: أسقِ ثم أحبس حتّى يبلغ الجدر... (صحيح البخاري: 3/171).

* وهذا نمطٌ آخر من الصحابة المنافقين الذين يعتقدون بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تأخذه العاطفة فيميل مع ابن عمّته ويقولها بكل وقاحة حتى يتغير وجه رسول الله ويتلوّن من شدّة الغضب.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرّابع في باب ما كان النبيّ يعطي المؤلفة قلوبهم من كتاب الجهاد والسير. عن عبدالله رضي الله عنه.

قال: لما كان يوم حنين آثر النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم أناساً في القسمةِ فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة مثل ذلك. وأعطى أناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة. فقال رجُلٌ: والله إنّ هذه القسمة ما عُدلَ فيها وما أريد بها وجهُ اللهِ. فقلتُ واللهِ لأُخبرنَّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم. فأتيتُه فأخبرتُه. فقال: فمن يعدِلُ إذا لم يعدل اللهُ ورسولُهُ؟ رحم اللهُ موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر. (صحيح البخاري: 4/61).

وهذا منافقٌ آخر من صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولعلّه من عظماء قريش ولذلك تحاشى الراوي ذكر اسمه خوفاً من الجهاز الحاكم في ذلك الوقت وترى هذا المنافق يعتقد جزماً ويُقسم على ذلك بأنّ محمداً ما كان عادلاً ولا أراد بقسمته وجه الله. ورحم الله محمّداً فقد أوذيَ بأكثر من هذا فصبر.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرّابع في باب علامات النبوّة في الإسلام من كتاب بدء الخلق.

أنّ أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو يقسمُ قسماً إذا أتاهُ ذو الخويصرة وهو رجلٌ من

بني تميم فقال: يا رسول الله أعدلْ! فقال: ويلَك ومن يعدلُ إذا لم أعدل قد خبتَ وخسرتَ إن لم أكن أعدل. فقال عمر: يا رسول الله إئذن لي فيه فأضرب عُنقَهُ. فقال: دعْهُ فإنَّ له أصحاباً يحقِرُ أحدكم صلاتَه مع صلاتهم وصيامهُ مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوزُ تراقيهم يمرقون من الدّين كما يمرُقُ السّهم من الرميّة...» (صحيح البخاري: 4/179).

* وهذا نمط آخر من الصحابة المنافقين الذين كانوا يظهرون أمام النّاس بمزيد من التقوى والخشوع حتّى أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لعمر إن أحدكم يحقر صلاته وصيامه مع صلاتهم وصيامهم. ولا شكّ أنّهم كانوا يحفظون القرآن حفظاً متراكماً ولكن لا يتجاوز حناجرهم. وقول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم: «دعه فإنّ له أصحاباً» يدلّ على وجود المنافقين بأعداد كبيرة ضمن الصّحابة.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه السابع في باب من لم يواجه الناس بالعتاب من كتاب الأدب.

قالت عائشة: صنع رسول صلّى الله عليه وآله وسلّم شيئاً فرخّص فيه فتنزّه عنه قومٌ. فبلغ ذلك النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فخطب فحمد الله ثم قال: ما بال أقوامٍ يتنزّهون عن الشيء أصنعه فوالله إنّي لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشيةً. (صحيح البخاري: 7/96).

* وهذا نوع آخر من الصحابة الذين يتنزّهون عن سنّة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا شكّ أنّهم كانوا يسخرون من أفعاله ولذلك نراه صلّى الله عليه وآله وسلّم يخطب فيهم ويقسم بالله أنّه لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب الإشتراك في الهدي والبدن من كتاب المظالم.

عن ابن عباس قال قدم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم صبح رابعة من ذي الحجّة مهلّين بالحجّ لا يُخلطهم شيءٌ، فلمّا قدمنا أمرنا فجعلناها عُمرة

وأن نحلَّ إلى نسائنا، ففشت في ذلك القالة، قال عطاء، قال جابر: فيروح أحدنا إلى منى وذكره يقطر منيّاً، فقال جابر بكفّه، فبلغ ذلك النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقام خطيباً فقال: بلغني أنّ أقواماً يقولون كذا وكذا، والله لأنّا أبرّ وأتقى لله منهم... (صحيح البخاري: 3/114).

* وهذا نمط آخر من الصحابة الذين يعصون أوامر رسول الله في الأحكام الشرعية، وقول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم: بلغني أنّ أقواماً يقولون كذا وكذا، يدلّ على أنّ الكثير منهم رفضوا أن يتحلّلوا لنسائهم بدعوى أنّهم يتنزّهون أن يروحوا إلى منى وذكرانهم تقطر منيّاً وغاب عن هؤلاء الجهلة أنّ الله أوجب عليهم الغسل والطّهارة بعد كل عملية جنسية، فكيف يروحون إلى منى والمنيّ يقطر من ذكورهم؟ وهل هم أعلم بأحكام الله من رسول الله نفسه؟ أم هم أبرُّ وأتقى لله منه؟

ولا شكّ أنّ زواج المتعة، أو «متعة النّساء» وقع تحريمها بعد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من طرف عمر، من هذا القبيل، فإذا كانوا في حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يرفضون أوامره بنكاح نسائهم أيّام الحجّ، فلا يستغرب منهم أن يمنعوا نكاح المتعة بعد وفاته تنزيهاً منهم لأنفسهم عمّا كان يأمر به النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، ويعتبرون نكاح المتعة من قبيل الزنا، كما يقول اليوم أهل السنّة بهذه المقالة.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرّابع في باب ما كان النبي يُعطي المؤلّفة قلوبهم من كتاب الجهاد والسير.

عن أنس بن مالك، أنّ رسول الله حين أفاء الله عليه من أموال هوازن فأعطى رجالاً من قريش، فقال الأنصار: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويدعنا وسيوفنا تقطر من دمائهم! فجمعهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في قبّة ولم يدع معهم أحداً غيرهم وقال لهم: «ما كان حديثٌ بلغني عنكم؟» ولمّا أعادوا عليه مقالتهم، قال: «إنّي أعطي رجالاً حديثٌ عهدهم بكفرٍ، أما

ترضون أن يذهب النّاس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله، فوالله ما تنقلبون به خيرٌ ممّا ينقلبون به» قالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا، فقال لهم: «إنكم سترون بعدي أثرةٌ شديدة فاصبروا حتّى تلقوا الله ورسوله على الحوض» قال أنس: فلم نصبر (صحيح البخاري: 4/60).

* ونتساءل: هل كان في الأنصار كلّهم رجلٌ واحدٌ رشيد إقتنع بما فعله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم واعتقد بأنّه لا يميل مع الهوى والعاطفة، وفهم قول الله سبحانه في هذا الصّدد: (فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً) [النساء: 65].

فهل كان فيهم مَنْ دافَعَ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عندما قالوا: يغفر الله لرسول الله؟

كلاّ لم يكن فيهم واحداً بمستوى الإيمان الذي اقتضته الآية الكريمة، وقولهم بعد ذلك: بلى يا رسول الله قد رضينا، لم يكنْ عن قناعة، ولذلك جاءت شهادة أنس بن مالك وهو منهم في محلّها عندما قال: أوصانا بالصبر فلم نصبر.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الخامس في باب غزوة الحديبية من كتاب المغازي.

عن أحمد بن إشكاب حدّثنا محمّد بن فضيل عن العلاء بن المسيّب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما، فقلت: طوبى لك صحبت النبي صلّى الله عليه وسلّم وبايعته تحت الشجرة!

فقال: يا بن أخي إنّك لا تدري ما أحدثنا بعده. (صحيح البخاري: 5/66).

* لقد صدق البراء بن عازب: فإن أغلب النّاس لا يدرون ما أحدث الصّحابة بعد وفاة نبيّهم صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من ظلم وصيّه وابن عمّه

وأبعاده عن الخلافة ـ ومن ظلم ابنته الزّهراء وتهديدها بالحرق، وغصب حقّها من النّحلة والإرث والخمس، ومن مخالفة وصايا النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وتبديل الأحكام التشريعية وحرق السنّة النبويّة وضرب الحصار عليها، ومن أذيته صلّى الله عليه وآله وسلّم في لعن وقتل أهل بيته وإبعادهم وتشريدهم وإعطاء السلطة إلى المنافقين والفاسقين من أعداء الله ورسوله. نعم كل ذلك وغيره كثير مما أحدثوه من بعده وبقي مجهولاً عند عامّة النّاس الذين ما عرفوا من الحقائق إلاّ ما أملته عليهم مدرسة الخلفاء، التي تفنّنت في تبديل أحكام الله ورسوله باجتهادات شخصية سمّيت البدع الحسنة.

وبهذه المناسبة نقول لأهل السنّة: لا تغترّوا يا إخوتنا بالصُّحبة والصّحابة فها هو البراء بن عازب من الرّعيل الأول، الذين بايعوا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم تحت الشجرة يقول لابن أخيه بلسان الحال: لا تغرنّك صحبتي ولا بيعتي تحت الشجرة فإنّك لا تدري ما أحدثت بعده وقد قال تعالى: (إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه...) [الفتح: 10].

وكم كان عدد الصحابة النّاكثين كبيراً حتّى عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لابن عمّه علي أن يقاتلهم، كما جاء ذلك في كتب التاريخ.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الأوّل والثالث في باب إذا نفر النّاس عن الإمام في صلاة الجمعة من كتاب الجمعة.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أقبلت عيرٌ من الشّام تحمل طعاماً ونحن نصلّي مع النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم الجمعة، فانفضّ النّاس، إلاّ إثني عشر رجلاً، فنزلت هذا الآية، وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها وتركوك قائماً (صحيح البخاري: 1/225 و3/6و7).

* وهذا نمط آخر من الصحابة المنافقين الذين لا يتورّعون ولا يخشعون، بل ويفرّون من صلاة الجمعة ليتفرّجوا على العير والتجارة

ويتركون رسول الله قائماً بين يدي الله يؤدّي فريضته في خشوع ورهبة.

فهل هؤلاء مسلمون كَمُلَ إيمانهم؟ أم هل هم منافقون يهزؤون من الصّلاة وإذا قاموا إليها قاموا كُسالى؟ ولا يُستثنى منهم إلاّ الذين ثبتوا مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لإتمام صلاة الجمعة وعددهم إثنى عشر رجلاً.

ومن تتبّع أحوالهم واستقصى أخبارهم، فسوف يندهش لأفعالهم ولا شكّ أن هروبهم من صلاة الجمعة تكرّر لمرّات متعدّدة ولذلك سجّله كتاب الله سبحانه بقوله: قل ما عند الله خير من اللّهو ومن التجارة.

وحتّى تعرف أيّها القارئ العزيز، مدى احترامهم لهذه الصّلاة الّتي يحترمُها مسلمو العصر الحاضر أكثر منهم إليك هذه الرّواية.

أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب ما جاء في الغرس من كتاب الوكالة.

عن سهل بن سعيد رضي الله عنه أنّه قال: إنّا كنّا نفرح بيوم الجمع كانت لنا عجوزٌ تأخذ من أصول سلقٍ لنا كنّا نغرسه في أربعائنا فتجعله في قدرٍ لها فتجعل فيه حبّاتٍ من شعير لا أعلم إلاّ أنّه قال ليس فيه شحمٌ ولا ودكٌ، فإذا صلّينا الجمعة زرناها فقرّبته إلينا، فكنّا نفرح بيوم الجمعة من أجل ذلك، وما كنّا نتغذّى ولا نقيل إلاّ بعد الجمعة. (صحيح البخاري: 3/73).

* فهنيئاً مريئاً لهؤلاء الصّحابة الذين لا يفرحون بيوم الجمعة للقاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والاستماع لخطبه ومواعظه والصّلاة بإمامته ولا بلقاء بعضهم البعض وما في ذلك اليوم من بركات ورحماتٍ ولكنّهم يفرحون بيوم الجمعة من أجل طعام مخصوص أعدّته لهم عجوز، ولو قال أحد المسلمين

اليوم بأنّه يفرح بيوم الجمعة من أجل الطعام لأعتبر من المسوّفين المهملين.

وإذا أردنا مزيداً من البحث والتنقيب فإنّنا سنجد الشّاكرين الذين مدحهم القرآن الكريم، أقليّة لا يتجاوز عددهم الإثنى عشر رجلاً، وهؤلاء هم المخلصون الذين لم ينفضّوا إلى اللّهو والتجارة وبتركوا الصّلاة، وهم أنفسهم الذين ثبتوا في الجهاد مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في العديد من المواطن التي فرّ منها بقيّة الصّحابة وولّوا مدبرين.

فقد أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب ما يكره من التّنازع والاختلاف في الحرب من كتاب الجهاد والسير.

عن البراء عازب قال: جعل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم على الرجّالة يوم أحدٍ وكانوا خمسين رجلاً، عبدالله بن جبير فقال: إن رأيتمونا تخطّفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتّى أرسل إليكم، فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهنّ وأسواقهنّ رافعاتٍ ثيابهنّ، فقال أصحاب عبدالله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبدالله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلّى الله عليه وآله سلم؟ قالوا: «والله لنأتينّ النّاس فلنصيبنّ من الغنيمة، فلمّا أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول في آخراهم فلم يبق مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم غير إثني عشر رجلاً فأصابوا منّا سبعين...» (صحيح البخاري: 4/26).

* وإذا عرفنا ممّا ذكره المؤرخون لهذه الغزوة بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خرج بألف صحابي كلّهم يتشوّقون للجهاد في سبيل الله مغترّين بالنّصر الذي حصل في غزوة بدر، ولكنّهم عصوا أمر النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وتسبّبوا في هزيمة نكراء شنيعة قتل فيها سبعون وعلى رأسهم حمزة عمّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وفرّ الباقون ولم يبق مع النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في ساحة المعركة غير إثني عشر رجلاً على ما يقوله البخاري، أمّا غيره من المؤرخين فينزل بهذا العدد إلى أربعة فقط وهم علي بن أبي طالب الذي تصدّى للمشركين يحمي بذلك

وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأبو دجانة يحمي ظهره وطلحة والزبير وقيل سهل بن حنيف.

ومن هذه المواقف نفهم قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: «لا أرى يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم» (سيأتي البحث في هذا الحديث).

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد توعّدهم بالنّار إذا فرّوا من الحرب فقال: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولّوهم الأدبار، ومن يولّهم يومئذ دبره إلاّ متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة، فقد باء بغضبٍ من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير) [الأنفال: 16].

فما هي قيمة هؤلاء الصّحابة الذين يفرّون من الصّلاة من أجل اللّهو والتجارة، ويفرّون من الجهاد خوفاً من الموت تاركين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحده بين الأعداء. وفي كلتا الحالتين ينفضّوا ويولّوا الأدبار بأجمعهم ولا يبق معه صلّى الله عليه وآله وسلّم غير إثني عشر رجلاً على أكثر التقديرات. فأين الصّحابة يا أولي الألباب؟؟

ولعلّ بعض الباحثين عندما يقرؤون مثل هذه الأحداث والروايات يستصغرون شأنها ويظنّون بأنها حادثة عرضية عفى الله عنها، ولم يعد الصحابة إلى مثلها بعد ذلك.

كلا، فإنّ القرآن الكريم يوقفنا على حقائق مذهلة، فقد سجَّل الله سبحانه فرارهم يوم غزوة أحد(1) بقوله:

(ولقد صدقكم الله وعده، إذ تحسّونهم بإذنه حتّى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبّون، منكم من يريد الدّنيا ومنكم

---

(1) تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: 4/126. تفسير الطبري أيضاً. وكذلك صحيح البخاري: 5/29 باب غزوة أحد.

من يريد الآخرة. ثم صرفكم عنهم ليبتليكم. ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين إذا تصعدون ولا تلوون على أحدٍ والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غمّاً بغمّ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبيرٌ بما تعملون) [آل عمران: 153].

فهذه الآيات نزلت بعد معركة أحد. والتي انهزم فيها المسلمون بسبب رغبتهم في متاع الدنيا عندما رأوا النّساء رافعات ثيابهن قد بدت أسواقهنّ وخلاخلهنّ على ما حكاه البخاري. فعصوا الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما حكاه القرآن: فهل اعتبر الصّحابة بتلك الحادثة وتابوا إلى الله واستغفروه ولم يعودوا لمثلها بعد ذلك؟

كلاّ فإنهم لم يتوبوا وعادوا إلى أكبر منها في غزوة حنين والتي وقعت في آخر حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم. وكان عددهم في تلك المعركة إثنى عشر ألفاً على ما ذكره المؤرّخون. ورغم كثرتهم فقد لاذوا بالفرار وولّوا مدبرين كالعادة تاركين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وسط أعداء الله من المشركين ومعه تسعة أو عشرة أنفار من بني هاشم على رأسهم الإمام علي بن أبي طالب كما نصّ عليه اليعقوبي في تاريخه وغيره(1) .

وإذا كان فرارهم يوم أحد شنيع فهو في حنين أشنعُ وأقبحُ لأنّ الصّابرين الذين ثبتوا معه يوم أحد كانوا أربعة من ألف صحابي وهي نسبة واحد من كل مائتين وخمسين.

أمّا في يوم حُنين فكان الصّابرون الثّابتون عشرة. من إثني عشر ألف صحابي وهي نسبة واحد من كل ألف ومائتين.

وإذا كانت معركة أحد في بداية الهجرة والنّاس لم يزالوا أقليّة وحديثي

---

(1) عباس العقّاد في عبقرية خالد: 68.

عهد بجاهلية. فما هو عذرهم في معركة حنين التي وقعت في آخر السنّة الثامنة للهجرة النبويّة ولم يبق من حياة النبيّ معهم إلاّ عامين ورغم كثرة عددهم وعدّتهم فقد أطلقوا أرجلهم للرّيح وهربوا غير ملتفتين إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم.

فالقرآن الكريم يبيّن بوضوح مواقفهم المتخاذلة وهروبهم من الزّحف في تلك المعركة بقوله:

(ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً. وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثمّ ولّيتم مدبرين. فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين. وأنزل جنوداً لم تروها وعذّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) [التوبة: 26].

يبيّن سبحانه بأنّه قد ثبت رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والذين صبروا معه على القتال بإنزال السكينة عليهم. ثم أمدّهم بجنود من الملائكة يحاربون معهم ونصرهم على الكافرين فلا حاجة للمرتدّين الذين يفرّون من العدوّ خوفاً من الموت. ويعصون بذلك ربّهم ونبيّهم. وكلّما امتحنهم الله وجدهم فاشلين.

ولمزيد البيان لا بدّ لنا من استعراض الرواية التي أخرجها البخاري بخصوص انهزام الصحابة يوم حنين.

أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الخامس في باب قول الله تعالى: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً) . من كتاب المغازي.

أن أبا قتادة قال: لمّا كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين وآخر من المشركين يختله من رواءه ليقتله فأسرعت إلى الذي يختله فرفع يده ليضربني فضربت يده فقطعتها ثم أخذني فضمّني ضمّاً شديداً حتّى تخوّفت ثم ترك فتحلّل ودفعته ثم قتلته، وانهزم المسلمون وانهزمت معهم فإذا بعمر بن الخطاب في النّاس، فقلت له: ما

شأن النّاس؟ قال: أمر الله... (صحيح البخاري: 5/101).

* عجيبٌ والله أمر عمر بن الخطاب الذي هو معدود عند أهل السنّة من أشجع الصّحابة إذا لم يكن أشجعهم على الإطلاق، لأنهم يروون بأن الله أعزّ به الإسلام وأنّ المسلمين لم يجهروا بالدعوة إلاّ بعد إسلامه وقد أوقفنا التاريخ على الصحيح والواقع وكيف أنّه ولّى دبره وهرب من المعركة يوم أحد، كما ولّى دبره وفرّ هارباً يوم خيبر عندما أرسله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى مدينة خيبر ليفتحها وأرسل معه جيشاً فانهزم هو وأصحابه ورجعوا يجبّنونه ويجبّنهم(1) ، كما ولّى دبره وهرب يوم حنين مع الهاربين أو لعلّه كان أوّل الهاربين وتبعه النّاس إذ كان هو أشجعهم، ولذلك نرى أبا قتادة يلتفت من بين ألوف المنهزمين إلى عمر بن الخطاب ويسأله كالمستغرب، ما شأن الناس؟ ولم يكتف عمر بن الخطاب بهروبه من الجهاد وترك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وسط الأعداء من المشركين حتّى يموّه على أبي قتادة بأنّه أمر الله!.

فهل أمر الله عمر بن الخطاب بالفرار من الزّحف؟

أم أنّه أمره بالثّبات والصبر في الحروب وعدم الفرار؟ فقد قال له ولأصحابه (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولّوهم الأدبار) [الأنفال: 1].

كما أخذ الله عليه وعلى أصحابه عهداً بذلك، فقد جاء في الذكر الحكيم: (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولّون الأدبار وكان عهد الله مسؤولاً) [الأحزاب: 15].

فكيف يُولّي أبو حفص الدّبر من الزّحف ويدّعي أن ذلك أمر الله؟؟

فأين هو من هذه الآيات البيّنات، أم على قلوب أقفالها؟

_____

(1) مستدرك الحاكم: 3/37 كما أخرجه الذهبي في تلخيصه.

ولسنا هنا بصدد البحث عن شخصية عمر بن الخطاب فسوف نفرد له باباً خاصّاً به، ولكنّ حديث البخاري مثيرٌ لم يترك لنا مندوحة من هذه الملاحظة السّريعة، والذي يهمّنا الآن هو شهادة البخاري بأنّ الصحابة على كثرة عددهم ولّوا مدبرين يوم حنين، والذي يقرأ كتب التاريخ في تلك الحروب والغزوات يظهر له العجب العجاب.

وإذا كان أمر الله لا يطاع من أكثر الصحابة كما عرفنا من خلال الأبحاث السّابقة، فلا يستغرب منهم الإعراض عن أوامر الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو حيٌّ معهم ـ أمّا أوامره بعد وفاته بأبي هو وأمّي وما لقيت منهم من إهمال وتبديل فحدّث ولا حرج.

الصّحابة تجاه أوامر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم في حياته

ولنبدأ بالأوامر التي أمر بها صلّى الله عليه وآله وسلّم في حياته والتي قوبلت بالتمرّد والعصيان من قبل هؤلاء الصّحابة.

وسوف لن نتحدث إلا بما أخرجه البخاري في صحيحه روماً للاختصار وضارباً على بقية صحاح أهل السنّة صفحاً وإلا فإن فيهم أضعاف الأضعاف وبعبارات أكثر وضوحاً، وأكثر تحدّياً.

أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب من كتاب الشروط.

وبعد ما أورد البخاري قصة صلح الحديبية ومعارضة عمر بن الخطاب لما وافق عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وشكّه فيه حتّى قال له صراحة: ألست نبي الله حقّاً؟ إلى آخر القضيّة. قال البخاري: فلمّا فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأصحابه قوموا فانحروا ثم أحلقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجلٌ حتّى قال ذلك ثلاث مرّات فلم يقم منهم أحدٌ فدخل على أمّ سلمة فذكر لها ما لقي من النّاس.

(صحيح البخاري: 3/182).

* ألا تعجب أيها القارئ من تمرّد الصّحابة وعصيانهم لجاه أمر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ورغم تكرار الأمر ثلاث مرات فلم يستجب له منهم أحد؟؟

ولا بدّ هنا من ذكر محاورة دارت بيني وبين بعض العلماء في تونس بعد صدور كتابي «ثم اهتديت» وأنهم قرأوا فيه تعليقي على صلح الحديبية، فعلّقوا بدورهم على هذه الفقرة بقولهم: إذا كان الصّحابة قد عصوا أمر النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنحر والحلق فلم يمتثل لأمره أحد فإنّ عليّاً بن أبي طالب كان معهم ولم يمتثل هو الآخر لأمر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم. وأجبتهم بما يلي:

أولاً: لم يكن علي بن أبي طالب معدوداً من الصّحابة، فهو أخ رسول الله وابن عمّه وزوج ابنته وأبو ولده، وقد كان عليّ مع رسول الله في جانب وبقية النّاس في جانب، فإذا قال الرّاوي في صحيح البخاري بأن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أمر أصحابه بالنحر والحلق، فإن أبا حسنٍ سلام الله عليه لم يكن معدوداً ضمنهم، فهو بمنزلة هارون من موسى، ألا ترون أنّ الصلاة على محمد لا تكون كاملة إلاّ إذا أضيف إليها الصلاة على آله، وعلي هو سيد آل محمد بدون منازع فأبو بكر وعمر وعثمان وكل الصّحابة لا تصحّ صلاتهم إلا إذا كان فيها ذكر علي بن أبي طالب مع محمد بن عبدالله.

ثانياً: ـ إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان دائماً يشرك عليّاً أخاه في هَدْيه كما وقع ذلك في حجة الوداع عندما قدم عليٌّ من اليمن وسأله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: بماذا أهللت يا علي؟ فقال: بما أهلّ رسول الله. فأشركه النبي في هديه، وقد ذكر هذه القضيّة كل المحدّثين والمؤرّخين، فلا بد أن يكون شريكه يوم الحديبية أيضاً.

ثالثاً: إن علياً بن أبي طالب هو الذي كتب الصلح يوم الحديبية بإملاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، ولم يعترض عليه في شيء طيلة حياته، لا بمناسبة الحديبية ولا في غيرها، ولم يسجّل التاريخ بأنّه عليه السّلام تأخّر عن أمر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أو عصاه مرّة واحدة ـ حاشاه ـ ولا فرّ مرّة من الزحف وترك أخاه وابن عمه بين الأعداء، بل كان دائماً يفديه بنفسه. والخلاصة أن علياً بن أبي طالب هو كنفس النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ولذلك كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: "لا يحلّ لأحد أن يجنب في المسجد إلاّ أنا وعلي"(1) .

وأقتنع أغلب المحاورين بما أوردته واعترفوا بأن علياً بن أبي طالب ما خالف في حياته أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثامن في الباب كراهية الخلاف من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

عن عبدالله بن عباس قال: لما احتضر النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده، فقال عمر: إن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم غلبهُ الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللّغط والاختلاف عند النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، قال: قوموا عني، فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم. (صحيح البخاري: 8/161 و1/37 و5/138).

———————————

(1) صحيح الترمذي: 5/303. تاريخ الخلفاء للسيوطي: 172. الصواعق المحرقة لابن حجر: 121.

* وهذا أمرٌ آخر لرسول الله صلّى الله عليه وآله يقابله الصحابة بالرفض والعصيان وبانتقاص النبي صلّى الله عليه وآله وسلم.

مع الملاحظة بأنَّ عمر بن الخطاب قال بحضرة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لما طلب منهم إحضار الكتف والدّواة ليكتب لهم الكتاب الذي يمنعهم من الضّلالة قال: إن رسول الله يهجر بمعنى يهذي ـ والعياذ بالله ـ.

ولكن البخاري هذّب تلك العبارة وأبدلها بـ"غلبه الوجع" لأن قائلها عمر بن الخطاب. وتراه إذا أهمل اسم عمر في الرواية قال: فقالوا هجر رسول الله وهذه أمانة البخاري في نقل الحديث (وسوف نعقد له باباً خاصّاً).

وعلى كل حال فإن أكثر المحدّثين والمؤرّخين ذكروا بأن عمر بن الخطاب قال: إن رسول الله يهجر، وتبعه كثير من الصحابة فقالوا مقالته بحضرة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ولنا أن نتصور ذلك الموقف الرّهيب وتلك الأصوات المرتفعة وكثرة اللّغط والاختلاف بحضرته صلّى الله عليه وآله وسلّم، ومهما تكن الرواية معتبرة فلا تعتبر في الواقع إلاّ قليلاً عن المشهد الحقيقي، كما إذا قرأنا كتاباً تاريخياً يحكي حياة موسى عليه السّلام فمهما يكن الكتاب معتبراً فلا يبلغ تعبير الفيلم السينمائي الذي نُشاهده عياناً.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه السّابع في باب ما يجوز من الغضب والشدّة لأمر الله عزّ وجلّ من كتاب الأدب.

قال: احتجر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حجيرة مخصّفةً أو حصيراً فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يصلّي إليها، فتبعه رجالٌ وجاؤوا يصلّون بصلاته ثم جاؤوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عنهم فلم يخرج إليهم فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج إليهم مغضباً فقال لهم: ما زال بكم صنعكم حتى ظننت أنّه سيكتب

عليكم، فعليكم بالصّلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته إلاّ الصلاة المكتوبة. (صحيح البخاري: 7/99 و2/252 و4/168).

* ومع كلّ الأسف فإن عمر بن الخطّاب خالف أمر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وجمع الناس على صلاة النافلة أيام خلافته وقال في ذلك: إنها بدعة ونعم البدعة(1) ، وتبعه على بدعته أكثر الصحابة الذين كانوا يرون رأيه ويؤيدونه في كل ما يفعل ويقول، وخالفه علي بن أبي طالب وأهل البيت الذي لا يعملون إلا بأوامر سيدهم رسول الله صلّى الله عليه وعليهم ولا يبغون عنها بدلاً، وإذا كانت كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار فما بالك بالتي جعلت لتخالف أحكام النبي صلّى الله عليه وآله وسلم.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الخامس في باب غزوة زيد بن حارثة من كتاب المغازي.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أُسامة على قوم فطعنوا في إمارته، فقال: إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله لقد كان خليقاً للإمارة وإن كان من أحبّ الناس إليّ وإن هذا لمن أحبّ الناس إليّ بعده (صحيح البخاري: 5/84).

* وهذه القصّة ذكرها المؤرخون بشيء من التفصيل وكيف أنهم أغضبوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى لعن المتخلّفين عن بعث أسامة وهو القائد الصغير الذي لم يبلغ عمره سبعة عشر عاماً وقد أمره النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم على جيش فيه أبو بكر وعمر وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وكل وجوه قريش، ولم يعيّن في ذلك الجيش علي بن أبي طالب ولا أحداً من الصحابة الذين كانوا يتشيعون له.

———————————

(1) صحيح البخاري: 2/252 كتاب صلاة التراويح.

ولكن البخاري دائماً يقتصر الحوادث ويبتر الأحاديث حفاظاً على كرامة السّلف الصّالح من الصّحابة، ومع ذلك ففي ما أخرجه كفاية لمن أرد الوصول إلى الحقّ.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثاني في باب التنكيل لمن أكثر الوصال من كتاب الصوم.

عن أبي هريرة قال: نهى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الوصال في الصّوم، فقال له رجلٌ من المسلمين: إنّك تواصل يا رسول الله! قال: وأيكم مثلي؟ إنّي أبيت يطعمني ربّي ويسقين، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال، فقال: لو تأخّر لزدتكم كتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا. (صحيح البخاري: 2/243).

* مرحى لهؤلاء الصّحابة الذين ينهاهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الشيء فلا ينتهوا ويكرّر لهم نهيه فلا يسمعوا، أفلم يقرأوا قول الله تعالى: (وما أتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) [الحشر: 7].

ورغم تهديد الله سبحانه لمن خالف رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالعقاب الشّديد فإن بعض الصّحابة لا يقيمون لتهديده ووعيده وزناً.

وإذا كان حالهم على هذا الوصف فلا شك في نفاقهم ولو تظاهروا بكثرة الصّلاة والصّيام والتشدّد في الدّين إلى درجة أنهم يحرّموا نكاح نسائهم لئلاّ يزوجوا ومذاكيرهم تقطر منياً. ويتنزهون عما يفعله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما تقدّم في الأبحاث السّابقة.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الخامس في باب بعث النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة من كتاب المغازي:

عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: بعث النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم

خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسره، حتى إذا كان يومٌ أمر خالدٌ أن يقتل كلّ رجلٍ منا أسيره، فقلت والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجلٌ من أصحابي أسيره حتى قدمنا على النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، فذكرناه له، فرفع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يده فقال: اللهم إنّي أبرأ إليك مما صنع خالد مرّتين. (صحيح البخاري: 5/107 و8/118).

* ذكر المؤرخون هذه الحادثة بشيء من التفصيل وكيف ارتكب خالد بن الوليد هذه المعصية الشنيعة هو وبعض الصحابة الذين أطاعوه ولم يمتثلوا أوامر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في تحريم قتل من أسلم، إنها من أكبر المعاصي التي أراقت دماء بريئة، ولأن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أمره بدعوتهم للإسلام ولم يأمره بقتالهم.

ولكن خالد بن الوليد تغلّبت عليه دعوى الجاهلية وأخذته الحمية الشيطانية لأن بني جذيمة قتلوا عمه "الفاكه بن المغيرة" أيام الجاهلية، فغدر بهم وقال لهم ضعوا أسلحتكم فإن الناس قد أسلموا ثم أمر بهم فكتفوا وقتل منهم خلقاً كثيراً.

ولما علم بعض الصّحابة المخلصين نوايا خالد، هربوا من الجيش والتحقوا بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وأعادوا عليه الخبر، فتبرأ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من فعله وأرسل علياً بن أبي طالب فودى لهم الدّماء والأموال.

ولمعرفة هذه القضية بشيء من التفصيل، لا بأس بقراءة ما كتبهُ عباس محمود العقاب في كتابه "عبقرية خالد" إذ قال العقّاد بالحرف في صفحه 57 و58 ما يلي:

"فبعد فتح مكّة توجّهت عنايته عليه السّلام إلى تطهير البوادي المحيطة بها من عبادة الأصنام، فأرسل السرايل إلى قبائلها لدعوتها والأستيثاق من

نياتها، ومنها سريّة خالد إلى بني جذيمة في نحو ثلاثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار وبني سليم ـ أرسلها دعاة ولم يأمرهم بقتال ـ وكان بنو جذيمة شرّحيّ في الجاهلية يسمون لعقة الدم ومن قتلاهم الفاكه بن المغيرة وأخوه عما خالد بن الوليد ووالد عبد الرحمن بن عوف، ومالك بن الشريد وإخوته الثلاثة من بني سليم في موطن واحد، وغير هؤلاء من قبائل شتى.

فلما أقبل عليهم خالد وعلموا أن بني سليم معه لبسوا السّلاح وركبوا للحرب وأبوا النزول، فسألهم خالد: أمسلمون أنتم؟ فقيل إن بعضهم أجابه بنعم، وبعضهم أجابه: صبأنا صبأنا! أي تركنا عبادة الأصنام، ثم سألهم: فما بال السّلاح عليكم؟ قالوا: إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم فأخذنا السّلاح! فناداهم: ضعوا السّلاح فإن الناس قد أسلموا. فصاح بهم رجلٌ منهم يقال له جحدم، ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد والله ما بعد وضع السّلاح إلاّ الأسار وما بعد الأسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. فما زالوا به حتى نزع سلاحه فيمن نزع وتفرّق الآخرون.

فأمر خالد بهم فكتفوا وعرضهم على السّيف، فأطاعه في قتلهم بنو سليم ومن معه من الأعراب، وأنكر عليه الأنصار والمهاجرون أن يقتل أحداً غير مأمور من النبي عليه السلام بالقتال، ثم انتهى الخبر إلى النبي فرفع يديه إلى السّماء وقال ثلاثاً: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد" وبعث بعلي بن أبي طالب إلى بني جذيمة فودى دماءهم وما أصيب من أموالهم...

وقد عم النكير على الحادث بين أجلاّء الصحابة، من حضر منهم السّرية ومن لم يحضرها، واشتدّ عبد الرحمن بن عوف حتى رمى خالداً بقتل القوم عمداً ليدرك ثار عميه" انتهى كلام العقاد.

* نعم هذا ما ذكره العقاد الحرف في كتابه عبقرية خالد والعقاد

كغيره من مفكّري أهل السنة، بعد ما يورد القضة بكاملها يلتمس أعذاراً باردة ملفقة لخالد بن الوليد لا تقوم علي دليل ولا يقبلها عقل سليم ـ وليس للعقاد عُذرٌ سوى أنه يكتب "عبقرية خالد". فكل ما جاء به من أعذار لخالد فهي واهية كبيت العنكبوت والذي يقرأها يشعر بسخافة الدفاع ووهنه.

فكيف وقد شهد هو بنفسه في كلامه بأن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أسلهم دعاة ولم يأمرهم بقتال ـ وأعترف بأن بني جذيمة نزعوا سلاحهم بعد ما لبسوه عندما خدعهم خالد بقوله لأصحابه: ضعوا السّلاح فإن الناس قد أسلموا واعترف أيضاً بأن جحدم الذي رفض نزع السّلاح وحذّر قومه بأن خالداً سيغدر بهم بقوله: ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد، والله ما بعد وضع السّلاح إلا الأسار وما بعد الأسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. وقال العقّاد بأن بني جذيمة ما زالوا به حتى نزع سلاحه، وهذا ما يدلُّ على إسلام القوم وحسن نيتهم.

فإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أرسلهم دعاة ولم يأمرهم بقتال كما شهدت يا عقاد فما هو عذر خالد لمخالفة أوامر النبي صلّى الله عليه وآله وسلم؟ هذه عقدة لا أحسبك تحلها يا عقاد.

وإذا كان القوم قد نزعوا السّلاح وأعلنوا إسلامهم وغلبوا صاحبهم الذي أقسم أن لا يضع سلاحه حتى أقنعوه كما اعترفت به يا عقاد فما هو عذر خالد للغدر بهم وقتلهم صبراً وهم عُزّل من السلاح؟

وقد قلت بأن خالد أمر بهم فكتفوا وعرضهم على السّيف. وهذه عقدة أخرى ما أظنك قادراً على حلّها يا عقاد. وهل الإسلام أمر المسلمين بقتل من لم يقاتلهم؟ على فرض أنّهم لم يعلنوا إسلامهم. كلا فهذه حجّة المستشرقين أعداء الإسلام والتي يروّجونها اليوم.

ثم اعترفت مرّةً أخرى بأن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يأمره بقتال القوم، إذ قلت بأن المهاجرين والأنصار أنكروا على خالد أن يقتل أحداً غير مأمور من النبي

عليه السّلام بالقتال، فما هو عُذرك يا عقّاد في التماس العذر لخالد؟

ويكفينا رداً على العقاد، أنّه أبطل أعذاره بنفسه وناقضها باكلمها حين اعترف بقوله:

وقد عم النكير على الحادث بين أجلاّء الصحابة، من حضر منهم السرية ومن لم يحضرها ـ فإذا كان أجلاّء الصّحابة شدّدوا النكير على خالد حتى هربوا من جيشه واشتكوه للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وإذا كان عبد الرحمن بن عوف قد اتهم خالداً بقتل القوم عمداً ليدرك ثأر عميه ـ كما شهد بذلك العقاد ـ

وإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد رفع يديه إلى السماء وقال ثلاث مرّات: "اللّهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد".

وإذا كان النبي بعث بعلي ومعه أموالٌ فودى لبني جذيمة دماءهم وما أصيب من أموالهم حتى استرضاهم ـ كما شهد العقاد ـ هذا يدل على أن القوم أسلموا ولكنّ خالد ظلمهم واعتدى عليهم فهل من سائل يسأل العقّاد الذي يحاول جهده تبرير خالد إن كان هو أعلم من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي تبرأ إلى الله ثلاثً من فعله؟ أو من أجلاء الصّحابة الذين أنكروا عليه؟ أو من الصّحابة الذين حضروا الواقعة وهربوا من السّرية لهول ما رأوه من صنيعه المنكر؟ أو من عبد الرحمن بن عوف الذي كان معه في السّرية وهو لا شك أعرف بخالد من العقاد، والذي اتهمه بقتل القول عمداً ليدرك ثأرَ عمّيه؟

قاتل الله التعصّب الأعمى والحمية الجاهلية التي تقلب الحقائق؛ ومهما اختصر البخاري القضية في أربعة سطور، فإن فيما أورده كفاية لإدانة خالد وبقية الصّحابة الذي أطاعوه في قتل المسلمين الأبرياء والذين ذكرهم العقاد بقوله: فأطاعه في قتلهم بنو سليم ومن معه من الأعراب، ولكنّ البخاري لا يستثني من الصحابة الذين أطاعوه إلا اثنين أو ثلاثة هربوا من الجيش ورجعوا للنبي يشتكون خالد فلا يمكن لك أن تقنعنا يا عقّاد بأن

المهاجرين والأنصار وعددهم ثلاثمائة وخمسون كما صرّحت أنت بذلك لم يطيعوا خالد في قتل القوم وهربوا كلهم من الجيش فهذا لا يصدّقه أحدٌ من الباحثين.

ولكنها محاولة منك للحافظ على كرامة السّلف الصّالح من الصّحابة وستر الحقائق بأيّ ثمن. وجاء الوقت لإزاحة السّتار ومعرفة الحق.

وكم لخالد بن الوليد من مجازر شنيعة حدّثنا عنها التأريخ خصوصاً يوم البطاح عندما انتدبه أبو بكر على رأس جيش كبير مؤلف من الصّحابة الأولين فغدر أيضاً بمالك بن نويرة وقومه ولما وضعوا السّلاح أمر بهم فكُتفوا وضرب أعناقهم صبراً، ودخل بزوجة مالك ليلى أم تميم في نفس الليلة التي قتل فيها بعلها. ولما وقف عمر بن الخطاب يقتص منه وقال له: قتلت أمرءاً مسلماً ثم نزوت على زوجته، والله لأرجمنك بأحجارك يا عدوّ الله! وقف أبو بكر إلى جانب خالد وقال لعمر: إرفع لسانك عن خالد فإنّه تأول فأخطأ. وهذه قضية أخرى يطول شرحها ويقبح عرضها. فكم من مظلوم يهضم حقه لان ظالمه قويٌّ عزيز، وكم من ظالم ينصرُ ظلمه وباطله لأنّه غنيٌّ ومقرّبٌ للجهاز الحاكم. فهذا البخاري عندما يستعرض قصّة بنو جذيمة يبترها بتراً ويقول: بعث النبي خالد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا.

فهل كان بنو جذيمة فرس أم أتراك أم هنود وألمان، حتى لا يحسنوا أن يقولوا أسلمنا يا بخاري؟ أم هم من القبائل العربية التي نزل القرآن بلغتهم؟ ولكن التعصّب الأعمى والمؤامرة الكبرى التي حيكت للحفاظ على كرامة الصحابة هي التي جعلت البخاري يقول مثل هذا القول ليبرّر فعل خالد بن الوليد. وهذا العقاد أيضاً يقول: فسألهم خالد أمسلمون أنتم؟ ثم يقول العقّاد: فقيل إنّ بعضهم أجابه بنعم وبعضهم أجابه صبأنا صبأنا... وكلمة "فقيل"

تدل دلالة واضحة على أن القوم يتمسكون بأي شيء قد

يوهمون به الناس ليعذروا خالد بن الوليد ـ لأن خالد بن الوليد هو سيف الحاكم المسلول وهو المدافع عن الخلافة الغاضبة وهو وأتباعه يمثلون القوة الضاربة لكلّ من تحدّثه نفسه بالخروج والتمرّد عما أبرمه أبطال السقيفة يوم وفاة الرّسول صلّى الله عله وآله وسلّم. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

معاملة الصحابة لأوامر الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم
بعد وفاته

تضييعهم سنة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم

أخرج البخاري في جزئه الأول في باب تضييع الصّلاة.. عن غيلان قال أنس بن مالك: ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي صلّى الله عليه وآله وسلم! قيل الصّلاة، قال: أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها.

وقال سمعت الزهري يقول دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ قال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلاّ هذه الصّلاة وهذه الصّلاة قد ضيعت. (صحيح البخاري: 1/134).

كما أخرج البخاري في جزئه الأول في باب فضل صلاة الفجر في جماعة قال: حدّثنا الأعمش قال: سمعت سالماً قال: سمعت أم الدرداء تقول دخل عليَّ أبو الدرداء وهو مغضبٌ فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمة محمد صلّى الله عليه وآله وسلم شيئاً إلاّ أنهم يصلّون جميعاً. (صحيح البخاري: 1/159).

وأخرج البخاري في جزئه الثاني في باب الخروج إلى المصلّى بغير منبر عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلّى فأول شيء يبدأ به الصّلاة ثم بعد

ذلك يعظ الناس، فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر فأراد أن يرتقي المنبر قبل أن يُصلّي، فجبذت بثوبه فجبذني فارتفع فخطب قبل الصلاة. فقلت له: غيرتم والله، فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم! فقلت: ما أعلم والله خيرٌ مما لا أعلم. فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصّلاة فجعلتها قبل الصّلاة. (صحيح البخاري: 2/4).

إذا كان الصحابة في عهد أنس بن مالك وعلى عهد أبي الدرداء وفي حياة مروان بن الحكم وهو عهد قريب جداً بحياة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلم، يغيرون سنن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ويضيعون كل شيء حتى الصّلاة كما سمعت،ويقلّبون سنن المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم لمصالحهم الخسيسة وهي أنّ بني أمية اتخذوا سنة سبّ ولعن علي وأهل البيت على المنابر بعد كل خطبة فكان أكثر الناس في عيد الفطر والأضحى عندما تنتهي الصّلاة يتفرقون ولا يحبّون الاستماع إلى الإمام يلعن علياً بن أبي طالب وأهل البيت ولذلك عمد بنو أمية إلى تغيير سنة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وقدّموا الخطبة على الصلاة في العيدين ليتسنى لهم سبّ ولعن علي بمحضر المسلمين كافة ويرغمون بذلك أنوفهم وعلى رأس هؤلاء معاوية بن أبي سفيان فهو الذي سن لهم تلك السنة التي أصبحت عندهم من أعظم السنن التي يتقرّبون بها إلى الله حتى أنّ بعض المؤرخين حكى أن أحد أئمتهم أتمّ خطبته في يوم الجمعة ونسي لعن علي وهم بالنزول للصّلاة فإذا الناس يتصايحون من كل جانب: تركت السُنة، نسيت السنة ـ أين هي السنة؟ نعم، وللأسف فهذه البدعة التي ابتدعها معاوية بن أبي سفيان بقيت ثمانين عاماً متداولة على منابر المسلمين، وبقيت آثارها حتى اليوم، ومع ذلك فأهل السنة والجماعة يترضّون على معاوية وأتباعه ولا يطيقون فيه نقداً ولا تجريحاً بدعوى احترام الصّحابة.

والحمد لله أنّ الباحثين المخلصين من أمة الإسلام بدأوا يعرفون

الحقّ من الباطل وبدأ الكثير منهم يتخلّص من عقدة الصّحابة التي ما كوّنها إلاّ معاوية وأشياعه وأتباعه، وأهل السنة والجماعة بدأوا يفيقون لهذا التناقض الشنيع "في الوقت الذي يدافعون فيه عن الصّحابة أجمعين حتى يلعنوا من انتقص واحداً منهم. وإذا قلت لهم: إن لعنكم هذا يشمل معاوية بن أبي سفيان لأنه سبّ ولعن أفضلَ الصّحابة على الإطلاق وهو يقصد بالطبع سبّ رسول الله الذي قال: "من سبّ علي فقد سبّني(1) ومن

سبّني فقد سبّ الله".

عند ذلك يتلجلجون ويتلكّؤون في الجواب ويقولون أشياء إن دلت على شيء فلا تدل إلاّ على سخافة العقول والتعصب الأعمى المقيت يقول بعضهم مثلاً: هذه أكاذيب من موضوعات الشيعة، والبعض الآخر يقول: هم صحابة رسول الله ولهم أن يقولوا في بعضهم ما شاؤوا أما نحن فلسنا في مستواهم لكي ننتقدهم!

سبحانك اللهم وبحمدك لقد أوقفني كلامك في القرآن الكريم على حقائق كان من الصعب عليّ فهمها والاعتقاد بها وكنت كلما قرأت: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يبصرون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون) [الأعراف: 179].

أتعجّب في نفسي وأقول كيف يكون ذلك؟ أيمكن أن يكون الحيوان الأبكم أهدى من هذا الإنسان؟ أيمكن أن ينحت الإنسان حجراً ثم يعبده ويطلب منه الرزق والمعونة؟ ولكن والحمد لله زال عجبي عندما تفاعلت مع الناس وسافرت إلى الهند ورأيت العجب العجاب رأيت دكاترة في علم التشريح يعرفون خلايا الإنسان ومكوناته، ولا يزالون يعبدون البقر، ولو

———————————

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك في: 3/121 وقال حديث صحيح على شرط الشيخين، كما أورده الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته، وكذلك الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: 6/323 والنسائي وغيرهم.

اقترف هذا الإثم، الجاهلون من الهندوس لكان عذرهم مقبول، ولكن أن ترى النخبة المثقفة منهم يعبدون البقر والحجر والبحر والشمس والقمر، فما عليك بعد ذلك إلاّ أن تسلّم وتفهم مدلول القرآن الكريم بخصوص البشر الذين هم أضلّ من الحيوان.

شهادة أبي ذر الغفاري في بعض الصحابة

أخرج البخاري في جزئه الثاني في باب ما أدّيت زكاته فليس بكنز عن الأحنف بن قيس قال: جلست إلى ملإ من قريش فجاء رجلٌ خشن الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلّم ثم قال: بشّر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم ثم يوضع على حلمة ثدي أحدهم يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل ثم ولّى فجلس إلى سارية، وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو، فقلت له: لا أرى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت! قال: إنهم لا يعقلون شيئاً، قال لي خليلي... قلت من خليلك؟ قال: النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال لي: يا أبا ذر أتبصر أحداً قال: فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار وأنا أرى أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يرسلني في حاجة له، قلت: نعم، قال: ما أحبّ أن لي مثل أحدٍ ذهباً أنفقه كله إلاّ ثلاثة دنانير. وإنّ هؤلاء لا يعقلون إنّما يجمعون الدنيا، لا والله لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دينٍ حتى ألقى الله عزّ وجلّ. (صحيح البخاري: 2/112).

وأخرج البخاري في جزئه السابع في باب الحوض وقول الله تعالى: إنا أعطيناك الكوثر: 'ن عطاء بن يسار عن أبي هريرة أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: بينما أنا قائم فإذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلم فقلت أين؟ قال: إلى النار والله قلت: وما شأنهم قال: إنهم ارتدّوا بعدك أدباهم القهقرى ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلم، قلت أين؟ قال: إلى النار والله

قلت ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم.

وعن أبي سعيد الخدري: فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي. (صحيح البخاري: 7/209).

كما أخرج البخاري في جزئه الخامس من باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) .

عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما فقلت: طوبى لك صحبت النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وبايعته تحت الشجرة فقال: يا بن أخي إنك لا تدري ما أحدثناه بعده. (صحيح البخاري: 5/66).

* وإنها لشهادةٌ كبرى من صحابي كبير كان على الأقل صريح مع نفسه ومع الناس، وتأتي شهادته مؤكّدة لما قاله الله فيهم (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) .

ومؤكّدة لما قاله النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: "فيقال لي، إنهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى".

والبراء بن عازب وهو صحابي جليل من الأكابر ومن السّابقين الأوّلين الذين بايعوا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم تحت الشجرة يشهد على نفسه وغيره من الصحابة بأنهم أحدثوا بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كي لا يغترّ بهم الناس، وأوضح بأن صحبة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ومبايعته تحت الشجرة والتي سميت بيعة الرضوان لا تمنعان من ضلالة الصحابي وارتداده بعد النبي صلّى الله عليه وآله وسلم.

وأخرج البخاري في جزئه الثامن في باب قول النبي صلّى الله عليه وآله وسلم: لتتبعنّ سنن من كان قبلكم. عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم

شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ تبعتموهم ـ قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال: فمن؟ (صحيح البخاري: 8/151).

شهادة التاريخ في الصّحابة

ولنا بعد القرآن والسنة شهادة أخرى قد تكون أوضح وأصرح لأنها ملموسة ومحسوسة عاشها الناس وشاهدوها وتفاعلوا معها فأصبحت تاريخاً يدوّن وأحداثاً تحفظ وتكتب.

وإذا قرأنا كتب التاريخ عند أهل السنة والجماعة كالطبري وابن الأثير وابن سعد وأبي الفداء وابن قتيبة وغيرهم لرأينا العجب العجاب ولأدركنا أن ما يقوله أهل السنة والجماعة في عدالة الصّحابة وعدم الطّعن في أيّ واحد منهم، كلام لا يقوم على دليل ولا يقبله العقل السّليم ولا يوافق عليه إلاّ المتعصّبون الذين حجبت الظلمات عنهم النور، ولم يعودوا يفرّقون بين محمد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ولا يفعل إلاّ الحق.وبين صحابته الذين شهد القرآن بنفاقهم وفسقهم وقلة تقواهم، فتراهم يدافعون عن الصّحابة أكثر مما يدافعون عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. وأضرب لذلك مثلاً.

* عندما تقول لأحدهم بأنّ سورة عبس وتولّى لم يكن المقصود بها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وإنّما المقصود بها أحد كبار الصّحابة الذي عاتبه الله على تكبّره واشمئزازه عند رؤيته الأعمى الفقير ـ فتراه لا يقبل بهذا التفسير ويقول: ما محمد إلاّ بشرٌ وقد غلط مرات عديدة وعاتبه ربّه في أكثر من موقع. وما هو بمعصوم إلاّ في تبليغ القرآن، هذا رأيه في رسول الله!

ولكنك عندما تقول بأن عمر بن الخطاب أخطأ في ابتداعه لصلاة التراويح التي نهى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عنها وأمر الناس بالصلاة في بيوتهم

فرادى إذا كانت الصلاة نافلة (أي غير المكتوبة).

تراه يدافع عن عمر بن الخطّاب دفاعاً لا يقبل النقاش ويقول: إنها بدعة حسنة، ويحاول بكلّ جهوده أن يلتمس له عذراً رغم وجود النص من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم على النهي، وإذا قلت له إن عمر عطّل سهم المؤلّفة قلوبهم الذي حكم به الله تعالى في كتابه العزيز فتراه يقول: إن سيدنا عمر عرف أن الإسلام قد قوي فقال لهم: لا حاجة لنا فيكم وهو أعلم بمفاهيم القرآن من كلّ الناس! ألا تعجب من هذا؟

ووصل الحدّ بأحدهم عندما قلت له: دعنا من البدعة الحسنة ومن المؤلّفة قلوبهم، ما هو دفاعك عنه إذ أخذ يهدّد بحرق بيت فاطمة الزهراء بمن فيه إلاّ أن يخرجوا للبيعة؟

فأجابني بكلّ صراحة: معه الحقّ، ولولا أنّه لم يفعل ذلك لتخلّف كثير من الصّحابة عند علي بن أبي طالب ولوقعت الفتنة.

فكلامنا مع هذا النمط من الناس لا يجدي ولا ينفع، ومع الأسف الشديد فإنّ الأغلبية من أهل السنة والجماعة يفكّرون بهذه العقلية لأنهم لا يعرفون

الحقّ إلاّ من خلال عمر بن الخطاب وأفعاله، فهم عكسوا القاعدة وعرفوا الحقّ بالرّجال، والمفروض أن يعرفوا الرجال بالحقّ (أعرف الحقّ تعرف أهله كما قال الإمام علي).

ثم سرت هذه العقيدة فيهم وتعدّت عمر بن الخطاب إلى كلّ الصّحابة، فهم كلّهم عدول ولا يمكن لأحد خدشهم أو الطعن فيهم وبذلك ضربوا حاجزاً كثيفاً وسدّاً منيعاً على كل باحث يريد معرفة الحقّ فتراه لا يتلخص من موجة حتى تعترضه أمواج ولا يتخلّص من خطر حتى تعترض سبيله أخطار، ولا يكاد المسكين يصل إلى شاطىء السّلامة إلاّ إذا كان من أُولي العزم والصبر والشجاعة.

وإذا رجعنا إلى موضوع التأريخ فإن بعض الصّحابة قد كشفت

عوراتهم وسقطت أقنعتهم وظهروا على حقيقتهم التي حاولوا جهدهم إخفاءها على الناس، أو حاول ذلك أنصارهم وأتباعهم. أو قل حكّم السوء والمتزلّفين إليهم.

وأول ما يلفت النظر هو موقف هؤلاء تجاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم غداة وفاته روحي له الفداء، وكيف تركوه جثة ولم يشتغلوا بتجهيزه وتغسيله وتكفينه ودفنه، بل أسرعوا إلى مؤتمرهم في سقيفة بني ساعدة يختصمون ويتنافسون على الخلافة، والتي عرفوا صاحبها الشرعي وبايعوه في حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم.

ممّا يؤكّد لنا بأنّهم اغتنموا فرصة غياب علي وبني هاشم الذين أبت أخلاقهم أن يتركوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مسجّى ويتسابقوا للسّقيفة فأراد هؤلاء أن يُبرموا الأمر بسرعة قبل فراغ أولئك من مهمتهم الشريفة ويلزموهم بالأمر الواقع فلا يقدرون بعده على الكلام والاحتجاج لأن أصحاب السّقيفة تعاقدوا على قتل كل من يحاول فسخ الأمر الذي أبرموه بدعوى مقاومة المخالفين وإخماد الفتنة.

ويذكر المؤرخون أشياء عجيبة وغريبة وقعت في تلك الأيام من أولئك الصّحابة الذين اصبحوا فيما بعد، هم خلفاء الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وأمراء المؤمنين ـ كحملهم الناس على البيعة بالضرب والتهديد بالقوة وكالهجوم على بيت فاطمة وكشفه، وكعصر بطنها بالباب الذي كانت وراءه حتى أسقطت جنينها. وإخراج علي مكتفاً وتهديده بالقتل إن رفض البيعة، وغصب الزهراء حقوقها من النحلة والإرث وسهم ذي القربى حتى ماتت غاضبة عليهم وهي تدعي عليهم في كلّ صلاة، ودفنت في الليل سرّاً ولم يحضروا جنازتها وكقتلهم للصّحابة الذين أبوا أن يدفعوا الزّكاة لأبي بكر تريثاً منهم حتى يعرفوا سبب تأخّر علي عن الخلافة، لأنهم يعوه في حياة النبيّ في غدير خم(1) .

———————————

(1) قضية مالك بن نويرة وقتله مشهورة في كتب التاريخ.

وكهتكهم للمحارم وتعدّي حدود الله في قتل الأبرياء من المسلمين والدخول بنسائهم من غير احترام للعدّة(1) .

وكتغييرهم أحكام الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم المبينة في الكتاب والسّنة وإبدالها بأحكام اجتهادية تخدم مصالحهم الشخصية(2) .

وكشرب بعضهم الخمر والمداومة على الزنا وهم ولاة: المسلمين والحاكمون فيهم(3) .

وكنفي أبي ذر الغفاري وطرده من مدينة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى مات وحيداً بدون ذنب اقترفه ـ وضرب عمار بن ياسر حتى وقع له فتق وضرب عبدالله بن مسعود حتى كسرت أضلاعه وعزل الصحابة المخلصين من المناصب وتولية الفاسقين والمنافقين من بني أمية أعداء الإسلام.

وكسبّ ولعن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً وقتل من تشيّع لهم من الصّحابة الأبرار(4) .

وكاستيلائهم على الخلافة بالقهر والقوة والقتل والإرهاب وتصفية من عارضهم بشتى الوسائل كالاغتيال ودسّ السم وغير ذلك(5) وكإباحتهم مدينة الرسول لجيش يزيد يفعل فيها ما يشاء رغم قول الرسول: "إن حرمي المدينة فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجميعن".

(1) قضية خالد بن الوليد ودخوله بليلى بنت المنهال بعد قتل زوجها.

(2) كتعطيل إرث الزهراء. وسهم ذي القربى ـ وسهم المؤلفة قلوبهم ـ ومتعة الزواج ومتعة الحج وغيرها كثير.

(3) كقضية المغيرة بن شعبة وزناه بأم جميل والقصة مشهورة في كتب التاريخ.

(4) كما قتل معاوية بن أبي سفيان حجر بن عدي الصحابي الجليل وأصحابه لأنّه امتنع عن لعن علي بن أبي طالب.

(5) يقول المؤرخون كان معاوية يستدعي معارضيه ويسقيهم عسلاً مسموماً فيخرجون من عنده ويموتون فيقول: إنّ لله جنداً من عسل.

وكرميهم بيت الله بالمنجنيق وحرقهم الحرم الشريف وقتلهم بعض الصّحابة بداخله.

وكحربهم لأمير المؤمنين وسيد الوصيين سيد العترة الطّاهرة الذي كان من رسول الله بمنزلة هارون من موسى في حرب الجمل وحرب صفين وحرب النهروان من أجل أطماع خسيسة ودنيا فانية.

وكقتلهم سيديّ شباب أهل الجنة الإمام الحسن بالسم والإمام الحسين بالذبح والتمثيل. وقتل عترة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بأجمعهم فلم ينجُ منهم إلا علي بن الحسين وكأفعال أخرى يندى لها جبين الإنسانية وأنزّه قلمي عن كتابتها وأهل السنة والجماعة يعرفون الكثير منها ولذلك يحاولون جهدهم صدّ المسلمين عن قراءة التاريخ والبحث في حياة الصّحابة.

وما ذكرته الآن من كتب التاريخ من جرائم وموبقات هي من أعمال الصّحابة بلا شكّ. فلا يمكن لعاقل بعد قراءة هذا. أن يبقى مصراً على تنزيه الصّحابة والحكم بعدالتهم وعدم الطّعن فيهم إلاّ إذا فقد عقله.

مع الملاحظة الأكيدة بأنّنا واعون جداً إلى عدالة البعض منهم ونزاهتهم وتقواهم وحبّهم لله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وثباتهم على عهد النبي صلّى الله عليه وآله وسلم. حتى قضوا نحبهم وما بدّلوا تبديلاً فرضي الله عنهم وأسكنهم بجوار حبيبهم ونبيهم محمد صلّى الله عليه وآله وسلم.

وهؤلاء هم أكبر وأعظم وأسمى من أن يخدش في سمعتهم خادشٌ. أو يتقول عليهم متقولٌ وقد مدحهم ربُّ العزّة والجلالة في عدة مواضع من كتابه العزيز كما نوه بصحبتهم وإخلاصهم نبيّ الرحمة أكثر من مرّة كما لم يسجّل لهم التاريخ إلاّ المواقف المشرّفة المليئة بالمروءة والنبل والشجاعة والتقوى والخشونة في ذات الله. فهنيئاً لهم وحسن مئاب جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ورضاءٌ من الله أكبر ذلك جزاء الشاكرين. والشّاكرون كما ذكر كتاب الله هم أقلية قليلة. فلا تنس!

أما الذين استسلموا ولما دخل الإيمان في قلوبهم وصاحبوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم رغبة ورهبة أو لحاجة في نفس يعقوب ووبخهم القرآن وهدّدهم توعّدهم. وحذّرهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحذّر منهم ولعنهم في عدة مواطن. وسجّل لهم التاريخ أعمال ومواقف شنيعة... أما هؤلاء فليسوا جديرين بأي احترام ولا تقدير فضلاً عن نترضّى عليهم وننزلهم منزلة النبيّين والشهداء والصالحين.

وهذا لعمري هو الموقف الحقّ الذي يزن الموازين بالقسط ولا يتعدّى حدود ما رسمه الله لعباده من موالاة المؤمنين ومعادة الفاسقين والبراءة منهم قال تعالى في كتابه العزيز: (ألم تر إلى الذين تولّوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون * أعدّ الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون * اتخذوا أيمانهم جنةً فصدّوا عن سبيل الله فلهم عذابٌ مهينٌ * لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنّهم على شيءٍ ألا إنهم هم الكاذبون * استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون * إنّ الذين يحادّون الله ورسوله أولئك في الأذلين * كتب الله لأغلبنّ أنا وسلي إنّ الله قويٌّ عزيز * لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو

عشيرتهم، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه ويدخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم الملفحون) [المجادلة: 14 ـ 22].

صدق الله العلي العظيم

ولا يفوتني في هذا الصدد أن أسجّل بأن الشيعة هم على حقّ لأنهم لا يلقون بالمودّة إلاّ لمحمد وأهل بيته وللصحابة الذين ساروا على نهجهم

وللمؤمنين الذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدّين وغير الشيعة من المسلمين يلقون بالمودّة لكلّ الصحابة أجمعين غير مبالين بمن حادّ الله ورسوله، وعادةً هم يستدلّون بقوله تعالى: (ربّنا إغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للّذين آمنوا ربّنا إنّك رؤوف رحيم) [الحشر: 10].

فتراهم يترضون عن عليّ ومعاوية غير مبالين بما ارتكبه هذا الأخير من أعمال أقلّ ما يقال فيها أنها كفرٌ وضلال ومحاربة لله ورسوله وقد ذكرت فيما سبق تلك الطريقة التي لا بأس بتكرارها وهي أن أحد الصالحين زار قبر الصّحابي الجليل حجر بن عدي الكندي فوجد عنده رجلاً يبكي ويكثر البكاء فظنّه من الشيعة فسأله: لماذا تبكي؟ أجاب: أبكي على سيدنا حجر رضي الله تعالى عنه!

قال: ما ذا أصابه؟

أجاب: قتله سيدنا معاوية رضي الله تعالى عنه.

قال: ولماذا قتله؟

أجاب: لأنه أمتنع عن لعن سيدنا علي رضي الله تعالى عنه.

فقال له ذلك الصّالح: وأنا أبكي عليك أنت رضي الله تعالى عنك.

فلماذا هذا الإصرار والعناد على مودّة كلّ الصّحابة أجمعين حتى نراهم لا يصلّون على محمد وآله إلاّ ويضيفون وعلى أصحابه أجمعين فلا القرآن أمرهم بذلك ولا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم طلب منهم ذلك ولا أحدٌ من الصّحابة قال بذلك، وإنما كانت الصّلاة على محمد وآله محمد كما نزل بها القرآن وكما علّمها لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وإن شككت في شيء فلا ولن أشكّ في أن الله طلب من المؤمنين مودّة ذي القربى وهم أهل البيت وجعلهم فرضاً عليهم كأجر على الرسالة المحمدية فقال تعالى:

(قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى) [الشورى: 23].

وقد اتفق المسلمون بلا خلاف على مودّة أهل البيت عليهم الصّلاة والسّلام واختلفوا في غيرهم، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك".

وقول الشيعة في مودّة أهل البيت ومن تبعهم لا ريب فيه وقول أهل السنّة والجماعة في مودّة الصّحابة أجمعين فيه ريبٌ كبير وإلاّ كيف يلقي المسلم بالمودة إلى أعداء أهل البيت عليهم السلام وقاتليهم ويترضّى عنهم؟ أليس هذا هو التناقض المقيت؟

ودع عنك قول أهل الشطحات وبعض المتصوفة الذين يزعمون أن الإنسان لا يصفى قلبه ولا يعرف الإيمان الحقيقي إلاّ عندما لا يبقى في قلبه مثقال ذرة من بغضٍ لعباد الله أجمعين من يهود ونصارى وملحدين ومشركين، ولهم في ذلك أقوال عجيبة وغريبة يلتقوا فيها مع المبشّرين من رجال الكنيسة والمسيحيين الذين يموهوا على الناس بأن الله محبّة والدّين محبّة فمن أحبّ مخلوقاته فليس له حاجة بالصّلاة والصّوم والحج وغير ذلك.

إنها لعمري خزعبلاتٌ لا يقرّها القرآن والسنّة ولا العقل فالقرآن الكريم يقول: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله) ويقول: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) [المائدة: 51].

وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الإيمان، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) [التوبة: 23].
وقال أيضاً: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) [الممتحنة: 1].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: "لا يتم إيمان المؤمن حتى يكون حبّه في الله وبغضه في الله".

وقال أيضاً: "لا يجتمع في قلب مؤمن حب الله وحبّ عدوه".

والأحاديث في هذا المجال كثيرة جداً. ويكفي العقل وحده دليلاً بأن الله سبحانه حبّب للمؤمنين الإيمان وزينه في قلوبهم وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان فقد يكره الإنسان إبنه أو أباه أو أخاه لمعاندة الحقّ والتمادي في طريق الشطيان، وقد يحبّ ويوالي أجنبي لا تربطه به إلاّ أخوة الإسلام.

ولكلّ هذا يجب أن يكون حُبّنا وودّنا وموالاتنا لمن أمر الله بمودّتهم كما يجب أن يكون بغضنا وكرهنا وبراءتنا لمن أم الله سبحانه بالبراءة منهم.

ومن أجل ذلك كانت موالاتنا لعلي والأئمة من بنيه من غير أن تكون لنا علاقة مسبقة بمودّتهم وذلك لأن القرآن والسنة والتاريخ والعقل لم يتركوا لنا فيهم أي ريب.

ومن أجل ذلك كانت أيضاً براءتنا من الصحابة الذين اغتصبوا حقّه في الخلافة من غير أن تكون لنا علاقة مسبقة ببغضهم وذلك لأن القرآن والسنة والتاريخ والعقل تركوا لنا فيهم ريباً كبيراً.

وبما أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أمرنا بقوله: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" فلا ينبغي لمسلم أن يتبع أي أمرٍ مريب ويترك الكتاب الذي لا ريب فيه.

كما يجب على كلّ مسلم أن يتحرّر من قيوده وتقاليده ويحكّم عقله بدون أفكار مسبقة ولا أحقاد دفينة لأن النفس والشيطان عدوان خطيران

يزينان للإنسان سوء عمله فيراه حسناً، ولنعم ما قاله الإمام البوصيري في البردة:

وخالف النفس والشيطان واعصهما * وإن هما محضاك النصح فاتهم

وعلى المسلمين أن يتقوا الله في عباده الصالحين منهم. أما الذين لم يكونوا من المتقين فلا حرمة لهم، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم "لا نميمة في فاسق" ليكشف المسلمون أمره فلا يغترّون به ولا يوالونه.

وعلى المسلمين أن يكونوا اليوم صادقين مع أنفسهم وينظروا إلى واقعهم المؤلم الحزين المخزي ويكفيهم من التغني والتفاخر بأمجاد أسلافهم وكبرائهم فلو كان أسلافنا على حقّ كما نصورهم اليوم لما وصلنا نحن إلى هذه النتيجة التي هي حتماً حصيلة الانقلاب الذي وقع في الأمة بعد وفاة نبيها روحي وأرواح العالمين له الفداء.

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً) [النساء: 135].

قول أهل الذكر بخصوص بعض الصحابة

قال الإمام علي عليه السلام، صف هؤلاء الصحابة المعدودين من السابقين الأولين: فلما نهضت بالأمر، نكثت طائفة ومرقت أخرى، وقسط آخرون(1)، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) بلى

———————————

(1) يقول محمد عبده في شرح نهج البلاغة من الخطبة الشقشقية في هذا: الناكثون أصحاب الجمل، والمارقون أصحاب النهروان، والقاسطون أي

الجائرون وهم أصحاب صفين.

والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجُها ـ نهج البلاغة: 90.

وقال أيضاً سلام الله عليه فيهم: اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً واتخذهم له أشراكا فباض وفرّخ في صدورهم ودبّ ودرج في حجورهم فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل فعل من قد شركه الشيطان في سلطان ونطق بالباطل على لسانه. نهج البلاغة: 96.

وقال عليه السّلام في الصّحابي المشهور عمرو بن العاص: عجباً لابن النابغة... لقد قال باطلاً ونطق اثماً، أما وشرُّ القول الكذب، إنه يقول فيكذب ويعد فيخلف، ويسأل فيلحف ويسأل فيبخل، ويخون العهد ويقطع الإلّ. نهج البلاغة: 200.

* وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: "آيات المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ـ وكل هذه الرّذائل وأكثر منها موجودة في عمرو بن العاص.

وقال عليه السّلام في مدح أبي ذر الغفاري، وذم عثمان ومن معه الذين أخرجوه إلى الربذة ونفوه إلى أن مات وحيداً:

يا ابا ذر، إنك غضبت لله فراج من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم وما أغناك عما منعوك، وستعلم من الرابح غداً والأكثر حسّداً. ولو أن السّماوات والأرضين كانت على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً، ولا يؤنسنك إلاّ الحقّ، ولا يوحشنك إلاّ الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبّوك، ولو قرضت منها لأمنوك. نهج البلاغة: 299.

وقال عليه السّلام في المغيرة بن الأخنس وهو أيضاً من أكابر الصّحابة: يا بن اللّعين الأبتر، والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، والله ما

أعزّ الله من أنت ناصره، ولا قام من أنت منهضه. إخرج عنا أبعد الله نواك ثم أبلغ جهدك فلا أبقى الله عليك إن أبقيت. نهج البلاغة: 306.

وقال عليه السّلام في طلحة والزّبير الصّحابيان الشهيران اللذان حارباه بعدما بايعاه ونكثا بيعته:

والله ما أنكروا على منكراً، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً، وإنهم ليبلطون حقاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه...

وإنها للفئة الباغية فيها الحما والحمة والشبهة المغدقة وإن الأمر لواضح، وقد زاح الباطل عن نصابه واقطع لسانه عن شغبه...

فأقبلتم إلي إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون البيعة البيعة، قبضت كفّي فبسطتموها، ونازعتكم يدي فجاذبتموها.

اللّهم إنهما قطعاني وظلماني، ونكثا بيعتي، وألبا الناس عليّ، فاحلل ما عقدا، ولا تحكم لهما ما أبرما، وأرهما المساءة فيما أملا وعملا، ولقد استتبتهما قبل القتال، واستأنيت بهما أمام الوقاع فغمطا النعمة وردّا العافية. نهج البلاغة: 306. وفي رسالة منه إليهما أيضاً فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما فإن الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يجتمع العار والنار والسلام. نهج البلاغة: 626.

وقال عليه السّلام في مروان بن الحكم وقد أسّره في حرب الجمل ثم أطلق سراحه وهو من الذين بايعوا ونكثوا البيعة.

لا حاجة لي في بيعته إنها كفٌّ يهودية، لو بايعني بكفه لغدر بسبّته، أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر. نهج البلاغة: 176.

وقال عليه السّلام في الصّحابة الذين خرجوا من عائشة إلى البصرة في حرب الجمل، وفيهم طلحة والزبير:

فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما تجرّ الأمة عند شرائها متوجهين بها إليالبصرة، فحبسا نساءهما في بيوتهما وأبرزا

حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهما ولغيرهما، في جيش ما منهم رجلٌ إلاّ وقد أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعاً غير مكره، فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها فقتلوا طائفة صبراً، وطائفة غدراً فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلاً واحداً معتمدين لقتله بلا جرم جرّه، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّه إذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد، دع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة التي دخلوا بها عليهم. نهج البلاغة: 370.

وقال عليه السّلام في عائشة وأتباعها من الصّحابة في حرب الجمل: كنتم جند المرأة وأتباع البهيمة، رغا فأجبتم وعقر فهربتم أخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق. نهج البلاغة: 98.

أما فلانة فأدركها رأي النساء، وضغنٌ غلا في صدرها كمرجل القين، ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت إليّ لم تفعل ولها بعد حرمتها الأولى والحساب على الله تعالى. نهج البلاغة: 334.

وقال عليه السّلام في قريش عامة وهم صحابة بلا شك:

أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسباً، والأشدّون بسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نوطاً، فإنها كانت أثرة شحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم الله والمعود إليه القيامة ودع عنك نهباً صيح في حجراته.

وهلم الخطب في ابن ابي سفيان فلقد أضحكني الدّهر بعد إبكائه ولا غرو والله فيا له خطباً يستفرغ العجب ويكثر الأود، حاول القول إطفاء نور الله من مصباحه وسدّ فواره من ينبوعه وجدحوا بيني وبينهم شرباً وبيئاً، فإن ترتفع عنا وعنهم محن البلوى أحملهم من الحقّ على محضه وإن تكن

الأخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون. نهج البلاغة: 348.

وقال في هذا المعنى عند دفنه سيدة النساء فاطمة الزّهراء وهو يخاطب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم:

وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال. هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر... نهج البلاغة: 460.

وقال عليه السلام في رسالة إلى معاوية بعث بها إليه:

فإنك مترفٌ قد أخذ الشيطان منك مأخذه وبلغ فيك أمله وجرى منك مجرى الروح والدّم.

ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية وولاّة أمر الأمة بغير قدم سابق ولا شرف باسقٍ ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء. وأحذّرك أن تكون متمادياً في غرّة الأمنية مختلف العلانية والسريرة.

وقد دعوت إلى الحرب فدع الناس جانباً وأخرج إليّ وأعف الفريقين من القتال ليعلم أيّنا المرين على قلبه والمغطّى على بصره، فأنا أبو الحسن قاتل جدّك وخالط وأخيك شدخاً يوم بدر، وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوي ما استبدلت ديناً ولا استحدثت نبياً، وإنّي لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه مكرهين... نهج البلاغة: 526.

وأما قولك إنّا بنو عبد مناف فكذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشمٍ ولا حربٌ كعبد المطّلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللّصيق ولا المحقّ كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل ولبئس الخلف خلف يتتبع سلفاً هوى في نار جهنّم.

وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذّليل

ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجاً وأسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً كنتم ممن دخل في الدّين إما رغبةً وإما رهبةً، على حين فاز أهل السّبق بسبقهم وذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم. نهج البلاغة: 533.

وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله، ولسنا إياك أجبنا ولكنا أجبنا القرآن في حكمه ـ والسّلام. نهج البلاغة: 595.

(وقل جاءالحقّ وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) [الإسراء: 81].

الفصل الخامس

فيما يتعلّق بالخلفاء الثلاثة (أبو بكر وعمر وعثمان)

إنّ أهل السنّة والجماعة وكما قدّمنا لا يسمحون بنقد وتجريح أيّ صحابي من صحابته صلّى الله عليه وآله وسلّم ويعتقدون بعدالتهم جميعاً. وإذا كتب أي مفكر حرّ وتناول أفعال بعض الصّحابة. فهم يُشنّعون عليه بل ويكفّرونه ولو كان من علمائهم وذلك ما حصل لبعض العلماء المتحرّرين المصريين وغير المصريين أمثال الشيخ محمود أبو ريّة صاحب «أضواء على السنة المحمدية» وكتاب «شيخ المضيرة» وكالقاضي الشيخ محمد أمين الانطاكي صاحب كتاب «لماذا اخترت مذهب أهل البيت» وكالسيد محمد بن عقيل الذي ألّف كتاب «النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية» ـ بل ذهب بعض الكتّاب المصريين إلى تكفير الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر عندما أفتى بجواز التعبّد بالمذهب الجعفري.

وإذا كان شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية يشنّع عليه لمجرّد اعترافه بالمذهب الشيعي الذي ينتسب لأستاذ الأئمة ومعلّمهم جعفر الصادق عليه السلام فما بالك بمن اعتنق هذا المذهب بعد بحث وقناعة وتناول بالنقد المذهب الذي كان عليه وورثه من الآباء والأجداد. فهذا ما لا يسمح به أهل السنّة والجماعة ويعتبرونه مروقاً عن الدّين وخروجاً عن الإسلام وكأنّ الإسلام على زعمهم هو المذاهب الأربعة. وغيرها باطل. إنها عقول متحجّرة

وجامدة تشبه تلك العقول التي يحدثنا عنها القرآن والتي واجهت دعوة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وعارضته معارضة شديدة لأنّه دعاهم إلى التوحيد وترك الألهة المتعدّدة قال تعالى: (وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم وقال الكافرون هذا ساحرٌ كذّاب. أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب) [ص: 5].

ولكل ذلك فأنا واثقٌ من الهجمة الشرسة التي سوف تواجهني من أولئك المتعصّبين الذين جعلوا أنفسهم قوّامين على غيرهم فلا يحقّ لأحد أن يخرج عن المألوف لديهم ولو كان هذا المألوف لا يمتّ للإسلام بشيء وإلاّ كيف يحكم على من انتقد بعض الصّحابة في أعمالهم بالخروج عن الدّين والكفر. والدّين بأصوله وفروعه ليس فيه شيء من ذلك.

بعض المتعصّبين كان يروّج في أوساطه بأنّ كتابي «ثم أهتديت» يشبه كتاب سلمان رشدي. ليصدّ الناس عن قراءته بل ويحّهم على لعن كاتبه.

إنّه الدسّ والتزوير والبهتان العظيم الذي سوف يحاسبه عليه ربّ العالمين وإلاّ كيف يقارن كتاب «ثم اهتديت» الذي يدعو إلى القول بعصمة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وتنزيهه والاقتداء بأئمة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً بكتاب «الآيات الشيطانية» الذي يشتم فيه صاحبه الملعون الإسلام ونبي الإسلام صلّى الله عليه وآله وسلّم ويعتبر أنّ الدين الإسلامي هو نفثة الشياطين؟؟

فالله يقول: (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم) [النساء: 135].

ومن أجل هذه الآية الكريمة فأنا لا أبالي إلاّ برضاء الله سبحانه وتعالى ولا أخشى فيه لومة لائم ما دمت أدافع عن الإسلام الصحيح وأنزّه نبيّه الكريم عن كل خطأ ولو كان ذلك على حساب نقد بعض الصّحابة المقرّبين ولو كانوا من «الخلفاء الراشدين» لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو أولى بالتنزيه من كلّ البشر. والقارئ الحرُّ اللّبيب يفهم من

كلّ مؤلّفاتي ما هو الهدف المنشود فليست القضية هي انتقاص الصّحابة والنيل منهم بقدر ما هو دفاع عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعصمته

ودفع الشبهات التي ألصقها الأمويون والعباسيون بالإسلام وبنبيّ الإسلام خلال القرون الأولى التي تحكّموا فيها على رقاب المسلمين بالقهر والقوة وغيّروا دين الله بما أملته عليهم أغراضهم الدنيئة وسياستهم العقيمة. وأهواؤهم الخسيسة. وقد أثّرت مؤامرتهم الكبرى على كتلة كبيرة من المسلمين الذين اتّبعوا عن حسن نيّة فيهم وتقبّلوا كل ما رووه من تحريف وأكاذيب على أنها حقائق وأنها من الإسلام ويجب على المسلمين أن يتعبّدوا بها ولا يُناقشوها.

ولو عرف المسلمون حقيقة الأمر لما اقاموا لهم ولا لمروياتهم وزناً ثم أنّه لو كان التاريخ يروي لنا بأنّ الصّحابة كانوا يمتثلون أوامر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ونواهيه ولا يناقشونه ولا يعترضون على أحكامه. وأنّهم لم يعصوه في أواخر أيام حياته في عدة أحكام. لحكمنا بعدَالتِهم جميعاً ولما كان لنا في هذا المجال بحثٌ ولا كلام.

أمّا وأنّ منهم مكذّبون ومنهم منافقون ومنهم فاسقون بنص القرآن والسنّة الثابتة الصحيحة.

أمّا وأنّهم اختلفوا بحضرته وعصوه في أمر الكتاب حتّى اتهموه بالهذيان ومنعوه من الكتابة. ولم يمتثلوا أوامره عندما أمّر عليهم أسامة. أما وإنّهم اختلفوا في خلافته صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى أهملوا تغسيله وتجهيزه ودفنه واختصموا من أجل الخلافة فرضي بها بعضهم ورفضها بعضهم الآخر ـ أمّا وأنهم اختلفوا في كل شيء بعده حتّى كفّر بعضهم بعضاً ولعن بعضهم بعضاً وحاربوا فقتل بعضهم بعضاً وتبرّأ بعضهم من بعض أما وأنّ دين الله الواحد أصبح مذاهب متعدّدة وآراء مختلفة فلا بدّ والحال هذه أن نبحث عن العلّة وعن الخلل الذي أرجع خير أمّة أخرجت للنّاس وأهوى بها إلى الحضيض فأصبحت أذلّ وأجهل وأحقر أمّة على وجه البسيطة تنتهك حرماتها وتحتلّ مقدساتها وتستعمر شعوبها وتشرّد وتطرد من أراضيها فلا تقدر على

دفع المعتدين ولا مسح العار عن جبينها.

والعلاج الوحيد فيما أعتقد لهذه المعضلة هو النقد الذّاتي فكفانا التغنّي بأسلافنا وبأمجادنا المزيّفة التي تبخرت وأصبحت متاحف أثرية خالية حتى من الزّوار. والواقع يدعونا أن نبحث عن اسباب أمراضنا وتخلّفنا وتفرّقنا وفشلنا حتى نكتشف الدّاء فنشخّص له الدواء الناجع لشفائنا قبل أن يقضي علينا ويأتي على آخرنا.

هذا هو الهدف المنشود والله وحده هو المعبود وهو الهادي عباده إلى سواء الصراط.

وما دام هدفنا سليماً. فما قيمة اعتراض العترضين والمتعصّبين الذين لا يعرفون إلا السّباب والشتائم بحجّة الدفاع عن الصّحابة. وهؤلاء لا نلومهم ولا نحقد عليهم بقدر ما نرثى لحالهم لأنهم مساكين منعهم حسنُ ظنهم بالصّحابة وحجبهم عن الوصول للحقيقة فما أشبههم بأولاد اليهود والنّصارى الذين أحسنوا الظنّ بأبائهم وأجدادهم. ولم يكلّفوا أنفسهم جهد البحث في الإسلام معتقدين بمقالة أسلافهم بأنّ محمداً كذّابٌ. وليس هو بنبيّ. قال تعالى: (وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) [البيّنة: 3]. وبمرور القرون المتتالية أصبح من العسير اليوم على المسلم أن يُقنع يهوديّاً أو نصرانيّاً بعقيدة الإسلام فما بالك بمن يقول لهم بأن التوراة والإنجيل اللذين يتدالونهما هما محرّفان ويستدل على ذلك بالقرآن. فهل يجد هذا المسلم آذاناً صاغية لديهم؟

وكذلك المسلم البسيط الذي يعتقد بعدالة كلّ الصّحابة ويتعصّب لذلك بدون دلل فهل يمكن لأحد من النّاس أن يقنعه بعكس ذلك؟

وإذا كان هؤلاء يطيقون جرح ونقد معاوية وابنه يزيد وأمثالهم كثير الذين شوّهوا الإسلام بأعمالهم القبيحة فما بالك إذا كلّمتهم عن أبي بكر وعمر وعثمان «الصديق والفاروق ومن تستحي منه الملائكة» أو عن عائشة أم

المؤمنين زوجة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وأبنة أبي بكر والتي تكلمنا عنها في فصل سابق بما رواه عنها أصحاب الصحاح المعتمدين عند أهل السنة وجاء الآن دور الخلفاء الثلاثة لنكشف عن بعض أفعالهم التي سجّلها عليهم صحاح السنّة ومسانيدهم وكتب التاريخ المعتمدة لديهم لنبيّن أوّلاً أن مقولة

عدالة الصّحابة غير صحيحة وأن العدالة انتفت حتى عن بعض الصّحابة المقرّبين.

ولنكشف ثانياً لإخواننا من أهل السنة والجماعة بأنّ هذه الانتقادات لا تدخل في السبّ والشتم والانتقاص بقدر ما هي إزالة للحجب للوصول إلى الحق كما أنها ليست من مختلقات وأكاذيب الروّافض كما يدّعي عامة النّاس وإنّما هي من الكتب التي حكموا بصّحتها وألزموا أنفسهم بها.

أبو بكر الصدّيق في حياة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء السادس صفحة 46 في كتاب تفسير القرآن سورة الحجرات. قال: حدثنا نافع بن عمر عن أبن أبي مليكة قال كاد الخيران أن يهلكا ابا بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع واشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ أسمه فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلاّ خلافي قال ما أردت خلافك. فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) الآية. قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد هذه الآية حتّى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر.

كما أخرج البخاري في صحيحه في الجزء الثامن صفحة 145 من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة. باب ما يكره من التعمّق والتنازع. قال أخبرنا وكيع عن نافع بن عمر عن أبن أبي مليكة قال: كاد الخيّران أن يلهكا أبو بكر وعمر. لما قدم على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وفد بني تميم.

الصفحة 178

أشار أحدهما بالأقرع بن حابس التميمي الحنظلي أخي بني مجاشع وأشار الآخر بغيره، فقال أبو بكر لعمر: إنما أردت خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما عند النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فنزلت: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون، إن الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجرٌ عظيم) .

قال ابن أبي مليكة قال ابن الزبير: فكان عمر بعد ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر إذا حدّث النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بحديث حدّثه كأخي السرار لم يسمعه حتى يستفهمه.

كما أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الخامس صفحة 116 من كتاب المغازي ـ وفد بني تميم قال: حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم عن ابن أبي مليكة أن عبدالله بن الزبير أخبرهم أنّه قدم ركبٌ من بني تميم على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد بن زرارة: فقال عمر: بل أمّر الأقرع بن حابس. قال أبو بكر ما أردت إلا خلافي، قال عمرك ما أردت خلافك فتمارياً حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) حتى انقضت.

والظاهر من خلال هذه الروايات أن أبا بكر وعمر لم يتأدّبا بحضرة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بالآداب الإسلامية وسمحا لانفسهما بأن يقدّما بين يدي الله ورسوله بغير إذن ولا طلب منهما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يبديا رأيهما في تأمير أحد من بني تميم، ثم لم يكتفيا حتى تشاجرا بحضرته وارتفعت أصواتهما أمامه من غير احترام ولا مبالاة بما تفرضه عليهما الأخلاق والآداب التي لا يمكن لأي أحد من الصّحابة أن يجهلها أو

الصفحة 179

يتجاهلها بعد ما قضى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حياته في تعليمهم وتربيتهم.

ولو كانت هذه الحادثة قد وقعت في بداية الإسلام لالتمسنا للشيخين في ذلك عذراً ولحاولنا أن نجد لذل بعض التأويلات.

ولكن الروايات تثبت بما لا يدع مجالاً للشكّ بأن الحادثة وقعت في أواخر أيام النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ أن وفد بني تميم قدم على رسول الله في السنة التاسعة للهجرة ولم يعش بعدها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلاّ بضعة شهور كما يشهد بذلك كل المؤرخين والمحدّثين الذين ذكروا قدوم الوفود على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والتي تحدث عنها القرآن الكريم في أواخر السور بقوله: (وإذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً) .

وإذا كان الأمر كذلك فكيف يعتذر المعتذرون عن موقف أبي بكر وعمر بحضرة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ولو اقتصرت الرواية على الموقف الذي مثله الصحابيان فسحب لما وسعنا النقد ولا الاعتراض. ولكن الله الذي لا يستحي من الحق سجّلها وأنزل فيها قرآناً يتلى، فيه التنديد والتهديد لأبي بكر وعمر بأن يحبط الله أعمالهما إن عادا لمثلها، حتى أن راوي هذه الحادثة بدأت كلامه بقوله: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر.

ويحاول راوي الحادثة بعد ذلك وهو عبدالله بن الزبير أن يقنعنا بأنّ عمر بعد نزول هذه الآية في شأنه إذا حدّث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يسمعه صوته حتى يستفهمه ورغم أنّه لم يذكر ذلك عن جدّه أبي بكر فالتاريخ والأحداث التي ذكرها المحدّثون تثبت عكس ذلك ويكفي أن تذكر رزيّة يوم الخميس قبل وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم بثلاثة أيام حتى نجد بأن عمر نفسه قال قولته المشؤومة "إن رسول الله يهجر وحسبنا كتاب الله" فاختلف القوم فمنهم من يقول قرّبوا إلى الرسول يكتب لكم ومنهم من يقول مثل قول

الصفحة 180

عمر فلما أكثروا اللغط والاختلاف(1) قال لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: قوموا عنّي لا ينبغي عندي التنازع(2) فالمفهوم من كثرة اللغو واللغط والاختلاف والتنازع، أنهم تجاوزوا كل الحدود التي رسمها الله لهم في سورة الحجرات كما مرّ. ولا يمكن إقناعنا بأن اختلافهم وتنازعهم ولغطهم كان همساً في الآذان بل يفهم من كل ذلك بأنهم رفعوا أصواتهم حتى أن النساء اللاتي كن وراء الستر والحجاب شاركن في النزاع وقلن قرّبوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يكتب لكم ذلك الكتاب فقال لهن عمر: إنكنّ صويحبات يوسف إذا مرض عصرتن أعينكن وإذا صح ركبتن عنقه فقال له رسول الله: دعوهن فإنهن خير منكم(3) .

والذي نفهمه من كل هذا بأنهم لم يمتثلوا أمر الله في قوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ) ولم يحترموا مقام الرسول ولا تأدّبوا عندما طعنوه بكلمة الهجر.

وقد سيق لأبي بكر أن تلفظ بكلام بذيء بحضرة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وذلك عندما قال لعروة بن مسعود أمصص ببظر اللاّب(4) . وقال القسطلاني شارح البخاري معلّقاً على هذه العبارة، والأمر بمص البظر من الشتائم الغليظة عند العرب، فإذا كانت أمثال هذه الكلمات تقال بحضرته صلّى الله عليه وآله وسلّم فما هو معنى قوله تعالى: (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) ؟.

وإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على خلق عظيم كما وصفه ربّه وإذا كان أشدّ حياءً من العذراء في خدرها كما أخرج ذلك

———————————

(1) البخاري: 5/138 باب مرض النبي ووفاته.

(2) البخاري: 1/37 كتاب العلم.

(3) كنز العمال: 3/138.

(4) البخاري: 3/179.

البخاري ومسلم(1) وقد صرّح الشيخان البخاري ومسلم بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يكن فاحشاً ولا متفحّشاً وكان يقول: "إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً"(2) فمابال صحابته المقرّبين لم يتأثروا بهذا الخلق العظيم؟

أضف إلى كل ذلك بأن أبا بكر لم يمتثل أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عندما أمر عليه أسامة بن زيد وجعله من جملة عساكره وشدّد النكير على من تخلّف عنه حتى قال: لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة(3) وذلك بعدما بلغه صلّى الله عليه وآله وسلّم طعن الطاعنين عليه في مسألة تأمير أسامة التي ذكرها جلّ المؤرخين وأصحاب السير.

كما أنه سارع إلى السّقيفة وشارك في إبعاد علي بن أبي طالب عن الخلافة، وترك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مسجّى بأبي هو وأمي ولم يهتم بتغسيله وتكفينه وتجهيزه ودفنه متشاغلاً عن كل ذلك بمنصب الخلافة والزعامة التي أشرأبّت لها عنقه، فأين هي الصّحبة المقرّبة والخلّة المزعومة وأين هو الخلق؟ وأنا أستغرب موقف هؤلاء الصّحابة من نبيهم الذي قضى حياته في هدايتهم وتربيتهم والنصح لهم (عزيز عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم..) فيتركونه جثة هامدة ويسارعون للسّقيفة لتعيين أحدهم خليفة له. ونحن نعيش اليوم في القرن العشرين الذي نقول عنه بأنه أتعس القرون وأن الأخلاق تدهورت والقيم تبخّرت ومع كل ذلك فإن المسلمين إذا مات جارٌ لهم أسرعوا إليه وانشغلوا به حتى يواروه في حفرته ممتثلين قول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: "إكرام الميت دفنه".

———————————

(1) البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي ـ ومسلم في كتاب الفضائل باب كثرة حيائه صلّى الله عليه وآله وسلم.

(2) مسلم كتاب الفضائل باب كثرة حيائه صلّى الله عليه وآله وسلّم البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي صلّى الله عليه وآله وسلم.

(3) كتاب الملل والنحل للشهرستاني المقدمة الرابعة، كتاب السقيفة لأبي بكر أحمد بن العزيز الجوهري.

وقد كشف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن تلك الوقائع بقوله: "أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلّي منها محل القطب من الرحا..."(1) .

ثم بعد ذلك استباح أبو بكر مهاجمة بيت فاطمة الزهراء وتهديده بحرقه إن لم يخرج المتخلفون فيه لبيعته. وكان ما كان مما ذكره المؤرخون في كتبهم وتناقله الرواة جيلاً بعد جيل. ونحن نضرب عن ذلك صفحاً وعلى من أراد المزيد أن يقرأ كتب التاريخ.

أبو بكر بعد حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
تكذيبه للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء وغصبه حقها

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الخامس صفحة 82 في كتاب المغازي باب غزوة خيبر قال: عن عروة عن عائشة أن فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد في هذا المال وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ستة أشهر. فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً وصلى عليها ولم يؤذن بها أبا بكر وكان لعلي من الناس وجهٌ في حياة فاطمة فلما توفيت استنكر عليّ وجوه الناس فالتمس مصالحه

---

(1) الخطبة الشقشقية من نهج البلاغة.

أبي بكر ومبايعته ولم يكن يبايع تلك الأشهر...(1) .

وأخرج مسلم في صحيحه من الجزء الثاني كتاب الجهاد باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا نورث ما تركنا فهو صدقة.

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألت أبا بكر الصديق، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومما أفاء الله عليه فقال لها أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لا نورث، ما تركنا صدقة" فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستة أشهر قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خيبر وفدك، وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى، إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ. فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي والعباس، فأما خيبر وفدك فأمسكها عمر، وقال: هما صدقة رسول الله كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه، وأمرهما إلى من ولي الأمر. فهما على ذلك إلى اليوم(2) .

* ورغم أن الشيخين البخاري ومسلم اقتضبا هذه الروايات واختصراها لئلا تنكشف الحقيقة للباحثين، وهذه فنٌّ معروف لديهما توخياه للحفاظ على كرامة الخلفاء الثلاثة. (ولنا معهما بحث في هذا الموضوع إن شاء الله سنوافيك به عما قريب).

إلا أن الروايات التي نمقوها كافية للكشف عن حقيقة أبي بكر الذي

---

(1) صحيح مسلم أيضاً في كتاب الجهاد باب قول النبي لا نورث ما تركنا فهو صدقة.

(2) صحيح البخاري أيضاً أخرج هذا الحديث في كتاب فرض الخمس باب فرض الخمس.

ردّ دعوى فاطمة الزهراء، مما استوجب غضبها عليه وهجرانها له حتى ماتت عليها السلام ودفنها زوجها سراً في الليل بوصية منها دون أن يؤذن بها أبا بكر. كما نستفيد من خلال هذه الروايات بأن علياً لم يبايع أبا بكر طيلة ستة أشهر وهي حياة فاطمة الزهراء بعد أبيها، وأنه أضطر لبيعته اضطراراً لما رأى وجوه الناس قد تنكّرت له فالتمس مصالحة أبي بكر.

والذي غيره البخاري ومسلم من الحقيقة هو أدعاء فاطمة عليها السلام بأن أباها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أعطاها فدك نحلة في حياته فليس هي من الأرث، وعلى فرض أن الأنبياء لا يورثون كما روى أبو بكر ذلك عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كذّبته فاطمة الزهراء عليها السلام. وعارضت روايته بنصوص القرآن الذي يقول وورث سليمان داود، فإن فدك لا يشملها هذا الحديث المزعوم لأنها نحلة وليست هي من الإرث في شيء.

ولذلك تجد كلّ المؤرخين والمفسّرين والمحدّثين يذكرون بأن فاطمة عليها السّلام ادّعت بأن فدك ملكاً لها فكذّبها أبو بكر وطلب منها شهوداً على دعواها فجاءت بعلي بن أبي طالب وأم أيمن فلم يقبل أبو بكر شهادتهما واعتبرها غير كافية. وهذا ما اعترف به ابن حجر في الصواعق المحرقة حيث ذكر بأن فاطمة ادّعت أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم نحلها فدكاً ولم تأتِ عليها بشهود إلاّ بعلي بن أبي طالب وأم أيمن فلم يكمل نصاب البينة(1) .

كما قال الإمام الفخر الرازي في تفسيره. فلما مات رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ادّعت فاطمة عليه السّلام أنّه كان ينحلها فدكاً، فقال لها أبو بكر: أنت أعزّ الناس عليَّ وأحبّهم إليَّ غنى، لكني لا أعرف صحة قولك فلا يجوز أن أحكم لك، قال فشهدت لها أم أيمن ومولى لرسول الله

———————————

(1) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي: 21 في الشبهة السابعة.

فطلب منها أبو بكر الشاهد الذي يجوز قبول شهادته في الشرع فلم يكن(1) .

ودعوى فاطمة عليها السلام بأن فدكاً أنحلها لها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأن أبا بكر ردّ دعوتها ولم يقبل شهادة علي وأم أيمن معلومة لدى المؤرخين وقد ذكرها كل من ابن تيمية وصاحب السيرة الحلبية وابن القيم الجوزية وغيرهم.

ولكنّ البخاري ومسلم اختصراها ولم يذكرا إلاّ طلب الزهراء بخصوص الإرث حتى يوهما القارىء بأن غضب فاطمة على أبي بكر في غير محلّه، ولم يعمل أبو بكر إلاّ بما سمعه من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فهي ظالمة وهو مظلوم، كل ذلك حفاظاً منهما على كرامة أبي بكر فلا مراعاة للأمانة في النقل ولا لصدق الأحاديث التي كانت تكشف عن عورات الخلفاء وتنزيل الأكاذيب والحجب التي نمّقها الأمويون وأنصار الخلافة الراشدة، ولو كان ذلك على حساب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم نفسه أو بضعته الزهراء سلام الله عليها. ومن أجل ذلك حاز البخاري ومسلم على زعامة المحدّثين عند أهل السنة والجماعة واعتبروا كتبهما أصح الكتب بعد كتاب الله. وهذا تلفيق لا يقوم على دليل علمي وسنبحثه إن شاء الله في باب مستقل حتى نكشف الحقيقة لمن يريد معرفتها.

ومع ذلك فإننا نناقش البخاري ومسلم اللّذين أخرجا في فضائل فاطمة الزهراء عليها السّلام الشيء اليسير ولكن فيه ما يكفي لإدانة أبي بكر الذي عرف الزهراء وقيمتها عند الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أكثر مما عرفه البخاري ومسلم ومع ذلك كذّبها ولم يقبل شهادتها وشهادة بعلها الذي قال فيه رسول الله: "عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي يدور معه حيث دار"(2) ولنكتفِ بشهادة

———————————

(1) تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي: 8/125 تفسير سورة الحشر.

(2) تأريخ بغداد: 14/321. تاريخ ابن عساكر: 3/119. كنز العمال: 5/30.

البخاري وشهادة مسلم في ما أقرّه صاحب الرسالة صلّى الله عليه وآله وسلّم في فضل بضعته الزهراء. فاطمة معصومة بنصّ القرآن

أخرج مسلم في صحيحه الجزء السابع باب فضائل أهل البيت قالت عائشة: خرج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فادخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) فإذا كانت فاطمة الزهراء عليها السّلام هي المرأة الوحيدة التي أذهب الله عنها الرّجس وطهّرها من كلّ الذنوب والمعاصي في هذه الأمة فما بال أبي بكر يكذّبها يطلب منها الشهود يا ترى؟ فاطمة سيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأمة

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء السّابع في كتاب الاستئذان في باب من ناجى بين يدي النّاس ولم يخبر بسرّ صاحبه فإذا مات أخبر به. ومسلم في كتاب الفضائل عن عائشة أم المؤمنين قالت: إنّا كنّا أزواج النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم عنده جميعاً لم تغادر منّاه واحدة فأقبلت فاطمة عليها السّلام تمشي لا والله ما تخفى مشيتها من مشية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فلما رآها رحّب بها قال مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارّها فبكت بكاءً شديداً فلما رأى حزنها سارّها الثانية إذا هي تضحك فقلت لها أنا من بين نسائه: خصّك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالسرّ من بيننا ثم أنتِ تبكين فلما قام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سألتها عما سارّك؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سره. فلما توفي قلت لها عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما أخبرتني قالت: أما الآن فنعم فأخبرتني قالت: أما حين سارّني في في الأمر الأول فإنه

أخبرني أنّ جبرئيل كان يعارضه بالقرآن كل سنةٍ مرّة وأنه قد عارضني به العام مرّتين ولا أرى الأجل إلاّ قد اقترب فاتقي الله واصبري فإنني نعم السّلف أنا لك قالت فبكيت بكائي الذي رأيت فلما رأى جزعي سرّني الثانية قال يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الامة.

* فإذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام وهي سيدة نساء المؤمنين كما ثبت ذلك عن رسول الله، يكذّبها أبو بكر في أدّعائها فدك ولا يقبل شهادتها فأي شهادة تقبل بعدها يا ترى؟؟ فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الرابع في كتاب بدء الخلق باب مناقب قرابة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة فإذا كانت فاطمة عليها السلام سيدة نساء أهل الجنة ومعناه أنها سيدة نساء العالمين لأن أهل الجنة ليسوا أمّة محمد وحدهم كما لا يخفى، فكيف يكذّبها أبو بكر الصديق؟ ألم يدّعوا بان لقب الصديق أحرزه لأنه كان يصدق كل ما يقوله صاحبه محمد! فلماذا لم يصدّقه فيما قاله بخصوص بضعته الزهراء؟؟ أم أن الأمر لم يكن يتعلّق بفدك وبالصّدقة والنّحلة بقدر ما يتعلق بالخلافة التي هي من حق علي زوج فاطمة، فتكذيب فاطمة وزوجها الذي شهد منها في قضية النّحلة أيسر عليه ليقطع بذلك عليهما الطريق للمطالبة بما وراء ذلك. إنه مكرٌ كبير تكاد تزول منه الجبال.

فاطمة بضعة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم
والرّسول يغضب لغضبها

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الرابع من كتاب بدء الخلق في باب منقبة فاطمة عليها السّلام بنت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. قال: حدثنا

أبو الوليد حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال:

فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني.

فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما أذاها.

وإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يغضب لغضب بضعته الزهراء ويتأذى بأذاها فمعنى ذلك أنها معصومة عن الخطأ وإلا لما جاز للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يقول مثل هذا، لأنّ الذي يرتكب معصية يجوز إيذاؤه وإغضابه مهما علت منزلته لأن الشرع الإسلامي لا يراعي قريباً ولا بعيداً، شريفاً أو وضيعاً غنياً أو فقيراً. وإذا كان الأمر كذلك فما بال أبي بكر يؤذي الزهراء ولا يبالي بغضبها بل يغضبها حتى تموت وهي واجدةٌ عليه بل ومهاجرته فلم تكلّمه حتى توفيت وهي تدعي عليه في كلّ صلاة تصلّيها كما جاء ذلك في تاريخ ابن قتيبة وغيره من المؤرّخين؟!

نعم إنها الحقائق المرّة، الحقائق المؤلمة التي تهزّ الأركان وتزعزع الإيمان لأن الباحث المنصف المتجرد للحق والحقيقة لا مناص له من الاعتراف بأن أبا بكر ظلم الزهراء واغتصب حقّها، وكان بإمكانه وهو خليفة المسلمين أن يرضيها ويعطيها ما ادّعت لأنها صادقة والله يشهد بصدقها والنبي يشهد بصدقها، والمسلمون كلّهم بما فيهم أبو بكر يشهدون بصدقها، ولكنّ السياسة هي التي تقلّب كلّ شيء فيصبح الصّادق كاذباً والكاذب صادقاً.

نعم إنه فصل من فصول المؤامرة التي حيكت لإبعاد أهل البيت عن المنصب الذي اختاره الله لهم وقد بدأت بإبعاد علي عن الخلافة واغتصاب نحلة الزّهراء وإرثها وتكذيبها وإهانتها حتى لا تبقى هيبتها في قلوب المسلمين. وانتهت بعد ذلك بقتل علي والحسن والحسين وكل أولادهم وسبيت نساؤهم، وقتل شيعتهم ومحبّوهم وأتباعهم ولعلّ المؤامرة متواصلة

ولا زالت حتى اليوم تفعل فعلها وتأتي بثمارها.

نعم أي مسلم حرّ ومنصف سوف يعلم عندما يقرأ كتب التاريخ ويمحّص الحق من الباطل بأن أبا بكر هو أول من ظلم أهل البيت، وكيفيه قراءة صحيح البخاري ومسلم فقط لتنكشف له الحقيقة إذا كان من الباحثين حقّاً.

فها هو البخاري وكذلك مسلم يعترفان عفواً بأن أبا بكر يصدّق أي واحد من الصّحابة العادّيين في ادّعائه، ويكذّب فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة ومن شهد لها الله بإذهاب الرّجس والطّهارة وكذلك يكذّب علياً وأم أيمن! فاقرأ الآن ما يقوله البخاري ومسلم.

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الثالث من كتاب الشّهادات باب من أمر بإنجاز الوعد.

ومسلم في صحيحه من كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شيئاً قط فقال لا، وكثرة عطائه.

"عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهم قال: لما مات النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم جاء أبا بكر مالٌ من قبل العلاء بن الحضرميّ فقال أبو بكر: من كان له على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم دينٌ أو كانت له قِبله عدة فليأتنا، قال جابر فقلت: وعدني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا، فبسط يديه ثلاث مرّات قال جابر، فعدّ في يديّ خمسمائة ثم خمسمائة ثم خمسمائة.

فهل من سائل لأبي بكر يسأله لماذا صدّق جابر بن عبدالله في ادّعائه بأن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وعده أن يعطيه هكذا وهكذا وهكذا، فيملأ أبو بكر يديه ثلاثة مرّات بما قدره ألف وخمسمائة بدون أن يطلب منه شاهد واحد على ادّعائه؟ وهل كان جابر بن عبدالله أتقى لله وأبرّ من فاطمة سيدة نساء العالمين؟ والأغرب من كل ذلك هو ردّ شهادة زوجها علي بن أبي

طالب الذي أذهب الله عنه الرّجس وطهّره تطهيراً وجعل الصّلاة عليه فرضٌ على كل المسلمين كما يصلّى على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والذي جعل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حبّه إيمان وبغضه نفاق(1) .

أضف إلى ذلك بأن البخاري نفسه أخرج حادثة أخرى تعطينا صورة حقيقية عن ظلم الزهراء وأهل البيت.

فقد أخرج البخاري في صحيحه في باب لا يحلّ لأحد أن يرجع في هبته وصدقته من كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، قال: أن بني صهيب مولى ابن جذعان ادّعوا بيتين وحُجرة وأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أعطى ذلك صهيباً، فقال مروان: من يشهد لكُما على ذلك قالوا: ابن عُمر! فدعاه فشهد لأعطى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صهيباً بيتين وحجرة، فقضى مروان بشهادته لهم(2) .

* أنظر أيها المسلم إلى هذه التصرّفات والأحكام التي تنطبق على البعض دون البعض الآخر، أليس هذا من الظلم والحيف، وإذا كان خليفة المسلمين يحكم لفائدة المدّعين لمجرّد شهادة ابن عمر فهل لمسلم أن يتساءل لماذا ردّت شهادة علي بن ابي طالب وشهادة أم أيمن معه؟ والحال أن الرجل والمرأة أقوى في الشهادة من الرجل وحده، إذا ما أردنا بلوغ النصاب الذي طلبه القرآن. أم أن أبناء صهيب أصدق في دعواهم من بنت المصطفى عليها السّلام؟ وأن عبدالله بن عمر موثوق عند الحكّام بينما علي غير موثوق عندهم؟! وأما دعوى أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يورّث، وهو الحديث الذي جاء به أبو بكر، وكذّبته فاطمة الزّهراء وعارضته بكتاب الله، وهي الحجة التي لا تدحض أبداً فقد صحّ عنه صلّى الله عليه

———————————

(1) صحيح مسلم: 1/61 باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان وعلامة بغضهم من علامات النفاق. صحيح الترمذي: 5/306. سنن النسائي: 8/116.

(2) صحيح البخاري: 3/143.

وآله وسلّم قوله: "إذا جاءكم حديث عني فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فاعملوا به وإن خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار".

ولا شك أن هذا الحديث تعارضه الآيات العديدة من القرآن الكريم فهل من سائل يسأل أبا بكر ويسأل المسلمين كافة، لماذا تقبل شهادة أبي بكر وحده في رواية هذا الحديث الذي يناقض النقل والعقل ويعارض كتاب الله. ولا تقبل شهادة فاطمة وعلي التي توافق النقل والعقل ولا تتعارض مع القرآن.

أضف إلى ذلك بأن أبا بكر مهما علت مرتبته ومهما انتحل له مؤيدوه والمدافعون عنه من فضائل. فإنه لا يبلغ مكانة الزهراء سيدة نساء العالمين ولا مرتبة علي بن أبي طالب الذي فضله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كل الصحابة في المواطن كلها، أذكر منها على سبيل المثال يوم إعطاء الراية عندما أقر له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وتطاول لها الصحابة كل يرجى أن يعطاها فلم يدفعها إلا إليه(1) . وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "إن علياً مني وأنا منه وهو ليٌّ كل مؤمن بعدي"(2) .

ومهما شكك المتعصبون والنواصب في صحة هذه الأحاديث، فلن يشككوا في أن الصلاة على علي وفاطمة هي جزء من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا تقبل صلاة أبي بكر وعمر وعثمان والمبشرين بالجنة وكل الصحابة ومعهم كل المسلمين إذا لم يصلوا على محمد وآله محمد الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم كما جاء ذلك في صحاح أهل السنة

———————————

(1) صحيح البخاري: 4/5 و4/20. صحيح مسلم: 7/121 باب فضائل علي بن أبي طالب.

(2) صحيح الترمذي: 5/296 وخصائص النسائي. مستدرك الحاكم: 3/115 والإصابة لابن حجر: 2/509.

من البخاري ومسلم(1) وبقية الصحاح حتى قال الإمام الشافعي في حقهم "من لم يصل عليكم لا صلاة له".

فإذا كان هؤلاء يجوز عليهم الكذب والادعاء بالباطل فعلى الإسلام السلام وعلى الدنيا العفا. أما إذا سألت لماذا تقبل شهادة أبي بكر وترد شهادة أهل البيت؟ فالجواب: لأنه هو الحاكم وللحاكم أن يحكم بما يشاء والحق معه في كل الحالات، فدعوى القوي كدعوى السباع من الناب والظفر برهانها.

وليتبين لك أيها القارىء الكريم صدق القول فتعال معي لتقرأ ما أخرجه البخاري في صحيحه من تناقض بخصوص ورثة النبي الذي قال حسبما رواه أبو بكر: "نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة" والذي يصدقه أهل السنة جميعاً ويستدلون به على عدم استجابة أبي بكر لطلب فاطمة الزهراء.

ومما يدلك على بطلان هذا الحديث وأنه غير معروف، أن فاطمة عليها السلام طالبت بإرثها وكذلك فعل أزواج النبي أمهات المؤمنين فقد بعثن لأبي بكر يطالبنه بميراثهن(2) . فهذا ما أخرجه البخاري وما يستدل به على عدم توريث الأنبياء. ولكن البخاري ناقض نفسه واثبت بأن عمر بن الخطاب قسم ميراث النبي على زوجاته. فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الوكالة من باب المزارعة بالشطر ونحوه. عن نافع أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أخبره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عامل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع، فكان يعطي أزواجه مائة وسق ثمانون وسق تمر وعشرون وسق شعير، فقسم عمر خيبر فخير أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقطع لهن

———————————

(1) صحيح البخاري: 6/27 باب إن الله وملائكته يصلون على النبيِ من سورة الأحزاب.

(2) صحيح مسلم: 2/16 كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي.

(3) صحيح البخاري: 5/24 باب حديث بني النضير من كتاب المغازي.

(4) صحيح مسلم: 5/135 باب قول النبي لا نورث من كتاب الجهاد والسير.

من الماء والأرض، أو يمضي لهن، فمنهن من اختار الأرض ومنهن من اختار الوسق وكانت عائشة قد اختارت الأرض"(1) .

وهذه الرواية تدلّ بوضوح بأن خيبر التي طالبت الزهراء بنصيبها منها كميراث لها من أبيها وردّ أبو بكر دعوتها بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، لا يورّث، وهذه الرواية تدلّ أيضاً بوضوح بأن عمر بن الخطّاب قسّم خيبر في أيام خلافته على أزواج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وخيرهن بين امتلاك الأرض أو الوسق وكانت عائشة ممن اختار الأرض ـ فإذا كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يورّث، فلماذا ترث عائشة الزوجة. ولا ترث فاطمة البنت؟!

أفتونا في ذلك يا أولى الأبصار ولكم الأجر والثواب. أضف إلى ذلك أن عائشة ابنة أبي بكر استولت على بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأكلمه ولم تحظ أي زوجة أخرى بما حظيت به عائشة، وهي التي دفنت أباها في ذلك البيت ودفنت عمر إلى جانب أبيها ومنعت الحسين أن يدفن أخاه الحسن بجانب جدّه ممّا حدى بابن عبّاس أن يقول فيها: تجملت تبغّلت ولو عشت تفيلت. لك التسع من الثمن وفي الكلّ تصرّفت وعلى كل حال فأنا لا أريد الإطالة في هذا الموضوع فإنّه لا بدّ للباحثين من مراجعة التاريخ ولكن لا بأس بذكر مقطع من الخطبة التي ألقتها فاطمة الزهراء عليها السّلام بمحضر أبي بكر وجلّ الصّحابة لهلك من هلك منهم عن بينة وينجو من نجا منهم عن بينة. قالت لهم:

"أعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول (وورث سليمان داود) ، وقال فيما اقتصّ من خبر زكريا (فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضياً)وقال: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)وقال: (يوصيكم الله في

———————————

(1) صحيح البخاري: 3/68.

أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)وقال: (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيراً، الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين) أفخصّكم الله بآية أخرج منها أبي؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي. أم تقولون أهل ملّتين لا يتوارثان فدونكما مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون.

أبو بكر يقتل المسلمين
الذين امتنعوا عن إعطائه الزكاة

أخرج البخاري في صحيحه كتاب استتابة المرتدّين باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردّة ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس. عن أبي هريرة قال: لما توفي النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلاّ بحقه وحسابه على الله؟، قال أبو بكر: والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة فإنّ الزكاة حقّ المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدّونها إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لقاتلتهم على منعها. قال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنّه الحقّ.

وليس هذا بغريب على أبي بكر وعمر اللّذين هدّدا بحرق بيت الزّهراء سيدة النساء بمن فيه من الصّحابة المتخلّفين عن البيعة(1) وإذا كان حرق علي وفاطمة والحسن والحسين ونخبة من خيرة الصّحابة الذين امتنعوا عن

———————————

(1) الإمامة والسياسة لابن قتيبة. العقد الفريد: ج2 حديث السقيفة. والطبري في تاريخه والمسعودي في مروج الذهب. وأبو الفداء والشهرستاني وغيرهم.

البيعة، أمراً هيناً عليهما فليس قتال مانعي الزكاة إلاّ أمراً ميسوراً، وما قيمة هؤلاء الأعراب الأباعد مقابل العترة الطّاهرة والصّحابة الأبرار؟ أضف إلى ذلك أن هؤلاء المتخلّفين عن البيعة يرون أنّ الخلافة هي حقّ لهم بنصّ لرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وحتى على فرض عدم وجود النص عليهم فمن حقّهم الاعتراض والنقد والإدلاء بآرائهم إن كان هناك شورى كما يزعمون، ومع ذلك فإن تهديدهم بالحرق أمرٌ ثابتٌ بالتواتر ولولا استسلام علي وأمره للصّحابة بالخروج للبيعة حفاظاً على حقن دماء المسلمين ووحدة الإسلام لما تأخّر القائمون بالأمر، عن إحراقهم.

أما وقد استتب الأمر لهم وقويت شوكتهم ولم يعدْ هناك معارضة تذكرة بعد موت الزّهراء ومصالحة علي لهم. فكيف يسكتون عن بعض القبائل التي امتنعت عن دفع الزّكاة لهم بحجّة التريث حتى يتبينوا أمر الخلافة وما وقع فيها بعد نبيهم صلّى الله عليه وآله وسلّم تلك الخلافة التي اعترف عمر نفسه بأنّها فلتة(1) .

إذن ليس بالغريب أن يقوم أبو بكر وحكومته بقتل المسلمين الأبرياء وانتهاك حرماتهم وسبي نسائهم وذريتهم وقد ذكر المؤرّخون بأن أبا بكر بعث بخالد بن الوليد فأحرق قبيلة بني سليم(2) وبعثه إلى اليمامة، وغلى بني تميم وقتلهم غدراً بعدما كتفهم وضرب أعناقهم صبراً وقتل مالك بن نويرة الصّحابي الجليل الذي ولاّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على صدقات قومه ثقة به، ودخل بزوجته في ليلة قتل زوجها. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وما ذنب مالك وقومه إلا أنهم لما سمعوا بما حدث من أحداث بعد موت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وما وقع من إبعاد علي وظلم الزّهراء

———————————

(1) صحيح البخاري كتاب المحاربين من أهل الكفر والردّة باب رجم الحبلى من الزنا.

(2) الرياض النضرة لمحب الدين الطبري: 1/100.

حتى ماتت غاضبة عليهم وكذلك مخالفة سيد الأنصار سعد بن عبادة وخروجه عن بيعتهم وما تناقله العرب من أخبار تشكّك في صحّة البيعة لأبي بكر. لكل ذلك تريث مالك وقومه لإعطاء الزّكاة، فكان الحكم الصّادر من الخليفة وأنصاره بقتلهم وسبي نسائهم وذريتهم وانتهاك حرماتهم وإخماد أنفاسهم حتى لا يتفشّى في العرب رأي للمعارضة أو المناقشة في أمر الخلافة.

والمؤسف حقاً أنك تجد من يدافع عن أبي بكر وحكومته بل ويصحّح أخطاءه التي اعترف هو بها(1) ويقول كقول عمر: والله ما هو إلاّ أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق.

وهل لنا أن نسأل عمر عن سرّ اقتناعه بقتال المسلمين الذين شهد هو نفسه بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حرّم قتالهم بمجرّد قولهم لا إله إلا الله. وعارض هو نفسه أبا بكر بهذا الحديث فكيف انقلب فجأة واقتنع بقتالهم وعرف أنه الحق بمجرد أن رأى أن قد شرح الله صدر أبي بكر فكيف تمت عملية شرح الصّدر هذه وكيف رآها عمر دون سائر الناس؟ وإن كانت علمية الشرح هذه معنوية وليست حقيقية فكيف يشرح الله صدور قوم بمخالفتهم لأحكامه التي رسمها على لسان رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وكيف يقول الله لعباده على لسان نبيه من قال لا إله إلا الله حرامٌ عليكم قتله، وحسابه عليَّ. ثم يشرح صدر أبي بكر وعمر قتالهم؟ فهل نزل وحيٌ عليهما بعد محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ أم هو الاجتهاد الذي اقتضته المصالح السياسية والتي ضربت بأحكام الله عرض الجدار؟

أما دعوى المدافعين، بأن هؤلاء ارتدّوا عن الإسلام فوجب قتلهم، فهذا غير صحيح ومن له أي اطّلاع على كتب التاريخ يعلم علم اليقين أن

———————————

(1) عندما اعتذر لأخي مالك متمم وأعطاه دية مالك من بيت مال المسلمين وقال إن خالد تأول فأخطأ.

مانعي الزكاة لم يرتدوا عن الإسلام، كيف وقد صلّوا مع خالد وجماعته عندما حلّوا بفنائهم. ثم إن أبا بكر نفسه أبطل هذه الدعوى الكاذبة بدفعه دية مالك من بيت مال المسلمين واعتذر عن قتله. والمرتد لا يعتذر عن قتله ولا تدفع ديته من بيت المال. ولم يقل أحدٌ من السّلف الصالح أن مانعي الزكاة ارتدّوا عن الإسلام إلاّ في زمن متأخّر عندما أصبحت هناك مذاهب وفرق فأهل السنة حاولوا جهدهم وبدون جدوى أن يبرّروا أفعال أبي بكر فلم يجدوا بدّاً من نسبة الارتداد إليهم لأنهم عرفوا أن سباب المسلم فسوقٌ وقتاله كفر. كما جاء في صحاح أهل السنّة(1) وحتى أن البخاري عندما أخرج حديث أبي بكر وقوله: والله لأقتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة جعل له باباً بعنوان: من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردّة وهو دليل على أن البخاري نفسه لا يعتقد بردّتهم (كما لا يخفى).

وحاول البعض الآخر تأويل الحديث كما تأوله أبو بكر بان الزكاة هي حقّ المال، وهو تأويل في غير محله. أولاً لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حرّم قتل من قال لا إله إلا الله فقط، وفي ذلك أحاديث كثيرة أثبتها الضحاح سنوافيك بها.

ثانياً: لو كانت الزكاة حق المال فغن الحديث يبيح في هذه الحالة أن يأخذ الحاكم الشرعي الزكاة بالقوة من مانعها بدون قتله وسفك دمه. ثالثاً: لو كان هذا التأويل صحيحاً لقاتل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثعلبة الذي امتنع عن أداء الزكاة له (القصة معروفة لا داعي لذكرها)(2) رابعاً: إليك ما أثبته الضحاح في حرمة من قال لا إله إلا الله وسأقتصر على البخاري ومسلم وعلى بعض الأحاديث روماً للاختصار.

———————————

(1) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر. وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب قول النبي سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

(2) راجع كتاب "ثم اهتديت": 183.

(أ) أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله.

والبخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب حدّثني خليفة عن المقداد بن الأسود أنه قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا، فضرب إحدى يديّ بالسّيف فقطعها؟ ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: "لا تقتله" فقال: يا رسول الله إنه قطع إحدى يديّ ثم قال ذلك بعدما قطعها، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: "لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنّك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال".

هذا الحديث يفيد بأن الكافر الذي لا إله إلا الله ولو بعد اعتدائه على مسلم بقطع يده فإنه يحرم قتله. وليس هناك اعتراف بمحمد رسول الله ولا إقامة الصلاة ولا إيتاء الزكاة ولا صوم رمضان ولا حج البيت، فأين تذهبون وماذا تتأولون؟

(ب) أخرج البخاري في صحيحه من كتاب المغازي باب بعث النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة وصحيح مسلم في كتاب الإيمان في باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجلٌ من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري عنه، وطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا، بلغ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: "يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟" قلت: كان متعوذاً: فما زال يكرّرها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

وهذا الحديث يفيد قطعاً بأن من قال لا إله إلا الله يحرم قتله ولذلك

ترى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يشدّد النكير على أسامة حتى يتمنى أسامة أنه لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم ليشمله حديث "الإسلام يجبّ ما قبله" ويطمع في مغفرة الله له ذلك الذنب الكبير.

(ت) أخرج البخاري في صحيحه من كتاب اللّباس، باب الثياب البيض. وكذلك مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه. قال: أتيت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليه ثوبٌ أبيضٌ وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فقال: "ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلاّ دخل الجنة" قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: "وإن زنى وإن سرق"، قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال: "وإن زنى وإن سرق"، قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال: "وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذرٍّ".

وكان أبو ذر إذا حدّث بهذا الحديث قال: وإن رغم أنف أبي ذر. وهذا الحديث هو الآخر يثبت دخول الجنة لمن قال لا إله إلا الله، ومات على ذلك فلا يجوز قتلهم.

وذلك رغم أنف أبي بكر وعمر وكلّ أنصارهم الذين يتأولون الحقائق ويقبلونها حفاظاً على كرامة أسلافهم وكبرائهم الذين غيروا أحكام الله.

وبالتأكيد أن أبا بكر وعمر يعرفان كل هذه الأحكام فهما أقرب منا لمعرفتها وألصق بصاحب الرسالة من غيرهما ولكنهما ومن أجل الخلافة تأولا جلّ أحكام الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم على علم وبينة.

ولعلّ أبا بكر لما عزم على قتال مانعي الزكاة وعارضه عمر بحديث الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي يحرم ذلك، أقنع صاحبه بأنه هو الذي حمل الحطب ليحرق بيت فاطمة بنفسه وأن فاطمة أقل ما يقال بحقها أنها كانت تشهد أن لا إله إلا الله، ثم أقنعه بأن فاطمة وعلي لم يعد لهما كبير شأن في عاصمة

الخلافة بينما هؤلاء القبائل الذين منعوا الزكاة لو تركوهم واستشرى أمرهم في داخل البلاد الإسلامية فسيكون لهم تأثير كبير على مركز الخلافة. عند ذلك رأى عمر أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فاعترف بأنه الحق.

أبو بكر يمنع من كتابة السنة النبوية
وكذلك يفعل بعده عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان

إن الباحث إذا ما قرأ كتب التاريخ وأحاط ببعض الخلفيات التي توخّتها حكومة الخلفاء الثلاثة علم عِلم اليقين بأنهم هم الذين منعوا من كتابة الحديث النبوي الشريف وتدوينه بل منعوا حتى التحدّث به ونقله إلى الناس لأنهم بلا شك علموا بأنه لا يخدم مصالحهم أو على الأقل يتعارض ويتناقض مع الكثير من أحكامهم وما تأولوه حسب اجتهاداتهم وما اقتضته مصالحهم. وبقي حديث النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والذي هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بل هو المفسّر والمبيّن للمصدر الأول ألا وهو القرآن الكريم. بقيّ ممنوعاً ومحرَّماً على عهدهم. ولذلك اتفقت كلمة المحدّثين والمؤرّخين على بداية جمع الحديث والتدوين في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أو بعده بقليل. فقد نقل البخاري ف صحيحه في كتاب العلم باب كيف يقبض العلم قال: وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم أنظر ما كان من حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا يقبل إلا حديث النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلّم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً.

فهذا أبو بكر يخطب في الناس بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قائلاً لهم: "إنكم تحدثون عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً. فلا تحدّثوا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله

فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه(1) .

عجيبٌ والله أمر أبي بكر ها هو وبعد أيام قائل من ذلك اليوم المشؤوم الذي سمي برزية يوم الخميس يوافق ما قاله صاحبه عمر بن الخطاب بالضّبط عندما قال إن رسول الله يهجر وحسبنا كتاب الله يكفينا.

وها هو يقول: لا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه. والحمد لله على اعترافه صراحة بأنهم نبذوا سنة نبيهم وراء ظهورهم وكانت عندهم نسياً منسياً.

والسّؤال هنا إلى أهل السنة والجماعة الذين يدافعون عن أبي بكر وعمر ويعتبرانهما أفضل الخلق بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فإذا كانت صحاحكم كما تعتقدون تروي بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: "تركت فيكم خليفتين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً كتاب الله وسنتي" وعلى فرض أننا سلّمنا بصحّة هذا الحديث، فما بال أفضل الخلق عندكم يرفضان السنة ولا يقيمان لها وزناً بل ويمنعان الناس من كتابتها والتحدّث بها؟؟ وهل من سائل يسأل أبا بكر في أي آية وجد قتال المسلمين الذين يمنعون الزكاة وسبي نسائهم وذراريهم؟

فكتاب الله الذي بيننا وبين أب بكر يقول في حقّ مانعي الزكاة: (ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله، لنصدّقن ولنكوننّ من الصالحين، فلما أتاهم من فضله بخلوا به، وتولوا وهم معرضون. فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون)(2) . وباتفاق جميع المفسّرين فإن هذه الآيات نزلت بخصوص ثعلبة الذي منع الزكاة على عهد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أضف إلى ذلك بأن ثعلبة منع الزكاة وامتنع من أدائها إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنه أنكرها وقال هي جزية. وقد

———————————

(1) تذكرة الحفاظ الجزء الأول والصفحة الثالثة. للذهبي.

(2) سورة التوبة: 75 ـ 77.

شهد الله في هذه الآيات على نفاقه ومع ذلك فالنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يقاتله ولم يأخذ أمواله بالقوة وكان قادراً على كل ذلك. أما مالك بن نويرة وقومه فلم ينكروا الزكاة كفرض من فروض الدّين وإنّما أنكروا الخليفة الذي استولى على الخلافة بعد الرسول بالقوة والقهر وانتهاز الفرصة.

ثم أن أمر أبي بكر أغرب وأعجب عندما نبذ كتاب الله وراء ظهره وقد احتجّت به عليه فاطمة الزّهراء سيدة نساء العالمين، وتلت على مسامعه آيات بينات محكمات من كتاب الله الذي يقرّ وراثة الأنبياء، فلم يقبل بها ونسخها كلّها بحديث جاء به من عنده لحاجة في نفسه، وإذا كان يقول: إنّكم تحدّثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً. فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه فلماذا لم يفعل هو بما يقول عندما اختلف مع بضعة المصطفى الصدّيقة الطّاهرة، في حديث النّبي "نحن معشر الانبياء لا نورث" ولم يحتكم معها إلى كتاب الله فيحلّ حلاله ويحرّم حرامه؟ والجواب معروف، في تلك الحالة سوف تجد كتاب الله ضدّه، وسوف تنتصر عليه فاطمة في كل ما ادّعته ضدّه، وإذا ما انتصرت عليه يومها فسوف تحاججه بنصوص الخلافة على ابن عمها وأتى له عندئذ دفعها وتكذيبها، والله يقول بهذا الصدد: (يا أيها الذين آمنوا لِم تقولون ما لا تفعلون، كبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) .

نعم لكلّ ذلك ما كان أبو بكر ليرتاح إذا ما بقيت أحاديث النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم متداولة بين الناس يكتبونها ويحفظونها ويتناقلونها من بلد لآخر ومن قرية لأخرى وفيها ما فيها من نصوص صريحة تتعارض والسّياسة التي قامت عليها دولته. فلم يكن أمامه حلاً غير طمس الأحاديث وسترها بل ومحوها وحرقها(1) . فها هي عائشة ابنته تشهد عليه. قالت: جمع

———————————

(1) كنز العمال: 5/237. وابن كثير في مسند الصديق. والذهبي في تذكرة الحفاظ: 1/5.

أبي الحديث عن رسول الله، فكانت خمسمائة حديث، فبات يتقلب، فقلت يتقلّب لشكوى أو لشيء بلغه، فلما اصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها، فأحرقها... الحديث(1) .

عمر بن الخطاب يتشدّد اكثر من صاحبه في الحديث عن رسول الله
ويمنع الناس من نقله

لقد رأينا سياسة أبي بكر في منع الحديث حتى وصل به الأمر أن أحرق المجموعة التي جمعت على عهده وهي خمسمائة حديث لئلا تتفشّى عند الصّحابة وغيرهم من المسلمين الذين كانوا يتعطشون لمعرفة سنة نبيهم صلّى الله عليه وآله وسلّم. ولما ولي عمر الخلافة بأمرٍ من أبي بكر، كان عليه أن يتوخّى نفس السّياسة ولكن بأسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة، فلم يقتصر على حظر ومنع تدوين الحديث ونقله فحسب بل تهدّد وتوعّد وضرب أيضاً واستعمل فرض الحصار هو الآخر.

روى ابن ماجة في سننه من الجزء الأول باب التوقي في الحديث. قال: عن قرظة بن كعب، بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة وشيعنا فمشى معنا إلى موضع صرار، فقال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قال: قلنا لحقّ صحبة رسول الله، ولحقّ الأنصار، قال: لكني مشيت معكم لحديث أردت أن أحدّثكم به، فأردت أن تحفظوه لمشاي معكم، إنّكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز المرجل، فإذا رأوكم مدّوا إليكم أعناقهم، وقالوا أصحاب محمد!. فأقلّوا الرواية عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثم أنا شريككم.

فلما قدم قرظة بن كعب قالوا: حدّثنا، قال: نهانا عمر(2) . كما روى

———————————

(1) كنز العمال: 5/237. وابن كثير في مسند الصديق. والذهبي في تذكرة الحفاظ: 1/5.

(2) الذهبي في تذكرة الحفاظ: 1/3 ـ 4.

مسلم في صحيحه في كتاب الآداب، باب الاستئذان بأن عمر هدّد أبا موسى الأشعري بالضرب من أجل حديث رواه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قال أبو سعيد الخدري كنا في مجلس عند أبي بن كعب فاتى أبو موسى الأشعري مغضباً حتى وقف فقال: أنشدكم الله هل سمع أحدٌ منكم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع قال أبي وما ذاك، قال: استأذنت على عمر بن الخطاب أمس ثلاث مرّات فلم يؤذن لي فرجعت، ثم جئته اليوم فدخلت عليه فأخبرته أنّي جئت بالأمس فسلمت ثلاثاً ثم انصرفت، قال: قد سمعناك ونحن حينئذ على شغل فلو ما استأذنت حتى يؤذن لك، قلت استأذنت كما سمعت رسول الله صلّى الله عيه وآله وسلّم: قال فوالله لأوجعنّ ظهرك وبطنك أو لتأتينّ بمن يشهد لك على هذا، فقال أبي بن كعب فوالله لا يقوم معك إلا أحدثنا سناً قم يا أبا سعيد فقمت حتى أتيت عمر فقلت: قد سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول هذا.

وروى البخاري هذه الحادثة ولكنه كعادته بترها وحذف منها تهديد عمر بضرب أبي موسى كعادته حفاظاً على كرامته(1) . مع أن مسلم في صحيحه زاد قول أبي بن كعب لعمر: يا ابن الخطاب فلا تكونن عذاباً على أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وقد روى الذهبي في تذكرة الحفاظ من جزئه الأول الصفحة الرابعة عن أبي سلمة قال: قلت لأبي هريرة: أكنت تحدث في زمان عمر هذا؟ فقال: لو كنت أحدّث في زمان عمر مثل ما أحدّثكم لضربني بمخفقته.

كما أن عمر بعد منع الحديث والتهديد بالضرب أقدم هو الآخر على

---

(1) صحيح البخاري في كتاب الاستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاثاً.

حرق ما دوّنه الصحابة من الأحاديث. فقد خطب الناس يوماً قائلاً: أيها الناس، إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتبٌ فأحبّها إلى الله أعدلها وأقومها فلا يبقين أحد عنده كتاباً إلا أتاني به فأرى فيه رأيي. فظنوا أنه يريد النظر فيها ليقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار(1) كما أخرج ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم وفضله، أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة ثم بدا له أن لا يكتبها ثم كتب إلى الأمصار من كان عنده شيء فليمحه.

ولما أعيته الحيلة ورغم تهديده ووعيده ومنعه وتحريمه وحرقه كتب الأحاديث بقي بعض من الصحابة يحدثون بما سمعوا من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عندما يلتقون في أسفارهم خارج المدينة بالناس اللذين يسألونهم عن أحاديث النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم رأى عمر أن يحبس هؤلاء النفر في المدينة ويضرب عليهم حصاراً وإقامة جبرية. فقد روى ابن إسحاق عن بعد الرحمن بن عوف. قال: والله ما مات عمر حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق: عبدالله بن حذيفة وأبي الدرداء وأبي ذر الغفاري وعقبة بن عامر. فقال: ما هذه الأحاديث التي قد أفشيتم عن رسول الله في الآفاق، قالوا: تنهانا؟ قال: لا أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت(2) .

ثم جاء بعده ثالث الخلفاء عثمان الذي اتبع نفس الطريق وسلك ما سطّره له صاحباه من قبل. فصعد على المنبر وأعلن صراحة قوله:

لا يحلّ لأحدٍ أن يروي حديثاً عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم أسمع به في عهد أبي بكر وعمر(3) .

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد: 5/188 والخطيب البغدادي في تقييد العلم.

(2) كنز العمال: 5/239.

(3) مسند الغمام أحمد بن حنبل: 1/363.

وهكذا دام الحصار طيلة حياة الخلفاء الثلاثة وهي خمسة وعشرون عاماً ويا ليته كان حصاراً في تلك المدّة فحسب ولكنه تواصل بعد ذلك وعندما جاء معاوية للحكم صعد المنبر هو الآخر وقال: إياكم وأحاديث إلا حديثاً كان في عهد عمر فإن عمر كان يخيفُ الناس في الله عز وجلّ. الحديث أخرجه مسلم في صحيحه. في كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة من جزئه الثالث.

ونهج الخلفاء الأمويون على هذا المنوال فمنعوا أحاديث الرسول الصحيحة وتفننوا في وضع الأحاديث المزوّرة والمكذوبة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى ابتلي المسلمون في كل العصور بالمتناقضات وبالأساطير والمخاريق التي لا تمت للإسلام بشيء، وإليك ما نقله المدائني في كتابه "الأحداث" قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته (يقصد علي بن أبي طالب) فقام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته.

ثم كتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، ثم كتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه، وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم، وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا إليّ بكل ما يروي كلّ رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك حتى أكثروا من فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فلا يأتي أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقرّبه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً. ثم كتب

معاوية إلى عماله: أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، إذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصّحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصّحابة، فإن هذا أحب إليّ وأقرّ لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرأت كتبه على الناس، فرويت أخباراً كثيرة في مناقب الصّحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلّمي الكتاتيب فعلّموا صبيانهم وغلمانهم حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونسائهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان:

"أنظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته، فأمحوا إسمه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه" ثم شفع ذلك بنسخة أخرى:

"من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به، واهدموا داره" فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة، حتى أنّ الرّجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سرّه ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدّثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة، ليكتمن عليه. فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس بلية القرّاء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقرّبوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين، الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تديّنوا بها"(1) .

———————————

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 11/46.

وأقول بأن المسؤولية في كل ذلك يتحملها أبو بكر وعمر وعثمان الذين منعوا من كتابة الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بدعوى خوفهم بأن لا تختلط السنة بالقرآن هذا ما يقوله أنصارهم والمدافعون عنهم وهذه الدّعوى تضحك المجانين وهل القرآن والسنة سكر وملح إذا ما اختلطا فلا يمكن فصل أحدهما عن الآخر وحتى السّكر والملح لا يختلطان لأن كل واحد محفوظ في علبته الخاصّة به فهل غاب عن الخلفاء أن يكتبوا القرآن في مصحف خاص به والسنة النبوية في كتاب خاص بها كما هو الحال عندنا اليوم ومنذ دونت الأحاديث في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. فلماذا لم تختلط السنة بالقرآن رغم أن كتب الحديث تعدّ بالمئات فصحيح البخاري لا يختلط بصحيح مسلم وهذا لا يختلط بمسند أحمد ولا بموطأ الإمام مالك فضلاً عن أن يختلط القرآن الكريم.

فهذه حجّة واهية كبيت العنكبوت لا تقوم على دليل بل الدليل على عكسها أوضح فقد روى الزهري عن عروة أن عمر بن الخطاب أرادَ أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأشاروا عليه أن يكتبها فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً فقال: إني كنت أريد أن أكتب السّنن، وإنّي ذكرت قوماً قبلكم كتبوا كتباً فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنّي والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً(1) .

أنظر أيها القارىء إلى هذه الرواية كيف أشار أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على عمر بان يكتب السّنن، وخالفهم جميعاً واستبدّ برأيه. بدعوى أن قوماً قبلهم كتبوا كتباً فأكبّوا عليها. وتركوا كتاب الله، فأين هي دعوى الشورى التي يتشدّق بها أهل السنة والجماعة، ثم أين هؤلاء القوم الذين أكبّوا على كتبهم وتركوا كتاب الله. لم نسمع بهم إلا في

---

(1) ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم وفضله. كنز العمال: 5/239. وابن سعد من طريق الزهري.

خيال عمر بن الخطاب وعلى فرض وجود هؤلاء القوم فلا وجه للمقارنة إذ أنهم كتبوا كتباً من عند أنفسهم لتحريف كتاب الله فقد جاء في القرآن الكريم: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون) [البقرة: 79]. أما كتابة السنن فليست كذلك لأنها صادرة عن نبي معصوم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى وهي مبينة ومفسرة لكتاب الله. قال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزل إليهم) [النحل: 44]. وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم "أوتيت القرآن ومثله معه" وهذا أمرٌ بديهي لكلّ من عرف القرآن فليس هناك الصّلوات الخمس ولا الزكاة بمقاديرها ولا أحكام الصّوم ولا أحكام الحجّ إلا كثير من الأحكام التي بينها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكل ذلك قال الله تعالى: (ما أتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .

وقال: (قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله) .

وليت عمر عرف كتاب الله وأكبّ عليه ليتعلّم منه الامتثال إلى أوامر الرّسول ولا يناقشها ولا يطعن فيها(1) .

وليته عرف كتاب الله وأكبّ عليه ليتعلّم منه حكم الكلالة(2) التي ما عرفها حتى مات وحكم فيها أيام خلافته بأحكام متعدّدة ومتناقضة وليته عرف كتاب الله وأكبّ عليه ليتعلّم منه حكم التيمم الذي ما عرفه حتى أيام خلافته وكان يفتي بترك الصّلاة لمن لم يجد الماء(3) وليته عرف كتاب الله وأكبّ عليه ليتعلّم منه حكم الطّلاق مرّتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان

———————————

(1) صحيح البخاري: 1/37 باب كتابة العلم. و: 5/138.

(2) سنن البيهقي وكنز العمال: 6/15. صحيح مسلم كتاب الفرائض باب ميراث الكلالة.

(3) صحيح البخاري: 1/90. ومسلم: 1/193 باب التيمم.

والذي جعله هو طلقة واحدة(1) وعارض برأيه واجتهاده أحكام الله وضرب بها عرض الحائط.

والحقيقة التي لا مجال لدفعها هي أن الخلفاء منعوا من انتشار الأحاديث وهدّدوا من يتحدّث بها وضربوا عليها الحصار لأنها تفضح مخطّطاتهم وتكشف مؤامراتهم ولا يجدون مجالاً لتأويلها كما يتأولون القرآن، لأنّ كتاب الله صامتٌ وحمالٌ أوجهٍ، أما السّنن النبويّة فهي أقوال وأفعال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فلا يمكن لأحد من الناس دفعها. ولذلك قال أمير المؤمنين علي لابن عباس عندما بعثه للاحتجاج على الخوارج: "لا تخاصمهم بالقرآن، فإن القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً"(2) .

أبو بكر يسلّم الخلافة لصاحبه عمر
ويخالف بذلك النصوص الصّريحة

يقول الإمام علي عليه السّلام في هذا الموضوع بالذات "أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محلّ القطب من الرّحى، ينحدر عني السّيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا أرى تراثي نهباً حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده (شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر).

فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ما

———————————

(1) صحيح مسلم في كتاب الطلاق باب طلاق الثلاث من جزئه الأول.

(2) كتاب علي بن أبي طالب لابن عباس نهج البلاغة: 1/77.

تشطّرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء يلغظ كلامها ويخشن مسّها ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها... الخطبة(1) .

يعرف كل محقق وباحث بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نصّ بالخلافة وعين علي بن أبي طالب قبل وفاته كما يعرف ذلك أغلب الصحابة وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر(2) ولهذا كان الإمام علي يقول: وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب م الرحى ـ ولعلّ ذلك ما دعا أبو بكر وعمر أن يمنعا رواية الحديث عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كما قدمنا في الفصل السّابق وتمسّكا بالقرآن لأن القرآن وإن كان فيه آية الولاية غير أنّ اسم علي لم يذكر صراحة كما هو الحال في الأحاديث النبوية كقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم "من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه" و"عليّ مني بمنزلة هارون من موسى" و"علي أخي ووصيي وخليفتي من بعدي" و"عليّ مني وأنا منه وهو ولي كلّ مؤمن بعدي"(3) .

وبذلك نفهم مدى نجاح المخطّط الذي رسمه أبو بكر وعمر في منع وحرق الأحاديث النبوية وجعل كمامات على الأفواه حتى لا يتحدث الصحابة بها كما قدّمنا في رواية قرظة بن كعب، واستمرّ ذلك الحصار ربع قرن وهي مدة الخلفاء الثلاثة حتى إذا جاء علي للخلافة نرى أنه استشهد الصحابة يوم الرحبة على حديث الغدير فشهد له ثلاثون صحابياً منهم سبعة عشر بدرياً(4) .

وهذا يدلّ دلالة واضحة بأن هؤلاء الصحابة وعددهم ثلاثون ما كانوا ليتكلموا لولا أن طلب منهم أمير المؤمنين ذلك فلو لم يكن عليّ خليفة

———————————

(1) نهج البلاغة شرح محمد عبده: 1/ 84 ـ 87.

(2) الإمام الغزالي في كتابه سرّ العالمين.

(3) كل هذه الأحاديث أخرجها الطبري في الرياض النضرة والسنائي في الخصائص، وأحمد بن حنبل.

(4) أحمد بن حنبل: 1/119. وتاريخ دمشق لابن عساكر: 2/7.

وبيده القوة لأقعدهم الخوف عن أداء الشهادة كما وقع ذلك فعلاً من بعض الصحابة الذين أقعدهم الخوف أو الحسد عن الشهادة أمثال أنس بن مالك والبرّاء بن عازب وزيد بن أرقم وجرير بن عبد الله البجلي(1) فأصابتهم دعوة علي بن أبي طالب ولم ينعم أبو تراب عليه السلام بالخلافة فكانت أيامه كلّها محن وفتن ومؤامرات وحروب شنت عليه من كل حدب وصوب، وبرزت تلك الأحقاد والضغائن البدرية والحنينية والخيبرية حتى سقط شهيداً ولم تجد تلك السّنن النبوية أذاناً صاغية لدى الناكثين والقاسطين والمارقين والانتهازيين الذين ألفوا الفساد والرشوة وحب الدنيا أيام عثمان فلم يكن ابن أبي طالب ليصلح فساد وانحراف ربع قرن في ثلاث أو أربع سنوات إلا بفساد نفسه وهيهات منه ذلك وهو القائل: "والله إني لأعرف ماذا يصلحكم، ولكن لا أصلحكم بفساد نفسي".

ولم تطل المدة حتى إعتلى سدّة الخلافة معاوية بن أبي سفيان فواصل المخطّط كما قدّمنا في منع الأحاديث إلا ما كان في زمن عمر. وذهب شوطاً أبعد من ذلك فانتدب من الصحابة والتابعين زمرة لوضع الأحاديث فضاعت سنة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم في خضم تلك الأكاذيب والأساطير والفضائل المختلفة.

واستمرّ المسلمون على ذلك قرناً كاملاً وأصبحت سنة معاوية هي المتبعة لدى عامة المسلمين وإذا قلنا سنة معاوية فمعناه السنة التي ارتضاها معاوية من أفعال الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وما أضافه هو وأتباعه من وضع وتزوير ولعن وسبّ لعلي وأهل بيته وشيعته من الصحابة المخلصين.

ولذلك أعود وأكرر بأن أبا بكر وعمر نجحا في هذا المخطّط لطمس السّنن النبوية بدعوى الرجوع إلى القرآن فإنك ترى اليوم وبعد مرور أربعة

———————————

(1) أنساب الأشراف: 1/156. السيرة الحلبية: 3/337. المعارف لابن قتيبة: 194.

عشر قرناً إذا ما حاججت بالنصوص النبوية المتواترة التي تثبت بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيّن علياً خليفةً له، فسيقال لك دعنا من السنة النبوية التي أختلف فيها وحسبنا كتاب الله، وكتاب الله لم يذكر بأن علياً هو خليفة النبي، بل قال وأمرهم شورى.

وهذه هي حجّتهم فما كلّمت أحداً من علماء أهل السنة إلا وكانت الشورى هي شعارهم وديدنهم.

ويقطع النظر على أن خلافة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها(1) فلم تكن عن مشورة كما يدّعي البعض بل كانت بالغفلة وبالقوة والقهر والتهديد والضرب(2) وتخلّف عنها وعارضها الكثير من خيرة الصحابة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب وسعد بن عبادة وعمار وسلّمان والمقداد والزبير والعبّاس وغير هؤلاء كثيرون كما يعترف بذلك جلّ المؤرّخين لهذا الحدث، ولنغضّ الطّرف عنها ونأتي إلى استخلاف أبي بكر لعمر بعده ونسأل أهل السنة الذين يتشدقون بمبدأ الشورى، لماذا عيّن أبو بكر خليفة وفرضه على المسلمين بدون أن يترك الأمر شورى بينهم كما تدّعون؟

ولمزيدٍ من التوضيح وكالعادة لا نستدل إلا بكتب أهل السنة أقدّم إلى القارىء كيفية استخلاف أبي بكر لصاحبه.

ينقل ابن قتيبة في كتابه تاريخ الخلفاء. في باب مرض أبي بكر واستخلافه عمر رضي الله عنهما. قال:

... ثم دعا عثمان بن عفان فقال: أكتب عهدي، فكتب عثمان وأملى عليه: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة آخر عهده في الدنيا نازحاً عنها، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها، إني

———————————

(1) البخاري: 8/26 كتاب المحاربين من أهل للكفر والردّة باب رجم الحبلى من الزنا.

(2) الإمامة والسياسة لابن قتيبة استخلاف أبي بكر.

استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، فإن تروه عدلاً فيكم فذلك ظني به ورجائي فيه، وإن بدّل وغير فالخير أردت، ولا أعلم الغيب ـ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون".

ثم ختم الكتاب ودفعه، فدخل عليه المهاجرون والأنصار حين بلغهم أنه استخلف عمر، فقالوا: نراك استخلفت علينا عمر، وقد عرفته، وعلمت بواثقه فينا وأنت بين أظهرنا، فكيف إذا وليت عنا، وأنت لاق الله عزّ وجلّ فسائلك، فما أنت قائل؟ فقال أبو بكر: لئن سألني الله لأقولن: استخلفت عليهم خيرهم في نفسي(1) .

ويذكر بعض المؤرخين كالطّبري وابن الأثير أن أبا بكر لما استدعى عثمان ليكتب عهده أغمي عليه أثناء الإملاء فكتب عثمان اسم عمر بن الخطاب ـ فلما أفاق قال: اقرأ ما كتبت فقرأ وذكر اسم عمر، فقال: أنى لك هذا؟ قال: ما كنت لتعدوه، فقال أصبت.

فلما فرغ من الكتاب دخل عليه قوم من الصحابة منهم طلحة، فقال له: ما أنت قائل لربّك غداً وقد وليت علينا فظّاً غليظاً، تفرق منه النفوس وتنفض عنه القلوب؟

فقال أبو بكر: اسندوني وكان مستلقياً. فأسندوه فقال لطلحة: أبا لله تخوفني إذا قال لي ذلك غداً قلت له: وليت عليهم خير أهلك(2) .

وإذا كان المؤرّخون يتفقون على استخلاف أبي بكر لعمر بدون استشارة الصحابة فلنا ان نقول بأنّه استخلفه رغم أنف الصحابة وهم له كارهون وسواء أقال ابن قتيبة، دخل عليه المهاجرون والأنصار فقال: قد علمت بواثقه فينا، أو كما قال الطبري دخل عليه قوم من الصحابة منهم

———————————————

(1) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة المعروف بالإمامة والسياسة: 1/24.

(2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد الخطبة الشقشقية.

طلحة فقال له: ما أنت قائل لربّك وقد وليت علنيا فظّاً غليظاً تفرق منه النفوس وتنفضّ عنه القلوب فالنتيجة واحدة وهي أن الصحابة لم يكن أمرهم شورى ولم يكونوا راضين عن استخلاف عمر وقد فرضه عليهم أبو بكر فرضاً بدون استشارتهم والنتيجة هي التي تنبأ بها الإمام علي عندما شدّد عليه عمر بن الخطاب ليبايع أبا بكر فقال له: أحلب حلباً لك شطره واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً.

وهذا بالضبط ما قاله أحد الصحابة لعمر بن الخطاب عندما خرج بالكتاب الذي فيه عهد الخلافة: فقال له ما في الكتاب يا أبا حفص؟ قال: لا أدري، ولكني أول من سمع وأطاع. فقال الرّجل: لكني والله أدري ما فيه، أمرته عام أول، وأمرك العام(1) .

وبهذا يتبيّن لنا بوضوح لا شكّ فيه بأن مبدأ الشورى الذي يطبّل له أهل السنة لا أساس له عند أبي بكر وعمر أو بتعبير آخر أن أبا بكر هو أوّل من هدم هذا المبدأ وألغاه وفتح الباب أمام الحكّام من بني أميّة أن يعيدوها ملكية قيصرية يتوارثها الأبناء عن الآباء، وكذلك فعل بنو العبّاس من بعدهم وبقيت نظرية الشورى حلماً يراود أهل السنة والجماعة لم ولن يتحقق.

وهذا يذكّرني بمحاورة دارت بيني وبين عالم من علماء الوهابية السعوديين في مسجد نيروبي بكينيا، على مشكلة الخلافة وكنت من أنصار النّص على الخليفة وأن الأمر كله لله يجعله حيث يشاء ولا دخل لاختيار الناس في ذلك.

وكان هو ن أنصار الشورى ويدافع عنها دفاعاً مستميتاً وكان حوله مجموعة من الطّلبة الذين يأخذون العلم عنه وهم يؤيدونه في كل ما يقول بدعوى أن حجّته من القرآن الكريم إذ يقول تعالى لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: (وشاورهم في الأمر) ويقول: (وأمرهم شورى بينهم) .

———————————————

(1) الإمام والسياسة لابن قتيبة: ج1 باب استخلاف أبي بكر لعمر.

ولما عرفت أنّني مقهور مع هؤلاء لأنهم تعلّموا من أستاذهم كل الأفكار الوهابية، كما عرفت أنهم غير قابلين للاستماع إلى الأحاديث الصحيحة وهم يتشبثون ببعض الأحاديث التي يحفظونها وأغلبها من الموضوعات، عند ذلك استسلمت لمبدأ الشورى وقلت لهم ولأستاذهم.

هل لكل أن تقنعوا حكومة جلالة الملك عندكم بمبدأ الشورى حتى يتنازل عن عرشه ويقتدي بسلفكم الصالح ويترك للمسلمين في الجزيرة العربية حريّة اختيار رئيساً لهم وما أظنه يفعل ذلك فآباؤه وأجداده لم يملكوا الخلافة فحسب بل والجزيرة العربية أيضاً أصبحت من ممتلكاتهم حتى أطلقوا على أرض الحجاز كلها أسم المملكة السعودية.

وعندئذ تكلّم سيدهم العالم ليقول: نحن لا شغل لنا في السياسة، ونحن في بيت الله الذي أمر أن يذكر فيه أسمه وأن تقام فيه الصلوات.

قلت: وكذلك لطلب العلم، قال: نعم وهو كذلك نحن نعلّم الشباب هنا ـ قلت: كنا في بحث علمي! قال: لقد أفسدته بالسياسة.

خرجت مع مرافقي وأنا أحتسر على شباب المسلمين الذين استولت الوهابية على أفكارهم بكل الطّرق فأصبحوا حرباً على آبائهم، وكلّهم من معتنقي المذهب الشافعي وهو أقرب المذاهب إلى أهل البيت على ما أعتقد. وكان للشيوخ احترام ووقارٌ لدى المثقفين وغير المثقفين باعتبار أن أغلبهم من السادة المنحدرين من السلالة الطّاهرة، فجاء الوهابيون للشباب واستغلّوا فقرهم فأغروهم بالأموال والإمكانيات الماديّة، وقلبوا نظرتهم بأن ما يفعلونه من احترام للسادة هو شرك بالله لأنه تقديس للبشر، فأصبح الأبناء نقمة على الآباء. وهذا ما يحدث في كثير من البلدان الإسلامية في أفريقيا. للأسف.

ونعود لوفاء أبي بكر لنجد أنه وقبل موته ندم على ما اقترفت يداه، فقد نقل ابن قتيبة في تاريخ الخلفاء قوله: أجل والله ما آسى إلا على ثلاث

فعلتهن ليتني كنت تركتهن ـ فليتني تركت بيت علي وفي رواية لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد أعلنوا عليّ الحرب، وليتني يوم سقيفة بني ساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين أبي عبيدة أو عمر فكان هو الأمير وكنت أنا الوزير، وليتني حين أتيت ذي الفجاءة والسلمي أسيراً أني قتلته ذبيحاً أو أطلقته فجيحاً ولم أكن أحرقته بالنار(1) .

ونحن نضيف، ليتك يا أبا بكر لم تظلم الزهراء ولم تؤذها ولم تغضبها وليتك ندمت قبل موتها وأرضيتها، هذا بخصوص بيت علي الذي كشفته وأبحت حرقه.

أما بخصوص الخلافة فليتك تركت صاحبيك وعضديك أبا عبيدة وعمر وضربت على يد صاحبها الشرعي الذي استخلفه صاحب الرسالة فكان هو الأمير. إذاً لكان العالم اليوم غير ما نشاهده ولكان دين الله هو الذي يسود الكرة الأرضية، كما وعد الله ووعده حق.

وأما بخصوص الفجاءة السلمي الذي أحرقته بالنار، فيا ليتك لم تحرق السنن النبوية التي جمعتها ولكنت تعلّمت منها الأحكام التشريعية الصحيحة وما التجأت إلى الاجتهاد بالرأي.

وخيراً وأنت على فراش الموت ليتك إذا فكّرت في الاستخلاف أرجعت الحقّ إلى نصابه إلى من كان محلّه منها محلّ القطب من الرحى فأنت أعلم الناس بفضله وفضائله وزهده وعلمه وتقواه وأنه كان كنفس النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وخصوصاً أنه سلّم لك الأمر ولم يناجزك حفاظاً على الإسلام، فكان حرياً بك أن تنصح لأمة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وتختار لها من يصلح شأنها ويلم شعثها ويوصلها إلى ذروة المجد.

———————————

(1) تاريخ الطبري: 4/52. ابن عبد ربه في العقد الفريد: 2/254. المسعودي مروج الذهب: 1/414.

وندعو الله سبحانه وتعالى أن يغفر لك ذنوبك ويرضي عنك فاطمة وأباها وزوجها وبنيها فقد أغضبت بضعة المصطفى والله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها. كما وأن من من آذى فاطمة فقد آذى أباها بنص حديثه صلّى الله عليه وآله وسلّم والله تعالى يقول (والذين يؤذون رسول الله لهم لهم عذاب أليم) .

ونعوذ بالله من غضب الله ونسأله أن يرضى عنا وعن جميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات.

عمر بن الخطّاب يعارض كتاب الله باجتهاده

إن للخليفة الثاني عمر تاريخاً حافلاً من اجتهاده مقابل النصوص الصريحة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وأهل السنة يجعلون ذلك من مفاخرة ومناقبه التي يمدحونه لأجلها والمنصفون منهم يلتمسون لذلك أعذاراً وتأويلات باردة لا يقبلها عقل ولا منطق. وإلا كيف يكون من يعارض كتاب الله وسنة نبيه من المجتهدين، والله يقول: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصي الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً) [الأحزاب: 36].

وقال عز من قائل: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون...) [المائدة: 44 ـ 45 ـ 47].

وأخرج البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة في باب ما يذكر من ذمّ الرأي وتكلف القياس ولا تقف ولا تقل ما ليس لك به علم. قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعاً ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناسٌ جهّال يستفتون

فيفتون برأيهم فيضلّون ويضلّون(1) .

كما أخرج البخاري في صحيحه من نفس الكتاب في الباب الذي يليه "ما كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يسئل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول: لا أدري، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي ولم يقل برأي ولا قياس لقوله تعالى: (بما أراك الله)(2) .

وقد قال العلماء قديماً وحديثاً قولاً واحداً: أنه من قال في كتاب الله برأيه فقد كفر" ـ وهذا بديهي من خلال الآيات المحكمات ومن خلال أقوال وأفعال الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

فكيف تنسى هذه القاعدة إذا ما تعلّق الأمر بعمر بن الخطّاب أو بأحد الصّحابة أو أحد أئمة المذاهب الأربعة، فيصبح القول بالرأي في معارضة أحكام الله اجتهاداً يؤجر عليه صاحبه أجراً واحداً إن أخطأ وأجران إن أصاب.

ولقائل أن يقول: إن هذا ما اتفقت عليه الأمة الإسلامية قاطبة سنة وشيعة للحديث النبوي الشريف الوارد عندهم.

أقول: هذا صحيح ولكن اختلفوا في موضوع الاجتهاد، فالشيعة يوجبون الاجتهاد في ما لم يرد بشأنه حكم من الله أو من رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم. أما أهل السنة فلا يتقيدون بهذا، واقتداءً بالخلفاء والسّلف الصالح عندهم لا يرون بأساً في الاجتهاد مقابل النصوص، وقد أورد العلامة السيد شرف الدّين الموسوي في كتابه "النص والاجتهاد" أكثر من مائة مورد خالف فيه الصّحابة وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة، النصوص الصريحة من القرآن والسنة، فعلى الباحثين مطالعة ذلك الكتاب.

———————————

(1) صحيح البخاري: 8/148.

(2) المصدر السابق.

وما دمنا في هذا الموضوع بالذّات فلا بدّ لنا من إيراد بعض النصوص التي خالف فيها عمر صريح النص، وذلك إما جهلاً منه بالنصوص، وهذا أمرٌ عجيبٌ لأن الجاهل ليس له أن يحكم فيحلّل ويحرّم من عند نفسه، قال تعالى: (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب، هذا حلال وهذا حرام، لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) [النحل: 116].

وليس للجاهل أن يتقلّد منصب الخلافة لقيادة أمةٍ بأكملها قال تعالى: (أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى ما لكم كيف تحكمون) [يونس: 35].

وإما أنه لا يجهل النصوص ويعرفها ولكنه يتعمد الاجتهاد لمصلحة اقتضاها الحال حسب رأيه الشخصي. لا يعد أهل السنة هذا كفراً ومروقاً، كما لابد أن يكون جاهلاً بوجود من يعرف الأحكام الصحيحة من معاصريه. وهذا باطل لمعرفته بإلمام علي عليه السلام بالكتاب والسنة إلماماً تاماً وإلا لما استفتاه في كثير من المعضلات حتى قال فيه: "لولا علي لهلك عمر"، فلماذا يا ترى لم يستفته في المسائل التي اجتهد فيها برأيه الذي يعرف قصوره؟

وأعتقد بأن المسلمين الاحرار يوافقون على هذا لأن هذا النوع من الاجتهاد هو الذي أفسد العقيدة وأفسد الأحكام وعطّلها وتسبّب في اختلاف علماء الأمة وتفريقها إلى الفرق والمذاهب المتعدّدة ومن ثم النزاع والخصام، فالفشل وذهاب الريح والتخلّف المادّي والروحي.

ولنا ان نتصور حتى بوجود أبي بكر وعمر على منصة الخلافة وإزاحة صاحبها الشرعي، نتصور لو أن أبا بكر وعمر جمعا السنن النبوية وحفظاها في كتاب خاص بها لوفرا على أنفسهما وعلى الأمة الخير العميم ولما دخلت في السنة النبوية ما ليس منها ولكان الإسلام بكتابه وسنته واحداً،

ملة واحدة وأمة واحدة وعقيدة واحد ولكان لنا اليوم كلام غير هذا.

أما وأن السّنن قد جمعت وأحرقت ومنعت من التدوين ومن النقل حتى شفوياً فهذه هي الطّامة الكبرى وهذه هي البائقة العظمى فلا حول ولا قوى إلا بالله العلي العظيم.

وإليك بع النصوص الصريحة التي اجتهد فيها عمر بن الخطاب في مقابل القرآن.

(أ) يقول القرآن: (وإن كنتم جنباً فأطّهروا، وإن كنتم مرضى أو على سفر، أو جاء أحدٌ منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً...) [المائدة: 6].

والمعروف في السنة النبوية بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم علّم الصّحابة كيفية التيمم وبحضور عمر نفسه.

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التيمم في باب الصّعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه عن الماء. قال: عن عمران قال: كنا في سفرٍ مع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وإنا أسرينا حتى إذا كنا في آخر الليل وقعنا وقعةً ولا. وقعة أحلى عند المسافر منها. فما أيقظنا إلا حرّ الشمس، وكان أول من استيقظ فلانٌ ثم فلانٌ يسميهم أبو رجاءٍ فنسي عوفٌ ثم عمر بن الخّطاب الرابع وكان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ لأنا لا ندري ما يحدث له في نومه، فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس وكان رجلاً جليداً فكبّر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبّر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلما استيقظ شكوا إليه الذي أصابهم، قال: لا خير ولا يضير ارتحّلوا، فارتحّل فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودي بالصّلاة فصلّى بالناس فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يصلّ مع القوم. قال: ما منعك يا فلان

أن تصلى مع القوم؟ قال: أصابتني جنابة ولا ماء! قال: عليك بالصّعيد فإنه يكفيك...(1) .

ولكنّ عمر يقول معارضة لكتاب الله وسنة رسوله من لم يجد الماء لا يصلّ.. وهذا مذهبه سجّله عليه أغلب المحدّثين. فقد أخرج مسلم في صحيحه ج1 من كتاب الطّهارة باب التيمم أنّ رجلاً أتى عمر فقال إني أجنبت فلم أجد ماء فقال: لا تصلّ فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماءً فأما أنت فلم تصلّ وأما أنا فتمعكت في التراب وصلّيت فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إنما كان يكفيك أن نضرب بيديك الأرض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفّيك، فقال عمر: اتق الله يا عمار! قال: إن شئت لم أحدّث به(2) .

سبحانه الله! لم يكتف عمر بمعارضته للنصوص الصريحة من الكتاب والسنة حتى يحاول منع الصّحابة من معارضته في رأيه. ويضطّر عمار بن ياسر أن يعتذر للخليفة بقوله: إن شئت لم أحدث به وكيف لا أعجب ولا تعجبون من هذا الاجتهاد وهذه المعارضة وهذا الإصرار على الرأي رغم شهادة الصّحابة بالنصوص فإن عمر لم يقتنع إلى أن مات وهو مصرٌ على هذا الاعتقاد وقد أثر مذهبه هذا في كثير من الصحابة الذين كانوا يرون رأيه ـ بل ربّما كانوا يقدمونه على رأي رسول الله فقد أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الطّهارة باب التيمم من جزئه الأول صفحة 192 قال: عن شقيق: كنت جالساً مع عبدالله وأبي موسى فقال أبو موسى: يا أبا عبد لرحمن أرأيت لو أنّ رجلاً أجنب فلم يجد الماء شهراً كيف يصنع بالصّلاة؟ فقال عبدالله: لا يتيمم وإن لم يجد الماء شهراً!

فقال أبو موسى: فكيف بهذه الآية في سورة المائدة: (فلم تجدوا ماءً

———————————

(1) صحيح البخاري: 1/88.

(2) صحيح البخاري: 1/87.

فتيمموا صعيداً طيباً) فقال عبدالله: لو رخّص لهم في هذه الآية لأوشك إذا برد عليهم الماء أن يتيمموا بالصّعيد.

فقال أبو موسى لعبدالله: ألم تسمع قول عمار: بعثني رسول الله صلّى الله عليه وآله ولم في حاجة فأجنبت فلم أجد الماء فتمرّغت في الصّعيد كما تمرغ الدّابة، ثم أتيت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فذكرت ذلك له فقال: إنما يكفيك أن تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه.

فقال عبدالله: أو لم تر عمر لم يقنع بقول عمار(1) . ونحن إذا تأملنا في هذه الرواية التي أثبتها البخاري ومسلم وغيرهم من الصّحاح نفهم من خلالها

مدى تأثير مذهب عمر بن الخطاب على الكثير من كبار الصحابة ومن هذا نفهم أيضاً مدى تناقض الأحكام، وتهافت الروايات وتضاربها، ولعلّ ذلك هو الذي يفسّر استخفاف الحكّام الأمويين والعبّاسيين بالأحكام الإسلامية ولا يقيمون لها وزناً، ويسمحون بتعدّد المذاهب المتعارضة في الحكم الواحد ولسان حالهم يقول لأبي حنيفة ومالك وأحمد والشافعي: قولوا ما شئتم بآرائكم فإذا كان سيدكم وإمامكم عمر يقول برأيه ما شاء(2) مقابل القرآن والسنة فلا لوم عليكم فما أنتم إلاّ تابعون وأتباع التابعين ولستم مبتدعين.

والأعجب من كل ذلك قول عبدالله بن مسعود لأبي موسى: لا يتيمم وإن لم يجد الماء شهراً. وعبدالله بن مسعود من أكابر الصحابة يرى أن الجنب إذا لم يجد الماء يترك الصلاة شهراً كاملاً ولا يتيمم ويبدو أن أبا موسى حاول إقناعه بالآية الكريمة النازلة بخصوص هذا الموضوع في سورة

———————————

(1) كما أخرجه البخاري في صحيحه: 1/91 كتاب التيمم باب التيمم ضربة.

(2) كما جاء ذلك في صحيح البخاري: 5/158 من كتاب تفسير القرآن باب قوله وأنفقوا في سبيل الله.

المائدة، فأجابه بأنه: لو رخّص لهم في هذه الآية لأوشك إذا برد عليهم الماء أن يتيمموا بالصعيد.

ومن هذا نفهم أيضاً كيف يجتهدون في النصوص القرآنية على حسب ما يرونه، وما يرونه مع الأسف هو الشدّة والتعسير على الأمة في حين يقول الله: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) [البقرة: 185].

يقول هذا المسكين: لو رخّص لهم في هذه الآية لأوشك إذا برد الماء أن يتيمموا. فهل وضع نفسه مبلّغاً عن الله ورسوله؟ وهل هو أحرص وأرأف على العباد من خالقهم ومربّيهم؟

وبعد ذلك يحاول أبو موسى أن يقنعه بالسنة النبويّة التي رواها عمار وكيف علّمه رسول الله التيمم. فيردّ عبدالله هذه السنة النبوية المشهورة بأن عمر بن الخطّاب لم يقنع بقول عمار !

ومن هنا نفهم أن قول عمر بن الخطاب هو الحجّة المقنعة لدى بعض الصحابة وأن قناعة عمر بالحديث أو الآية هي المقياس الوحيد لصحّة الحديث أو لمفهوم الآية وإن تعارض مع أقوال وأفعال الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم. ولذلك نجد أن كثيراً من أفعال الناس اليوم تتناقض مع القرآن والسنة سواء في الحلية والحرمة، لأن اجتهاد عمر في مقابل النصوص أصبح مذهباً متبعاً ولما رأى بعض المتزلّفين ومن لهم دراية بأن الأحاديث التي منعت في عهد الخلفاء، قد دوّنت فيما بعد وسجّلها الرواة والحفاظ وهي تتعارض مع مذهب عمر بن الخطاب، اختلقوا روايات أخرى من عندهم ونسبوها إلى الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ليؤيدوا بها مذهب أبي حفص كمسألة زواج المتعة وصلاة التراويح وغيرها فجاءت الروايات متناقضة وبقيت حتى اليوم محل خلاف بين المسلمين وستبقى ما دام هناك من يدافع عن عمر لأنه عمر ـ ولا يريد البحث من أجل الحق وأن تقول لعمر أخطأت يا عمر فإن الصلاة لا تسقط بفقدان الماء. وأن

هناك آية التيمم مذكورة في كتاب الله وهناك حديث التيمم مذكور في كل كتب السنة فجهلك بهما لا يسمح لك باعتلاء منصة الخلافة ولا قيادة أمة وعلمك بهما يكفرك إذا عارضت أحكامهما فما كان لك إن كنت مؤمنا، إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لك الخيرة. فتحكم بما تشاء وتردّ ما تشاء وأنت أعلم مني بأن من يعصي الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً.

(ب) قال الله تعالى: (إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفي الرّقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السّبيل، وفريضة من الله والله عليم حكيم) [التوبة: 60].

وكان من السنة النبوية المعروفة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يخصّ المؤلّفة قلوبهم بسهمهم الذي فرضه الله لهم كما أمره الله تعالى ولكنّ عمر بن الخطاب أبطل هذا العطاء المفروض في خلافته واجتهد مقابل النص وقال لهم: لا حاجة لنا بكم فقد أعزّ الله الإسلام وأغنى عنكم. بل لقد عطّل هذا الحكم في خلافة أبي بكر إذ جاءه المؤلفة قلوبهم جرياً على عادتهم مع رسول الله فكتب لهم أبو بكر بذلك فذهبوا إلى عمر ليأخذوا نصيبهم ـ فمزّق عمر الكتاب وقال لهم: لا حاجة لنا بكم فقد أعزّ الله الإسلام وأغنى عنكم فإن أسلمتم وإلا فالسّيف بيننا وبينكم، فرجعوا إلى أبي

بكر فقالوا: أأنت الخليفة أم هو؟ فقال: بل هو إن شاء الله. وتراجع أبو بكر فيما كتب موافقاً لرأي صاحبه عمر(1) .

والعجيب أيضاً أنك تجد حتى اليوم من يدافع عن عمر في هذه القضية ويعتبرها من مناقبه وعبقرياته ومن هؤلاء الشيخ محمد المعروف بالدواليبي إذ يقول في كتابه أصول الفقه في ص239: "ولعل اجتهاد عمر رضي الله عنه في قطع العطاء الذي جعله القرآن الكريم للمؤلفة قلوبهم كان في مقدمة الأحكام التي قال بها عمر تبعاً لتغير المصلحة بتغير الأزمان

———————————

(1) الجوهرة النيرة في الفقه الحنفي: 1/164.

رغم أن النص القرآني في ذلك لا يزال ثابتاً غير منسوخ. ثم أخذ بعد ذلك يعتذر لعمر بأنه نظر إلى علّة النصّ لا إلى ظاهره. إلى آخر كلامه الذي تفهمه العقول السّليمة، ونحن نقبل شهادته بأن عمر غير الأحكام القرآنية تبعاً لرأيه بأن المصلحة تتغير بحسب الأزمان. ونرفض تأويله بأن عمر نظر إلى علّة النص ولم ينظر إلى ظاهره ونقول له ولغيره بأن النصوص القرآنية والنصوص النبوية لا تتغير بتغير الأزمان، فالقرآن صريح بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نفسه ليس من حقه أن يبدّل قال تعالى: (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقائي نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم) [يونس: 15]. والسنة النبوية الطّاهرة تقول: حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

ولكن على زعم الدواليبي ومن يرى رأيه من أنصار الاجتهاد فإن الأحكام تتغير بتغير الزمان ولا لوم إذن على بعض الحكّام الذين غيروا أحكام الله بأحكام الشعب وبأحكام وضعية اقتضتها مصالحهم وهي مخالفة لأحكام الله فمنهم من قال: أفطروا لتقووا على عدوكم ولا حاجة بالصّوم في الوقت الحاضر الذي نجاهد فيه التخلف والفقر والجهل. والصّوم يقعدنا عن الإنتاج ومنع تعدد الزوجات لأنه يرى في ذلك ظلماً وتعدّياً على حقوق المرأة وقال: بأن في زمن محمد كانت المرأة تعتبر "شقفة بول" أما الآن فقد حرّرناها وأعطيناها حقوقها كاملة.

ونظر هذا الرئيس إلى النص من حيث العلّة ولم ينظر إلى ظاهره كما نظر عمر فقال: إنّ الميراث يجب أن يقسم الآن للذكر والأنثى على حدّ سواء، لان الله أعطى للرجل سهمين باعتبار أنه هو الذي يعول الأسرة في حين كانت المرأة معطّلة، أما اليوم وبفضل جهود فخامته أصبحت المرأة تشتغل وتعول أسرتها وضرب للشعب مثلاً بزوجته التي أنفقت على أخيها

وأصبح وزيراً بفضلها وعنايتها.

كما وأنه أباح الزنا واعتبره حقاً شخصياً لمن بلغ سن الرشد ما لم يكن غصباً أو حرفةً للعيش، وفتح دوراً لحضانة الأطفال الذين يولدون من الزنا معلّلاً ذلك بأنه رحيمٌ بأولاد الزنا الذين كانوا يدفنون أحياء خوف العار والفضيحة، إلى غير ذلك من اجتهاداته المعروفة والغرب أن هذا الرئيس كان لحدٍ ما معجباً بشخصية عمر فقد ذكره مرّة بإعجاب وذكره مرّة بأنه لم يتحمل المسؤولية حياً وميتاً بينما هو "الرئيس" سيتحملها حياً وميتاً، ومرّة أخرى وكأنه بلغه بان المسلمين انتقدوا اجتهاداته فقال: إن عمر بن الخطاب كان من أول وأكبر المجتهدين في عصره فلماذا لا أجتهد أنا في عصري الجديد فقد كان عمر رئيس دولة وأنا أيضاً رئيس دولة.

والأغرب أن هذا الرئيس كان عندما يذكر محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ترى في كلامه سخرية واستهزاء فقد قال في خطابه بأن محمداً كان لا يعرف حتى الجغرافيا فقد قال: "أطلبوا العلم ولو كان في الصين" ظناً منه بأن الصين هي آخر الدنيا، فما كان محمد يتصور بأن العلم سيصل إلى هذه الدرجة وأن أطناناً من الحديد ستطير في الهواء فما بالك لو قيل له أو حدّثوه عن الأورانيوم ـ والبوتاسيوم والعلوم الذرية والأسلحة النووية.

هذا ولا ألوم شخصياً هذا المسكين الذي ما فهم من كتاب الله وسنة رسوله شيئاً ووجد نفسه يوماً يحكم دولة باسم الإسلام وهو يسخر من الإسلام ويجري وراء الحضارة الغربية ويريد أن يصنع من بلاده دولة أوروبية متطورة بالمفهوم الذي يراه هو. وقد حذا حذوه كثيرٌ من الرؤساء والملوك لما حصل عليه من تأييد الدول الغربية واللائكية ومدحهم وإطرائهم له، حتى لقبوه بالمجاهد الأكبر ثم لا ألومه فالشيء من مأتاه لا يستغرب وكل إناء بالذي فيه ينضح وإذا كنت منصفاً فسألقي باللّوم على أبي بكر وعمر وعثمان الذين فتحوا هذا الباب من يوم وفاة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وتسبّبوا في كل الاجتهادات التي دأب عليها الحكّام الأمويون والعبّاسيون وما

أكثرهم، سبع قرون خلت وكلّها طمس لحقائق الإسلام بنصوصه وأحكامه واستفحل الأمر في القرون التي أعقبتها، حتى وصل الأمر بأن يخطب الرئيس أمام شعبه المسلم مستهزئاً برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا ينكرُ عليه أحد لا في الداخل ولا في الخارج.

وهذا ما قلته وما أقواله لبعض الإخوة من الحركة الإسلامية: إن كنتم تنكرون اليوم على الرئيس عدم اتباع النصوص القرآنية والسنة النبوية فواجبٌ عليكم أن تنكروا على من سنّ هذه البدعة في الاجتهاد مقابل النصوص، إن كنتم منصفين وتريدون فعلاً اتباع الحق. فلا يقبلون مني هذا الكلام ويعيبون عليَّ كيف أقارن الرؤساء اليوم بالخلفاء الراشدين، وأجيبهم بأن الرؤساء اليوم وملوك اليوم هم النتيجة الحتمية لما وقع في التاريخ، ومتى كان المسلمون يوماً أحراراً منذ وفاة الرّسول وحتى اليوم؟ فيقولون أنتم الشيعة تفترون وتشتمون الصّحابة، ولو وصلنا يوماً إلى الحكم فسنحرقكم بالنار، فأقول: لا أراكم الله ذلك اليوم.

(ت) قال الله تعالى: (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحلُّ لكم أن تأخذوا مما أتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألاّ يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به، تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدّ حدود الله فأولئك هم الظالمون، فإن طلّقها فلا تحلّ له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره، فإن طلّقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظناً أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقومٍ يعلمون) [البقرة: 230].

والسنة النبوية الشريفة فسّرت بغير لبس بأن المرأة لا تحرم على زوجها إلاّ بعد ثلاثة تطليقات ولا يحقّ لزوجها أن يراجعها إلاّ بعد أن تنكح زوجاً آخر فإذا طلّقها هذا الأخير عند ذلك يمكن لزوجها أن يتقدم لخطبتها

———————————

(1) صحيح مسلم: 2/184. والبيهقي: 7/336. وأبو داود في كتاب الطلاق.

من جديد كبقية الرّجال وعليها أن تقبل أو ترفض فالخيرة لها.

ولكنّ عمر بن الخطاب وكعادته تخطّى حدود الله التي بينها لقوم يعلمون فأبدل هذا الحكم بحكمه الذي يقول طلقة واحدة فعلية بلفظ الثلاثة تحرم على الزوج زوجه. وخالف بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية.

فقد جاء في صحيح مسلم في كتاب الطّلاق باب طلاق الثلاث عن ابن عبّاس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاثة واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمرٍ قد كانت لهم فيه أناةٌ فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم.

عجباً والله كيف يجرؤ الخليفة على تغيير أحكام الله بمحضر من الصحابة فيوافقون على كل ما يقول وما يفعل ولا من منكرٍ ولا من معارض، ويموهون علينا نحن المساكين بأن أحد الصّحابة قال لعمر: "والله لو رأينا فيك إعوجاجاً لقومناك بحدّ السيف" فهذا زور من القول وبهتان ليتشدقوا بأن الخلفا كانوا المثل الأعلى في الحرية والديمقراطية والتاريخ يُكذّبهم بواقعه العملي ولا عبرة بالأقوال إذا كانت الأعمال على نقيضها.

أو لعلّهم كانوا يرون الاعوجاج في الكتاب والسنة وأن عمر بن الخطاب هو الذي قومها وأصلحها. نعوذ بالله من الهذيان. وكنت في مدينة قفصة كثيراً ما أفتي للرجال الذين حرّموا نساءهم بكلمة: "أنت حرامٌ بالثلاث"، ويفرحون عندما أعرفهم بأحكام الله الصحيحة التي لم يتصرف فيها الخلفاء باجتهاداتهم. ولكنّ من يدّعون العلم يخوفونهم بأن الشيعة عندهم كل شيء حلال وأتذكّر بأن أحدهم جادلني مرّة بالحسنى وسألني: إذا كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدل حكم الله في هذه القضية وفي غيرها ووافق الصّحابة على ذلك فلماذا لم يعارض سيدنا علي كرّم الله وجهه ورضي الله عنه ولم ينكر على سيدنا عمر؟ وأجبته بجواب الإمام علي

عليه السلام عندما قالت قريش بأنه رجلٌ شجاع ولكن لا علم له بالحرب ـ فقال:

لله أبوهم! وهل أحدٌ منهم أشدّ لها مراساً، وأقدم فيها مقاماً مني! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنذا قد ذرفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع. (الخطبة 27 من نهج البلاغة). نعم وهل استمع المسلمون لرأي علي، غير شيعته الذين آمنوا بإمامته فقد عارض تحريم المتعة وعارض بدعة

التراويح وعارض كل الأحكام التي غيرها أبو بكر وعمر وعثمان ولكن بقيت آراؤه محصورة في أتباعه وشيعته، أما غيرهم من المسلمين فقد حاربوه ولعنوه وحاولوا جهدهم القضاء عليه ومحو ذكره، ولا أدلّ على معارضته من موقفه العظيم البطولي عندما دعاه عبد الرحمن بن عوف الذي رشّحوه لاختيار الخليفة بعد موت عمر فاشترط عليه ـ بعد أن اختاره ليكون هو الخليفة ـ أن يحكم فيها بسنة الخليفتين أبو بكر وعمر، فرفض علي عليه السلام هذا الشرط وقال: أحكم بكتاب الله وسنة رسوله. وعلى هذا تركوه واختاروا عثمان بن عفان الذي قبل شرط الحكم بسنة الخليفتين فإذا كان علي عليه السّلام لا يقدر على معارضة أبي بكر وعمر وهما ميتان فكيف يعارضهما وهما على قيد الحياة؟؟

ولذلك ترى اليوم بأنّ باب مدينة العلم الذي كان أعلم الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأقضاهم وأحفظهم لكتاب الله وسنة رسوله، متروكاً عند أهل السنة والجماعة، فيقتدون بمالك وأبي حنيفة والشّافعي وابن حنبل ويقلّدونهم في كلّ أمور الدّين من العبادات والمعاملات ولا يرجعون في شيء للإمام علي وكذلك فعل أئمتهم في الحديث كالبخاري ومسلم فتراهم يروون عن أبي هريرة وعن ابن عمر وعن الأقرع والأعرج وعن كل قريب وبعيد مئات الأحاديث ولا يروون عن علي إلا بضعة أحاديث مكذوبة عليه وفيها مسّ بكرامة أهل البيت. ثم هم لا يكتفون بذلك فيستنكرون ويكفّرون من قلّده، واقتدى به من شيعته المخلصين وينبزونهم بالرّوافض

وبكل ما يشين، والحقيقة أنّ هؤلاء ليس لهم ذنبٌ إلاّ أنهم اقتدوا بعلي الذي كان منبوذاً ومبعداً في عهد الخلفاء الثلاثة، ثم هو ملعون ومحارب في عهد الأمويين والعبّاسيين، وكل من له إلمام ومعرفة بالتاريخ سيدرك هذه الحقيقة واضحة جلية، وسيفهم الخلفيات والمؤامرات التي حيكت ضده وضد أهل بيته وشيعته.

عثمان بن عفان يتبع سنة صاحبيه
في مخالفة النصوص

لعلّ عثمان بن عفان عندما عاهد عبد الرحمن بن عوف غداة بيعته بالخلافة أن يحكم فيهم بسنة الخليفتين أبي بكر وعمر، كان يرمي بأنّه سيجتهدُ كما اجتهد ويغير النصوص القرآنية والنصوص النبوية كما كانا يفعلان ومن تتبّع سيرته أيام خلافته يجده قد ذهب أشواطاً بعيدة في الاجتهاد حتى أنسى الناس اجتهادات صاحبيه أبي بكر وعمر، وأنا لا أريد الإطالة في هذا الموضوع الذي ملأ كتب التاريخ قديماً وحديثاً وما أحدثه عثمان من أمور غريبة سبّبت الثورة عليه وأودت بحياته ولكني سأقتصر على بعض الأمثلة الوجيزة كالعادة ليتبين للقارىء ولكل باحث ما أحدث أنصار الاجتهاد في دين محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

(أ) أخرج مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين عن عائشة قالت: فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمّها في الحضر، فأقرّت صلاة السّفر على الفريضة الأولى.

كما أخرج مسلم في صحيحه في نفس الكتاب المذكور أعلاه، عن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب، ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصّلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا، فقد أمن الناس! فقال: عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن ذلك، فقال: "صدقة تصدّق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته".

كما أخرج مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها عن ابن عبّاس، قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلّى الله عليه وآله وسلّم في الحضر أربعا وفي السّفر ركعتين وفي الخوف ركعة.

كما أخرج مسلم في صحيحه عن انس بن مالك قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلّى ركعتين.

وعنه أيضاً قال: خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من المدينة إلى مكّة فصلّى ركعتين ركعتين حتى رجع، قلت: كم أقام بمكّة؟ قال: عشراً.

ومن خلال هذه الأحاديث التي اخرجها مسلم في صحيحه يتبيّن لنا بأنّ الآية الكريمة التي نزلت بخصوص تقصير الصّلاة في السّفر فهم منها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفسّرها قولاً وعملاً بأنها رخصة تصدّق الله بها على المسلمين ويجب قبولها. وبهذا تبطل دعوى الدواليبي ومن كان على شاكلته في التماس العذر لعمر وتصحيح أخطائه بأنّه نظر إلى علّة الحكم ولم ينظر إلى ظاهره، لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم علّمه

بمناسبة نزول آية قصر الصلاة عندما تعجّب عمر، بأن النصوص الثابتة لا تتوقف على علّتها وبذلك تقصر الصلاة في السفر ولو أمِن الناس ولم يخافوا أن يفتنهم الذين كفروا. ولكن عمر له رأي آخر غير الذي يرتئيه الدواليبي وعلماء أهل السنة بحسن ظنهم.

ولننظر إلى عثمان بن عفان فلا بد له هو الآخر أن يجتهد في النصوص القرآنية والنبوية حتى يلحق بركب الخلفاء الراشدين، فما أن استتبّ له الأمر حتى أتمّ الصلاة في السفر وأبدلها بأربع ركعات عوض ركعتين.

وكم بقيت أتساءل عن السبب في تغيير هذه الفريضة والزيادة فيها وما

هي الدوافع لذلك ولم أرَ إلا أنه أراد أن يوهم الناس وبالخصوص بني أمية بأنه أبرّ وأتقى لله من محمد وأبي بكر وعمر.

فقد أخرج مسلم في صحيحه في باب صلاة المسافرين وقصر الصلاة بمنى قال: عن سالم بن عبدالله عن أبيه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه صلّى صلاة المسافر بمنى وغيره ركعتين، وأبو بكر وعمرٍ وعثمان ركعتين صدراً من خلافته ثم أتمّها أربعاً.

كما جاء في صحيح مسلم أيضاً أن الزهري قال قلت لعروة: ما بال عائشة تتم في السفر؟ قال: إنها تأولت كما تأول عثمان.

* وهكذا يصبح دين الله بأحكامه ونصوصه خاضعاً لتأول المتأولين وتفسير المفسّرين.

(ب) كما أن عثمان اجتهد برأيه لتأييد ما ذهب إليه عمر من تحريم متعة الحج أيضاً كما حرّم متعة النساء. فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الحج في باب التمتع والإقران، عن مروان بن الحكم قال: شهدت عثمان وعلياً رضي الله عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما فلما رأى عليّ أهل بهما لبيك بعمرةٍ وحجة وقال: ما كنت لأدع سنة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لقول أحدٍ.

وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب الحج باب جواز التمتع عن سعيد بن المسيب قال: اجتمع عليّ وعثمان رضي الله عنهما بعسفان فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة فقال عليّ: ما تريد إلى أمر فعله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تنهى عنه؟ فقال عثمان: دعنا منك، فقال: إني لا أستطيع أن أدعك فلما رأى عليّ ذلك أهلّ بهما جميعاً.

نعم هذا هو عليّ بن أبي طالب سلام الله عليه، فما كان ليدع سنة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لقول أحد من الناس والرواية الثانية تفيدنا بأن شجاراً دار بين علي وعثمان وقول عثمان لعلي دعنا منك، فيه ما فيه من

مخالفته في كل شيء وعدم اتباعه فيما يرويه عن ابن عمه صلّى الله عليه وآله وسلّم. كما أن الرواية مبتورة إذا تقول: فقال علي إني لا أستطيع أن أدعك فلما رأى علي ذلك ما هو الذي رآه علي؟

لا شك أن الخليفة ورغم تذكير علي له بالسنة النبوية أصرّ على رأيه في مخالفتها ومنع الناس من التمتع عند ذلك خالفه عليّ وأهلّ بهما جميعاً يعني الحج والعمرة.

(ت) كما أن عثمان بن عفان اجتهد أيضاً أجزاء الصلاة فكان لا يكبّر في السجود ولا في الرفع منه.

فقد روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: 4/440 عن عمران بن حصين قال:

صلّيت خلف عليّ صلاة ذكرتني بصلاة صلّيتها مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والخليفتين، قال: فانطلقت فصلّيت معه فإذا هو يكبّر كلّما سجد ورفع رأسه من الركوع فقلت: يا أبا نجيد من أول من تركه؟ قال: عثمان رضي الله عنه حين كبر وضعف صوته تركه.

نعم هكذا تضيع السنن النبوية وتتبدّل بسنن خلفائية وسنن ملوكية وسنن صحابية وسنن أموية وسنن عبّاسية وكلها بدع مبتدعة في الإسلام، فكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار كما قال صاحب الرسالة عليه وآله أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ولذلك فأنت ترى اليوم أشكالاً وألواناً في صلاة المسلمين وتحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى لأنهم يصطفون للصلاة صفاً واحداً فترى هذا سادلٌ يديه

وذاك قابض وآخر له شكلاً خاصّاً في القبض فهو يضع يديه فوق السرة وذاك يضعها قرب قلبه.. واحدٌ جامع بين قدميه وآخر مفرّق بينهما ـ وكلّ واحد يعتقد بأنّه هو الحق، وإذا ما تكلّمت في ذلك فسيقال لك: يا أخي إنها شكليات فلا تهتم بها وصلّ كما تريد فالمهم هو أن تصلّي.

نعم هذا صحيح إلى حد ما فالمهم هي الصلاة ولكن يجب أن تكون صلاة مطابقة لصلاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقد قال: "صلوا كما رأيتموني أصلّي"، فعلينا أن نجتهد في البحث عن صلاته صلّى الله عليه وآله وسلّم لأن الصلاة عمود الدين. (ث) عثمان الذي استحت منه ملائكة الرحمن

قال البلاذري في أنساب الأشراف: 5/54.

لما بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذة قال: رحمه الله. فقال عمار بن ياسر: نعم فرحمه الله من كلّ أنفسنا، فقال عثمان لعمار: يا عاضّ أير أبيه أتراني ندمت على تسييره، وأمر فدفع في قفاه وقال: إلحق بمكانه.

فلما تهيأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يكلّم عثمان فيه، فقال له علي: يا عثمان إتق الله فإنك سيرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك، ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره؟

وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان لعلي: أنت أحقّ بالنفي منه فقال علي: رُم ذلك إن شئت.

واجتمع المهاجرون إلى عثمان فقالوا: إن كنت كلّما كلّمك رجل سيرته ونفيته فإن هذا شيء لا يسوغ. فكفّ عن عمار.

وفي رواية اليعقوبي من تاريخ: 2/147 أن عمار بن ياسر صلّى على المقداد ودفنه ولم يؤذن بذلك عثمان بوصية من المقداد، فاشتد غضب عثمان على عمار وقال: ويلي على ابن السوداء أما لقد كنت به عليماً.

أفيمكن للحييّ الذي تستحي منه الملائكة أن يتفحّش في الأقوال، ولخيرة المؤمنين؟

ولم يكتف عثمان بشتم عمار وقوله له فحشاً من القول: كقوله يا

عاضّ أير أبيه: حتى أمر غلمانه فمسكوا عماراً ومدوا بيديه ورجليه ثم ضربه عثمان برجليه وهي في الخفين على مذاكيره فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً فغشي عليه، وهذه قصّة معروفة عند المؤرخين(1) عندما كتب جمع من الصحابة كتاباً وأمروا عمار أن يوصله له.

وكذلك فعل عثمان مع عبدالله بن مسعود إذا مر به أحد جلاوزته وهو عبدالله بن زمعة فاحتمله ابن زمعة حتى جاء به باب المسجد وضرب به الأرض فكسّر ضلعاً من أضلاعه(2) ، لا لشيء إلا أن عبدالله بن مسعود استنكر على عثمان أن يعطي بني أمية الفسقة أموال المسلمين بغير حساب.

وقامت الثورة على عثمان وكان ما كان حتى ذبح ومنعوا دفنه ثلاثة أيام وجاء من بني أمية أربعة ليصلّوا عليه فمنعهم بعض الصحابة من الصلاة عليه فقال أحدهم: ادفنوه فقد صلّى الله عليه وملائكته، فقالوا لا والله لا يدفن في مقابر المسلمين أبداً. فدفنوه في حش كوكب، كانت اليهود تدفن فيه موتاهم. فلما ملكت بنو أمية ادخلوا ذلك الحش في البقيع.

هذه نبذة يسيرة من تاريخ الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وهي وإن كانت يسيرة لأننا رمنا الاختصار وإعطاء بعض الأمثلة فقط، ولكنها كافية لكشف الستار عن تلكم الفضائل المزعومة والمناقب المخترعة التي لا يعرفها الخلفاء الثلاثة ولا حلموا بها يوماً في حياتهم.

والسؤال الذي يطرح هو: ما يقول أهل السنة والجماعة في هذه الحقائق؟

والجواب عند أهل الذكر هو: إن كنتم تعرفونها ولا تنكرونها لان

———————————

(1) البلاذري في أنساب الأشراف: 5/49. والاستيعاب: 2/422. وابن قتيبة في الإمامة والسياسة: 1/29. وابن أبي الحديد في شرح النهج: 1/239. العقد الفريد: لابن عبد ربه: 2/272.

(2) البلاذري في أنساب الأشراف وكذلك الواقدي. تاريخ اليعقوبي: 2/147. وشرح النهج لابن أبي الحديد: 1/237.

صحاحكم أثبتتها على حقيقتها رغم التعتيم فقد أسقطتم بذلك أسطورة الخلافة الراشدة.

وإن كنتم تنكرونها ولا تثقون في صحّتها فقد أسقطتم صحاحكم وكتبكم المعتبرة التي أخرجتها وبذلك أسقطتم كل معتقداتكم.

الفصل السادس

فيما يتعلّق بالخلافة

الخلافة، وما أدراك ما الخلافة! فهي التي جعلها الله فتنة الأمة وهي التي قسمتها وأطمعت فيها الطّامعين، وهي التي أهرقت في سبيلها الدّماء البريئة وهي التي كفر من أجلها مسلمون فأغرتهم وأبعدتهم عن الصراط المستقيم وأدخلتهم نار الجحيم ولا بدّ لنا من دراسة تكون على اختصارها محيطة بالخفايا والملابسات التي كانت الخلافة مسرحاً لها قبيل وبعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وأوّل ما يتبادر للأذهان أنّ الزعامة عند العرب كانت من الأمور الضرورية في كلّ العصور فتراهم يقدّمون رئيس القبيلة أو زعيم العشيرة على أنفسهم فلا يبرمون أمراً دونه ولا يتخذون قراراً إلاّ بمشورته ولا يسبقونه بالقول.

فزعيم العشيرة هذا عادة ما يكون أكبرهم سنّاً وأعلمهم بالأمور وأشرفهم حسباً ونسباً.

ويبدوا أنّ هذا الرئيس يبرز من خلال الأحداث في عشيرته وما يظهر عليه من ذكاء وفطنة وشجاعة وعلم بالأمور وسخاء وإكرام الضيف وغير ذلك من الخصال الحميدة، ولكن في أغلب الأحيان هي وراثة وليست اختيار.

ونجد بعد ذلك أن القبائل والعشائر رغم استقلاليتها فهي تخضع

لزعامة القبيلة الواحدة التي قد تكون أكثر عدداً ومالاً ولها أبطال يخوضون المعارك ويحملون بقية القبائل تحت رعايتها ومثال ذلك قريش التي كانت تتزعم بقية القبائل العربية الخاضعة لها بحكم الزّعامة والسيّادة التي فرضتها رعايتها لبيت الله الحرام.

ولمّا جاء الإسلام أقرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى حدّ ما هذا الأسلوب في التعامل فكان يولّي على القبائل التي وفدت عليه وأقرّت بالإسلام سيّدهم وشريفهم ليكون والياً عليها فيصلّي بهم ويجمع زكاتهم ويكون همزة الوصل بينهم وبينه.

ثم إن محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم أنشأ بأمر الله سبحانه الدولة الإسلامية التي تخضع في كل أحكامها وقراراتها إلى ما ينزل به الوحي من الله، فكان نظام المجتمع ونظام الفرد من عقود نكاح وطلاق وبيع وشراء وأخذ وعطاء وإرث وزكاة وكل ما يخص الفرد والمجتمع في الحرب والسلم من معاملات وعبادات كلها خاضعة إلى أحكام الله، ومهمّة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم هي التنفيذ والسّهر على تطبيق تلك الأحكام.

ومن الطبيعي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يفكّر فيمن سيخلفه في هذه المهمّة العظمى ألا وهي قيادة الأمّة.

ومن الطبيعي أنّ يهتمّ كلّ رئيس دولة (إن كان يهمّه شعبه) بالشخص الذي يختاره ليكون نائبه في كل المهمّات التي يكون هو غائبٌ عنها فيكون وزيره الأول والمقرّب الذي يحضر إذا يغيبون ومن الطبيعي أيضاً أن يكون نائبه معلوماً لدى كل الوزراء وعند الشعب أيضاً.

فلا يمكن أن يصدّق العقل بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أغفل كل ذلك ولم يهتمّ به ولا شك بأنّه كان شغله الشاغل، ولا شك بأن الأحاديث المتعلّقه بالموضوع خضعت للحصار الذي ضربه الخلفاء الذين كانوا يتزعّمون نظريّة الشورى والذين عملوا بكل جهودهم لمعارضة النّصوص التي عيّنت وشخّصت الخليفة وكان من هذه الجهود أيضاً الطعن

بقداسة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم واتهامه بالهجر، ثم الطعن فيه وفي الأمير الذي ولاّه قيادة الجيش بدعوى أنّه لا يصلح للإمارة والقيادة لصغر سنّة، ثم التّشكيك في وفاة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى تضطرب الأمور، ولا يسبق النّاس عامّة لبيعة الخليفة الذي عيّنه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من قبل، ومن تلك الجهود، اغتنامهم فرصة اشتغال علي وأنصاره بتجهيز النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وعقد مؤتمر السّقيفة الطارىء، واختيار من يرضونه وترتاح نفوسهم إليه وتعقد آمالهم عليه، ثمّ حمل النّاس عامّة على البيعة بالتّهديد والتّنديد والوعد والوعيد، ثم إقصاء المعارضة كلّياً عن السّاحة السياسيّة، ثم الوقوف بحزم وصرامة ضدّ كلّ من تحدّثه نفسه بشقّ عصا الطّاعة أو شكّك في شرعية الخلافة الجديدة، ولو كانت فاطمة بنت النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ثم ضرب الحصار والمنع البات على الأحاديث النّبوية الشريفة عامّة، حتّى لا تتفشّى النّصوص بين النّاس وتضطرب الأمور، ولو أدّى ذلك للاغتيال الفردي والقتال الجماعي لإخماد المعارضة بدعوى القضاء على الفتنة مرّة والردّة أخرى.

كل ذلك عرفناه من خلال ما كتبه المؤرّخون، وإن كان بعضهم يحاول تغطية الحقيقة بوضع بعض الروايات المتناقضة أو بعض التأويلات والاعتذارات التي كشفت خفاياها الأيام والأحداث والأبحاث.

وقد يكون بعضهم معذوراً، لأنه أخذ معلوماته من المصادر الأولى التي كتبت تحت التأثير السيّاسي والاجتماعي الذي خلّفته الفتنة الكبرى وما أعقبها من أحداث عندما استولى بنو أميّة على الخلافة وأغدقوا الأموال والمناصب على بعض الصّحابة والتابعين المأجورين.

فأخذ بعض المؤرّخين من هؤلاء لحسن ظنّه بهم، وهو لا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور، فاختلطت الرّوايات الصحيحة بالرّوايات المكذوبة، واصبح من العسير على الباحث الوصول إلى الحقيقة.

ولتقريب القارىء الباحث من هذه الحقيقة، لابدّ من إثارة وطرح هذه

الأسئلة حتّى يكتشف من خلالها أو من خلال الإجابة عليها بعض الحقائق أو بعض الإشارات التي توصله إلى الحقيقة.

أسئلة وأجوبة لا غنى عنها لكلّ باحثٍ

وردت عليّ رسائل عديدة من أقطار كثيرة تحمل في طيّها بعض التساؤلات المهمّة والتي تنبىء عن حرص القرّاء الكرام لمزيد البحث والتنقيب عن الحقائق، وقد أجبت على البعض منها وأعرضت عن البعض الآخر غير مستخف بها ولكن لأنّ الجواب عليها موجود في كتابي «ثم اهتديت» و«لأكون مع الصادقين»، وتعميماً للفائدة فأنا أنشرها في هذا الفصل مع الأجوبة ومع الملاحظة بأنّ القارىء سيجد بعض الأحاديث والأحداث مكرّرة في الكتاب الواحد أو في الكتب الثلاثة، فقد تعمدت ذلك اقتداءاً بكتاب الله العزيز الذي يكرر الحادثة في عدة سور لترسخ في ذهن المؤمن ولتكون في متناول الجميع.

س1: إذا كان الرسول يعلم ما سيؤول إليه أمر الأمة من النزاع والاختلاف بسبب الخلافة، فلماذا لم يعيّن خليفة له؟

* ج: لقد عيّن صلّى الله عليه وآله وسلّم خليفة له بعد حجة الوداع وهو علي بن أبي طالب وأشهد على ذلك صحابته الذين حجّوا معه، وكان يعلم بأنّ الأمة ستغدر به وتنقلب على أعقابها.

س2: كيف لم يسأل الرسول أحدّ من أصحابه عن هذا الأمر وقد كانوا يسألونه عن كل شيء؟

* ج: لقد سألوه وأجاب: قال تعالى: (يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر لّه لله) [آل عمران: 154]. وسألوه وقال: (إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا

الذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون) [المائدة: 56]. وسألوه فقال: «إن هذا أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي»(1) .

_____

(1) تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير في باب وانذر عشيرتك الأقربين.

س3: لماذا عارض بعض الصّحابة رسول الله حين أراد أن يكتب لهم كتاباً يعصمهم من الضلالة بعده، وقالوا بأنّه يهجر؟

* ج: لقد عارض بعض الصحابة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم حين أراد أن يكتب لهم ما يمنعهم من الضلالة واتهموه بالهجر. لما عرفوا بأنّه يريد تعيين علي بن أبي طالب كتابتاً، لأنّه سبقَ أن قال لهم في حجّة الوداع بأنّ المتمسّك بالكتاب والعترة لن يضلّ بعده أبداً، ففهموا بأنّ مضمون الكتاب سيكون بنفس الألفاظ، لأن علياً هو سيد العترة وإنّما اتهموه بالهجر ليعدل عن الكتابة نهائياً ولأنّ النزاع والخلاف قام حول الكتاب قبل كتابته، وإذا كان النبيّ يهجر (حسب اعتقادهم) فإنّ كتابه سيكون هذياناً فالحكمة تقتضي عدم الكتابة.

س4: لماذا لم يصرّ على كتابة الكتاب خصوصاً وأنّه يعصم الامّة الإسلامية من الضّلالة؟

* ج: لم يكن في وسع الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يصرّ على الكتابة، لان العصمة من الضلالة قد انتفت لموافقة الكثير من الصّحابة على أنّه يهجر، فأصبح الكتاب هو مصدر ضلالة بدلاً أن يكون عاصماً منها، ولو أصرّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم على كتابته لقامت عبده دعاوى باطلة قد تشكّك حتّى في كتاب الله ونصوص القرآن.

س5: لقد أوصى النّبي قبل موته بثلاث وصايا شفويّة فلماذا وصلت إلينا وصيّتان وضاعت الوصية الثالثة؟

* ج: الأمر واضح في أنّ الوصيّة الأولى هي التي ضاعت لأنها تخصّ استخلاف علي ـ ولان الخلافة التي قامت منعت الحديث عنها، وإلاّ كيف يصدّق عاقل أن يوصي النّبي فتنسى وصيّته كما ذكره البخاري.

س6: هل كان النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يعلم بموعد موته؟

* ج: لا شكّ بأنّه كان يعلم مسبّقاً بموعد وفاته في الوقت المعلوم وقد علم بذلك قبل خروجه لحجّة الوداع. ومن أجل ذلك سمّاها حجة

الوداع وبذلك علم أكثر الصّحابة دنوّ اجله.

س7: لماذا جهز النبي جيشاً عبّا فيه وجوه المهاجرين والأنصار من كبار الصّحابة وأمرهم بالمسير إلى مؤتة بفلسطين قبل وفاته بيومين؟

* ج: عندما علم النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بالمؤامرة التي دبّرتها قريش وأنهم تعاقدوا على نبذ العهد بعده وإبعاد علي عن الخلافة، عمد إلى تعبئة هؤلاء ليبعدهم عن المدينة وقت وفاته فلا يرجعون إلاّ وقد استتب الأمر لخليفته، فلا يقدرون بعدها على تنفيذ مخطّطهم وليس هناك تفسيراً مقبولاً غير هذا لسريّة أسامة، لأنّه ليس من الحكمة أن يخلي النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم عاصمة الخلافة من الجيش والقوّة قبل وفاته بيومين فقط.

س8: لماذا لم يعيّن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم علياً في جيش أسامة؟

* ج: لأنّه لا ينبغي لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يذهب إلا ويترك خليفة ليدبّر الأمور بعده، وبما أنّه لم يعبىء عليّاً ضمن ذلك الجيش الذي عبّأ فيه

وجوه المهاجرين والأنصار بما فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف. فدلّ هذا التصرّف الحكيم بأنّ عليّاً هو الخليفة بعد النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم مباشرة. ولأنّ الذين لم يعبوهم رسول الله في الجيش ليس فيهم من يطمع في الخلافة ولا من يبغض عليّاً ويريد الغدر به.

س9: لماذا أمر عليهم شاباً صغيراً لا نبات بعارضيه؟

* ج: لمّا كان الحاسدون والغادرون لعلي يتذرّعون بصغر سنّه وأنّ عظماء قريش الذين بلغوا السّتين لا ينقادون لعلي وعمره لم يجاوز الثلاثين إلاّ قليلاً ـ فأمّر عليهم النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أسامة وعمره سبعة عشر ـ لا نبات بعارضيه وهو من الموالي ليّاً لأعناقهم وإرغاماً لأنوفهم. كي يبيّن لهم أولاً ولكل المسلمين ثانياً بأنّ المؤمن الصادق في إيمانه يجب عليه أن يسمع ويطيع ولو وجد في نفسه حرجاً ممّا قضى الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ويسلّم تسليماً ـ وأين أسامة بن زيد بن حارثة من علي بن أبي طالب أمير المؤمنين

وسيد الوصيّين باب علم النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وأسد الله الغالب وهارون محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ولذلك تفطّنوا إلى تدبيره صلّى الله عليه وآله وسلّم في تأميره أسامة عليهم فطعنوا في إمارته ورفضوا الخروج معه والتخلّف عنه ولا ننسى أنّ فيهم الدّهاة الذين قال في حقّهم القرآن الكريم: (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) [إبراهيم: 46].

س10: لماذا اشتدّ غضب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم على المتخلّفين منهم حتّى لعنهم؟

* ج: لقد اشتدّ غضبه صلّى الله عليه وآله وسلّم عليهم لمّا علم أنّهم طعنوا في تأميره. فالطّعن موجّه إليه لا إلى أسامة وتحقق بذلك عنده عدم إيمانهم وإخلاصهم لله ولرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنّهم عازمون على تنفيذ مخطّطهم كلّفهم ذلك ما كلّفهم عند ذلك أطلق لعنته الأخيرة على المتخلّفين ليفهمهم وأتباعهم والمسلمين كافة بأنّ الأمر قد بلغ منتهاه ليهلك من هلك عن بيّنة.

س11: هل يجوز لعن المسلم خصوصاً من النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم؟

*ج: إذا كان الإسلام هو التلفّظ بالشهادتين بأن يقول الإنسان اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمّداً رسول الله ثم لا يمتثل إلى أوامرهما ولا يسمع ولا يطيع لله وللرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فيجوز لعنه. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة نذكر منها قوله تعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّناه للنّاس في الكتاب. أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاّعنون) [البقرة: 159].

وإذا كان الله يلعن من كتم الحقّ فما بالك بمن عاند الحق وعمل على إبطاله.

س12: هل عيّن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أبا بكر ليصلّي بالنّاس؟

* ج: من خلال الروايات المتناقضة نفهم أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يعيّن أبا بكر ليصلّي بالنّاس. اللّهم إلا إذا اعتقدنا ما قاله

عمر بن الخطاب في هجرانه. ومن اعتقد بذلك فقد كفر. وإلاّ كيف يصدّق عاقل بأنّه أمره ليصلّي بالنّاس في حين أنه عبّأه في جيش أسامة وجعل هذا الأخير أميراً عليه وإماماً له. وكيف يعيّنه لإمامة الصّلاة في المدينة وهي خالية منه. والتأريخ يشهد بأنّه لم يكن حاضراً في المدينة يوم وفاة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. والثابت كما ذكر بعض المؤرّخين الذين روى عنهم ابن أبي الحديد. بأنّ عليّاً عليه السّلام اتّهم عائشة بأنها هي التي أرسلت إلى أبيها ليصلّي بالناس ولمّا علم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بذلك غضب وقال لها: «إنكن صواحب يوسف» وخرج إلى المسجد فأزاح أبا بكر وصلّى بهم صلاة المضطرّين لئلا يترك لهم حجّة بعد ذلك.

س13: لماذا اقسم عمر بن الخطاب بأن رسول الله لم يمت، وتهدّد كلّ من يقوم بموته بالقتل، ولم يهدأ إلا بوصول أبي بكر؟

* ج: لقد هدّد عمر بالقتل كلّ من حاول أن يقول بموت النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ليشكّكهم ويتركهم في حيص بيص حتى لا تتمّ بيعة لعلي، وحتى يصل إلى المدينة أبطال المعارضة الذين عاقدوا على الأخذ بزمام الأمور والذين لم يصلُوا بعد فوجد نفسه قد سبقهم فلعب دور المصاب بالذّهول وسلّ سيفه فخوف النّاس، ولا شكّ بأنّه منع النّاس الدخول إلى الحجرة النبوية ليتثبّتوا الأمر، وإلا لماذا لم يجرؤا أحدٌ على الدخول إلاّ أبو بكر عندما وصل دخل وكشف عن وجهه وخرج ليقول لهم «من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت».

ولا بد لنا هنا من تعليقة صغيرة على هذا القول. فهل كان أبو بكر يعتقد بأنّ في المسلمين من يعبد محمّداً؟ كلاّ وإنما هو تعبير مجازي على شتم وانتقاص بني هاشم عامّة وعلي بن أبي طالب خاصّة الذين كانوا يفخرون على سائر العرب بأن محمّداً رسول الله منهم وهم أهله وعشيرته وأحقّ الناس به.

وهو أيضاً تعبير عمّا أفصح به عمر بن الخطاب يوم رزية الخميس

عندما قال: «حسبنا كتاب الله يكفينا» ولسان حاله يقول: لا حاجة لنا بمحمّد فقد انتهى أمره وولّى عهده، وهذا بالضّبط ما أكّده أبو بكر بقوله: من كان يعبدُ محمّداً فإنّه قد مات، ويعني بذلك يا من تفتخروا علينا بمحمّد تأخّروا اليوم فإنّه انتهى أمره وحسبنا كتاب الله فإنه حي لا يموت. ومن الملاحظة أنّ علياً وبني هاشم كانوا يعرفون أكثر من غيرهم حقيقة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وكانوا يبالغون في احترامه وتقديسه وتنفيذ أوامره، وأتّبعهم على ذلك الموالي من الصّحابة والذي كانوا غرباء عن قريش وكانوا إذا بصق رسول الله بصقة تسارعوا إليها ليمسحوا بها وجوههم ويتخاصمون على فضل وضوئه أو على شعره، ولك هؤلاء المساكين والمستضعفين كانوا شيعة لعلي من زمن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو الذي سمّاهم بهذا الاسم(1) .

أما عمر بن الخطاب وبعض الصّحابة من سراة قريش فكانوا كثيراً ما يعارضوا أحكام النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ويناقشوه ويعصوه، بل وينزّهون أنفسهم عن أفعاله(2) . وقد قطع عمر بن الخطّاب شجرة بيعة الرضوان لأنّ بعض الصّحابة كانوا يتبرّكون بها ـ كما فعل الوهابيون في هذا القرن فإنّهم محوا آثار النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من الوجود، وحتّى البيت الذي ولد فيه لم يتركوه، وهم يحاولون الآن بكل جهودهم وأموالهم أن يمنعوا المسلمين من الاحتفال بذكرى مولده الشريف، ومن التبرّك به وبالصّلاة عليه حتّى أفشوا لدى المغفّلين بأنّ الصّلاة الكاملة هي شركٌ.

س14: لماذا اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة سرّاً؟

* ج: لمّا علم الأنصار بالمؤامرة التي دبّرتها قريش لإبعاد علي عن الخلافة، اجتمعوا عند وفاة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وأرادوا إبرام الأمر فيما بينهم على ان يكون الخليفة منهم، فإذا كان زعماء قريش وهم المهاجرون من قرابة

---

(1) الدر المنثور في التفسير المأثور لجلال الدّين السيوطي في سورة البيّنة.

(2) صحيح البخاري: 3/114 كتاب المظالم باب الاشتراك في الهدي.

الرّسول وعشيرته يريدون نقض البيعة لعلي، فالأنصار أولى بالخلافة من غيرهم لاعتقادهم بأنّ الإسلام قام بحدّ سيوفهم وأنّ المهاجرين عيالٌ عليهم ولولا أنّهم فتحوا بلادهم ومنازلهم وكل ما يملكون لما كان للمهاجرين ذكر ولا فضل، ولولا وجود الخلاف بين الأوس والخزرج الذين كانوا يتنافسون على الزّعامة وكلّ منهما يريدها لقبيلته، لما وجد أبو بكر وعمر فرصة لأخذ الخلافة منهم ولاضطرّا لمتابعتهم.

س15: لماذا أسرع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة إلى السقيفة وفاجؤوا الأنصار؟

*ج: لمّا كان للمهاجرين ـ أعني زعماء قريش ـ أعين تراقب تحرّكات الأنصار وما يدور من تدبيرهم، فقد أسرع أحدهم وهو سالم مولى أبي حذيفة وأعلم أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بالاجتماع السرّي فأسرعوا إلى السّقيفة ليفسدوا على الأنصار تخطيطهم وما أبرموه وليفاجئوهم بأنّهم على علم بكلّ ما يحدث في غيابهم.

س16: لماذا كان عمر بن الخطّاب طوال الطريق يهيىء مقالة لإقناع الأنصار؟

* ج: لا شكّ بأنّ عمر بن الخطاب كان يخشى ردّة فعل الأنصار، كما يخشى أن لا يوافق الأنصار على إبعاد علي بن أبي طالب، فيسبب ذلك هدم كلّ ما خطّطوه ودبّروه وتذهب جهودهم أدراج الرّياح بعدما تجرّؤوا على النّبي نفسه وأفسدوا كلّ تدبيره من أجل الخلافة ولذلك كان عمر بن الخطاب في طريقه للسّقيفة يزوّر ماذا سيقوله لهم حتى يكسب تأييدهم وموافقتهم على المخطّط.

ص17: لماذا انتصر المهاجرون على الأنصار وسلّموا الأمر لأبي بكر؟

* ج: هناك عدة عوامل لعبت دورها في هزيمة الأنصار وفوز المهاجرين فقد كان الأنصار قبيلتين متنافستين على الزّعامة منذ عهد الجاهلية وسكنت فورتهم بوجود الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بينهم، أمّا والرسول صلّى الله عله وآله وسلّم قد

مات وقومه يريدون اغتصاب الخلافة من صاحبها الشرعي، فثار الأوس يرشحّون لها زعيمهم سعد بن عبادة، ولكن بشير بن سعد وهو زعيم الخزرج حسد ابن عمّه وأيقن أنّه لا يصل إلى الخلافة وسعد بن عبادة موجود، فنقض أمر الأنصار وأنضمّ إلى صف المهاجرين ومثّل دور النّاصح الأمين.

كما أن أبا بكر أثار فيهم النّعرة الجاهلية وضرب على الوتر الحسّاس بقوله: لو سلّمنا هذا الأمر للأوس فلن ترض الخزرج، وإذا سلمناه للخزرج فلن ترض الأوس ـ ثم إنّه أطمعهم بان يقاسمهم الحكومة بقوله: نحن الأمراء وأنتم والوزراء ولا نستبد عليكم بالرأي أبداً.

ثم أنّه بذكاء لعب دور النّاصح الأمين للأمّة إذ أخرج نفسه وأظهر زهده في الخلافة وأنّه لا يرغب فيها بقوله: اختاروا من شئتم من هذين الرجلين يعني عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة عامر بن الجرّاح.

وكانت الخطّة محكمة والمسرحية ناجحة، فقال عمر وأبو عبيدة: لا ينبغي لنا أن نتقدّم عليك وأنت أوّلنا إسلاماً وأنت صاحبه في الغار فابسط يدك نبايعك، فبسط أبو بكر يده لهذه الكلمات، فسبق إلى بيعته بشير بن سعد سيد الخزرج وتتابع الباقون إلا سعد بن عبادة.

س18: لماذا امتنع سعد بن عبادة عن البيعة وهدّده عمر بالقتل؟

* ج: عندما بايع الأنصار وتسابقوا إلى أبي بكر لينالوا بذلك الجاه والقُربى من الخليفة، امتنع سعد بن عبادة عن البيعة وحاول جهده منع قومه عنها ولكنّه عجز عن ذلك لشدّة مرضه إذ كان طريح الفراش ولا يسمع صوته، عند ذلك قال عمر: اقتلوه إنّه صاحب فتنة ليقلع بذلك دابر الخلاف ولئلاّ يتخلّف عن البيعة أحد، لأنّه سيشق عصا المسلمين ويتسبّب في انقسام الأمّة وخلق الفتنة.

س19: لماذا هدّدوا بيت فاطمة الزهراء بالحرق؟

ج: لقد تخلّف عدد كبير من الصّحابة الذين لم يبايعوا أبا بكر في

بيت علي بن أبي طالب، ولو لم يسارع عمر بن الخطاب وطوّق الدّار بالحطب وهدّدهم بالحرق، لاستفحل الأمر وانشقّت الأمّة إلى حزبين علوي وبكري، ولكنّ عمر ومن أجل فرض الأمر الواقع ذهب شوطاً بعيداً عندما قال: لتخرجنّ للبيعة أو لأحرّقن الدّار بمن فيها، ويقصد عليّاً وفاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وبهذا القول لا يبقى في النّاس أحد تسوّل له نفسه شقّ عصا الطاعة وعدم الدخول في البيعة، فأي حرمة له أكبر من حرمة سيدة نساء العالمين وزوجها سيّد الوصيّين؟

س20: لماذا سكت أبو سفيان بعدما هدّدهم وتوعّدهم؟

* ج: لمّا رجع أبو سفيان للمدينة بعد وفاة النّبي صلّى الله عليه آله وسلّم وكان أرسله لجمع الصّدقات، فوجىء بخلافة أبي بكر وأسرع إلى دار علي بن أبي طالب وحرّضه على الثورة وعلى حرب الجماعة واعداً إيّاه بالمال والرّجال، ولكنّ علياً طرده لعلمه بنواياه ولمّا علم أبو بكر وعمر بذلك ذهبا إليه واستمالاه ووعداه بإعطائه كل ما جمعه من الصدقات وبإشراكه في الأمر بتعيين ابنه والياً على الشام ـ فرضي أبو سفيان بذلك وسكت عنهم. فعيّنوا يزيد بن أبي سفيان والياً على الشام ولمّا مات عيّنوا أخاه معاوية بن أبي سفيان مكانه ومكّنوه من الوصول إلى الخلافة.

س21: هل رضي الإمام علي بالأمر الواقع وبايع الجماعة؟

ج: لا أبداً لم يرض الإمام علي بالأمر الواقع ولم يسكت، بل احتجّ عليهم بكل شيء ولم يقبل أن يبايعهم رغم التهديد والوعيد، وذكر ابن قتيبة في تاريخه بأنّ عليّاً قال لهم: والله لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، وحمل زوجته فاطمة الزهراء يطوف بها على مجالس الأنصار فكانوا يعتذرون بأنّ أبا بكر سبق إليهم ـ وقد ذكر البخاري بأنه لم يبايع مدة حياة فاطمة، فلما توفّيت واستنكر وجوه النّاس اضطرّ لمصالحة أبي بكر، وقد

عاشت فاطمة ستّة أشهر بعد أبيها، فهل ماتت فاطمة وليس في عنقها بيعة وأبوها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: من مات وليست في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة. وهل كان علي يعلم بأنّه سيعيش إلى ما بعد أبي بكر فيتأخر عن بيعته تلك الشهور الستّة؟ فعليٌّ لم يسكت وبقي طيلة حياته كلّما وجد فرصة إلا وأثار مظلمته واغتصاب حقّه ويكفي دليلاً على ذلك ما قاله في خطبته المعروفة بالشقشقيّة.

س22: لماذا أثاروا فاطمة وأغضبوها بينما هم في حاجة إلى المصالحة؟

* ج: لقد تعمّدوا إثارة فاطمة بانتزاع أرضها وممتلكاتها ومنعها ميراث أبيها وتكذيبها في كلّ دعواها حتّى يسقطوا بذلك هيبتها وعظمتها من نفوس النّاس وحتّى لا يصدّقوها، إذا ما أثارت نصوص الخلافة، ولذلك اعتذر الأنصار إليها بأنّ بيعتهم سبقت لأبي بكر ولو سبق إليهم زوجها لما تخلّفوا عنه.

ولذلك اشتدّ غضبها على أبي بكر وعمر حتّى صارت تدعو عليهما في كلّ صلاة تصلّيها، وأوصت زوجها بأن لا يحضر جنازتها أحدٌ منهما وأن يجنّبها تلك الوجوه التي تكرهها.

وقد تعمّدوا إيذاءها ليشعروا عليّاً بأنه أهون عليهم من ابنة النّبي التي هي سيدة نساء العالمين والتي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها، فما عليه إلا السّكوت الرّضا.

س23: لماذا تخلّف عن سريّة أسامة عظماء القوم؟

* ج: لمّا استتبّ الأمر لأبي بكر وأصبح خليفة المسلمين بجهود عمر رغم أنوف المعارضين، طلب من أسامة أن يترك له عمر بن الخطّاب ليستعين به على أمر الخلافة، لأنّه لا يقدر على إتمام المخطّط بمفرده ولا بدّ له من العناصر الفعّالة الذين لهم من القوّة والجرأة ما عارضوا بها رسول

الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يبالوا بغضب الله ولا بلعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لمن تخلّف عن بعث أسامة ممّن عبأهم بنفسه. ولا شك بأنّ المخطّطين لهذا الأمر تخلّفوا عن السّرية ليبرموا أمرهم ويتعاونوا على تركيز قواعدهم.

س24: لماذا أبعد الإمام علي عن كلّ مسؤولية ولم يشركوه في شيء؟

* ج: بالرّغم من أنّهم قرّبوا عدداً كبيراً من الطلقاء وأعطوهم المناصب في حكومتهم وأشركوهم في أمرهم. وعيّنوا منهم أمراء وولاة في كل الجزيرة العربية وفي كلّ الأقطار الإسلاميّة ومن هؤلاء الوليد بن عقبة ومروان بن الحكم ومعاوية ويزيد ابنا أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأبو هريرة وكثيرون من الذين كانوا يجرّعون رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الغصص إلا أنهم أبعدوا علي بن أبي طالب فنبذوه وتركوه حبيس داره ولم يشركوه في شيء من أمرهم طيلة ربع قرن ليذلّوه ويحقّروه ويبعدوا النّاس عنه لأنّ الناس عبيد الدنيا يميلون مع صاحب السّلطة والجاه والمال وما دام علي لا يجد قوت يومه إلاّ بكسب يمينه وعرق جبينه فسيتفرق النّاس عنه ولا يميلون إليه.

وفعلاً فقد بقي عليّ سلام الله عليه على تلك الحالة مدّة خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان رهين البيت يعمل الجميع على تحقيره وإطفاء نوره وإخفاء فضائله ومناقبه. ولي له من حطام الدّنيا وما يرغّب النّاس فيه.

س25: لماذا حاربوا مانعي الزّكاة رغم تحريم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لذلك؟

* ج: لأن الصّحابة الذين حضروا بيعة الإمام علي في غدير خم وهم راجعون من حجّة الوداع بصحبة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم امتنعوا عن أداء الزّكاة لأبي بكر. لأنّهم لم يحضروا وفاة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا الأحداث التي أعقبتها في شأن تبديل الخلافة من علي لأبي بكر. لأنهم لا يسكنون المدينة. ولا شك بأنّ بعض الأخبار وصلت إليهم بأنّ فاطمة

تخاصمت معهم وغضبت عليهم وبأنّ عليّاً امتنع عن بيعتهم ـ لكل ذلك رفضوا إعطاء الزكاة لأبي بكر حتّى يتبيّنوا الأمر.

ومن هنا قرّر أبو بكر وعمر وجهاز الحكم أن يبعثوا إليهم جيشاً بقيادة خالد بن الوليد الذي كان سيفهم المسلول. فأخمد ثورتهم وأسكت حسّهم وقتل رجالهم وسبى نساءهم وذراريهم. ليكونوا عبرةً لمن تحدّثه نفسه بعدم الطاعة أو بمسّ هيبة الدّولة.

س26: لماذا منعوا تدوين ونقل الأحاديث النّبوية؟

* ج: عملوا من الأيام الأولى على منع الأحاديث النّبويّة جملة وتفصيلاً. ليس فقط لأنها تتضمّن نصوص الخلافة وفضائل الإمام علي بل لأن الكثير منها يتعارض مع أقوالهم وأفعالهم الّتي يديرون بها شؤون الحياة ويركّزون على أسُسها معالم الدوّلة الجديدة التي ابتدعوها وفق اجتهاداتهم.

س27: هل كان أبو بكر قادراً على تحمّل أعباء الخلافة؟

* ج: لم يكن أبو بكر قادراً على تحمّل أعباء الخلافة لولا عمر بن الخطاب وبعض الدّهاة من رؤوس بني أميّة ـ ولقد سجّل التاريخ بأنّ أبي بكر كان دائماً يخضع إلى أحكام وآراء عمر بن الخطاب الحاكم الفعلي ودليل ذلك قصة المؤلّفة قلوبهم الذين جاؤوا لأبي بكر في بداية خلافته وكتب لهم كتاباً وبعثهم إلى عمر الذي كان بيده أمر بيت المال فمزّق عمر الكتاب وطردهم. فرجعوا إلى أبي بكر يسألونه: أأنت الخليفة أم هو؟ فأجابهم: هو إن شاء الله!

وكذلك عندما أقطع أبو بكر قطعة أرض إلى عيينة بن حصن والأقرع بن حابس. فرفض عمر عندما قرأ كتاب أبي بكر وتفل فيه ومحاه. فرجعا إلى أبي بكر يتذمّران ممّا فعله عمر وقالا لأبي بكر: والله ما ندري أأنت الخليفة أم عمر؟ فقال: بل عمر هو الخليفة. ولمّا أقبل عمر مغضباً وناقش أبا بكر على إعطائه الأرض

بكلام غليظ. قال له أبو بكر: ألم أقل لك إنّك أقوى

منّي على هذا الأمر لكنّك غلبتني(1) .

وقد أخرج البخاري في صحيحه بأنّ عمر كان يحثّ النّاس على بيعة أبي بكر فيقول لهم: إنّ أبا بكر صاحب رسول الله ثاني اثنين وإنه أولى المسلمين بأموركم فقوموا فبايعوه قال أنس بن مالك: سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ: أصعد المنبر. فلم يزل به حتّى صعد المنبر فبايعه النّاس عامّة.

س28: لماذا عقد أبو بكر الخلافة وعهد بها إلى عمر قبل وفاته؟

* ج: بما أنّ عمر بن الخطاب هو الذي لعب الدور البطولي في إقصاء علي عن الخلافة بمعارضته العنيفة للنّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّلاً وبحمل الأنصار على بيعة أبي بكر وفرضها على النّاس بكل حزم وشدّة حتّى وصل به الأمر إلى تهديد بيت فاطمة بالحرق.

وبما أنه كان هو الخليفة الفعلي كما قدّمنا فكانت له الكلمة الأولى والأخيرة ولا شكّ بأنّه كان من دُهاة العرب فعلم بأنّ المسلمين وخصوصاً الأنصار لا يوافقون على بيعته لطبعه الفظ الغليظ وسرعة غضبه. فعمل على تقديم أبي بكر لهم لأنّ في طبعه ليناً ورقة وهو أسبقهم للإسلام وابنته عائشة هي المرأة الجريئة القادرة على ركوب الصّعاب وتغيير الأمور. وهو يعلّم علم اليقين بانّ أبا بكر طوع يديه ورهن إشارته في كل ما يصبوا إليه.

ولم يكن عهد أبي بكر بالخلافة لعمر يخفى على كثير من الصّحابة من قبل كتابته. فقد قال له الإمام علي منذ اليوم الأول: أحلب حلباً لك شطره. واشدد له اليوم ليردّه عليك غداً. كما قال آخر لعمر عندما خرج بالكتاب الذي عهد فيه أبو بكر قال له: أنا أعرف ما فيه إنّك أمّرته عام أول وأمّرك هذا العام.

_____

(1) العسقلاني في كتابه الإصابة في معرفة الصّحابة «ترجمة عيينة» وابن أبي الحديد في شرح النهج: 12/108.

فعهد أبي بكر لعمر بالخلافة أمرٌ معلوم لدى عامّة النّاس. وإذا كان في حياته يعترف له أمام الجميع بأنّه أقوى منه على هذا الأمر فلا غرابة أن يسلّم له مقاليد الخلافة عند الموت.

وبهذا يتبين لنا مرّة أخرى بأنّ ما يقوله أهل السنّة بأنّ الخلافة لا تكون إلا بالشورى أمرٌ ليس له وجود. ولي له في خيال أبي بكر وعمر أي اعتبار. وإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم توفّي وترك الأمر شورى بين النّاس كما يزعمون. فإنّ أبا بكر هو أوّل من هدّم هذا المبدأ. وخالف سنّة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بعهده لعمر بن الخطاب من بعده.

وأهل السنّة دائماً تراهم يتبجّحون بكل فخر واعتزاز على أنهم يؤمنون بالشّورى ولا تصلح الخلافة إلا بها. ويسخرون من قول الشيعة الذين يعتقدون بأنها لا تكون إلا بالنّص من الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم. وتسمع أغلبهم ينتقد هذا الاعتقاد على انّه دخيل على الإسلام من قبل الفرس الذين يقولون بوراثة السّلطة الإلهية.

وكثيراً ما يستدلّ أهل السنّة بآية (وأمرهم شورى بينهم) على أنّها نازلة بخصوص الخلافة ـ وعلى هذا فيحقّ لنا بان نقول: إنّ أبا بكر وعمر خالفا الكتاب والسنّة معاً ولم يقيما لهما وزناً في شأن الخلافة.

س29: لماذا اشترط عبد الرحمن بن عوف على علي بن أبي طالب أن يحكم بسنّة الخليفتين؟

* ج: من هوان الدنيا على الله أن يصبح عبد الرحمن بن عوف هو الذين يتحكّم بمصير الأمّة بعد عمر فيختار لهم من يشاء ويقصي من يشاء كل ذلك من تدبير عمر الذي رجّح كفّته على بقيّة الصّحابة. وعبد الرحمن بن عوف هو الآخر من دهاة العرب. ولا شكّ بأنّه من أعضاء الحزب المخطط للخلافة وصرفها عن صاحبها الشرعي وإذا كان البخاري

يعترف بأن عبد الرحمن بن عوف كان يخشى من عليّ شيئاً(1) . فمن الطبيعي أن يعمل هو الآخر على إبعاده عنها ما استطاع لذلك سبيلاً. وعبد الرحمن بن عوف يعرف كغيره من الصّحابة بانّ عليّاً لم يكن يوافق على اجتهادات أبي بكر وعمر وما غيّراه من أحكام الكتاب والسنّة. وكان يحاول جهده معارضتهما والإنكار عليهما.

لذلك اشترط عبد الرحمن على علي أن يحكم بسنّة أبي بكر وعمر وهو يعلم مسبقاً أكثر من غيره بأنّ علياً لا يداهن ولا يكذب ولا يقبل بذلك الشرط أبداً. كما كان يعلم بأنّ صهره عثمان هو الذي ترتاح إليه قريش وكل أعضاء المخطّط.

س30: حديث الأئمة الأثني عشر. هل له وجود عن أهل السنة؟

* ج: أخرج البخاري ومسلم وكل المحدّثين من أهل السنّة حديث النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم السّاعة أو يكون عليكم أثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»(2) وبقي هذا الحديث من الألغاز العويصة التي لا جواب لها عند أهل السنة والجماعة ولم يجرؤ أحد من علمائهم أن يعدّ بعد الخلفاء الراشدين الأربعة سوى عمر بن عبد العزيز وهؤلاء خمسة ويبقي من العدد سبعة لا وجود لهم.

فإما أن يقولوا بإمامة علي وبنيه الذين تقول بهم الإمامية ويصبحوا شيعة لأهل البيت النّبوي ـ وإما أن يكذّبوا الحديث وتصبح صحاحهم مجرّدة من الحق وليس فيها إلا الأكاذيب.

أضف إلى ذلك بأنّ هذا الحديث الذي يخصّص الخلافة في قريش وحدها يتنافى مع مبدأ الشورى الذي يقولون به. لأن الاختيار والديمقراطية تشمل كل أفراد الأمة ولا تختص بقبيلة معيّنة دون سائر القبائل الأخرى. بل

_____

(1) صحيح البخاري: 8/123 باب كيف يبايع الناس الإمام من كتاب الأحكام.

(2) صحيح البخاري: 8/127. صحيح مسلم: 6/3.

يتعدى القبائل العربية إلى غيرها من القبائل الإسلامية الغير عربية.

هذه أجوبة سريعة ومختصرة لنوضّح للقارىء بعض المسائل التي قد تخامر ذهنه. على أنّه قد يجد إجابة مفصّلة في كتاب التاريخ وكذلك في كتابي «ثم اهتديت» و«لأكون مع الصادقين».

فعلى الباحث أن يرجع إلى المصادر الموثوقة. وان يتجرّد للحقيقة فيمحّص الروايات والأحداث التاريخية ليكتشف من خلالها الحقائق المكسوّة بثياب الباطل فيجرّدها وينظر إليها في ثوبها الأصلي.

الفصل السّابع

فيما يتعلّق بالحديث الشريف

سأبيّن للقارىء بأنَ مشكلة الأحاديث هي من أكبر المشاكل التي يعيشها المسلمون اليوم وبالخصوص في الزّمن الحاضر إذ تخرّج من جامعات الوهّابية دكاترة متخصّصون في فنون الأحاديث فتراهم يحفظون من الأحاديث ما يتماشى مع مذهبهم وعقيدتهم وأغلب هذه الأحاديث هي من وضع الأمويين أسلافهم الذين كان همّهم أيضاً إطفاء نور الرّسالة وتصوير النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بذلك المخرّف المهرّج الذي لا يدري ما يقول ولا يتنبّه إلى أحاديثه وأفعاله المتناقضة التي تُضحك المجانين.

ورغم ما قام به المحقّقون والعلماء من أهل السنة لتنقية الأحاديث وغربلتها فما زال هناك للأسف الشديد داخل الكتب الصّحيحة والمعتبرة الشيء الكثير. وكذلك لم تسلم كتب الشّيعة من هذا الدسّ والوضع. ولكن هؤلاء يعترفون بأنّ ليس عندهم كتاباً صحيحاً إلا كتاب الله وما سواه فيه الغث والسّمين أمّا أهل السنّة فإنهم متّفقون بأنّ الصّحيحين البخاري ومسلم أصحّ الكتب بعد كتاب الله بل يقولون بأنّ كل ما جاء فيهما هو صحيح ومن أجل ذلك فسأحاول أن أضع بين يدي القارىء بعض النماذج من الأحاديث التي أخرجها البخاري ومسلم والتي فيها ما فيها من الحطّ من قداسة الرّسول العظيم صلّى الله عليه وآله وسلّم أو من أهل بيته عليهم السلام.

وسأحاول هنا طرح بعض الأحاديث التي وضعت لتبرير أعمال الحكام الأمويين والعباسيين. وهم في الحقيقة يريدون النيل من خلالها بعصمة النبي صلّى الله عليه وسلّم لتبرير جرائمهم وقتلهم الأبرياء إليك ما يلي:

النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يختل

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان وفي كتاب الديّات باب من اطّلع في بيت قومٍ ففقؤوا عينه فلا ديّة له.

وكذلك مسلم في صحيحه في كتاب الآداب باب تحريم النظر في بيت غيره. عن أنس بن مالك، أنّ رجلاً اطّلع من بعض حجر النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقام إليه النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، بمشقصٍ أو بمشاقص، فكأني أنظر إليه يختل الرّجل ليطعنه.

إن الخلق العظيم يأبى هذا التصرف من نبي الرّحمة الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم. والمفروض أن يقوم النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لهذا الرّجل الذي اطّلع علي حجرة النّبي ويعلّمه الآداب الإسلامية ويفهمه بأن ما فعله حرامٌ، لا أن يأخذ مشقصاً ويختله ليطعنه ويفقأ عينه. على أنّ الرجل قد يكون على حسن نيّة لأن الحجرة لم تكن حجرة أزواجه والدّليل أنّ أنس بن مالك كان موجوداً فيها. فأي تهمة هذه توجّه إلى رسول الله وتصوّره بالفظ الغليظ الذي يختل أي يستغفل الرّجل ليفقأ عينه.

وناهيك أنّ شارح البخاري استفظعها وقال ما نصه: «يختله أي يستغفله ويأتيه من حيث لا يراه. كذا فسروه ـ والاستغفال مستبعد منه صلّى الله عليه وسلّم».

النّبي يعاقب عقاباً شنيعاً ويمثل بالمسلمين

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الطبّ من جزئه السابع ص13 في باب الدّواء بألبان الإبل وفي باب الدّواء بأبوال الإبل. قال: حدثنا ثابت

عن أنس أنّ ناساً كان بهم سقم قالوا: يا رسول الله آونا وأطعمنا فأمرهم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يلحقوا براعيه يعني الإبل فيشربوا من ألبانها

وأبوالها فلحقوا براعيه فشربوا من ألبانها وأبوالها حتى صلحت أبدانهم فقتلوا الرّاعي وساقوا الإبل فبلغ ذلك النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فبعث في طلبهم فجيء بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم فرأيت الرّجل منهم يكدم الأرض بلسانه حتى يموت».

هل يصدّق مسلم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي ينهى عن المثلة يقوم هو بنفسه فيمثّل بهؤلاء القوم فيقطع أيديهم وأرجلهم ويسمر أعينهم لأنهم قتلوا راعيه ولو قال الراوي بأنّ هؤلاء القوم مثّلوا بالرّاعي لكان للنّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم عذر في المعاقبة بالمثل ولكن ذلك غير واردٍ وكيف يقتلهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويمثل بهم هذه المثلة بدون بحث وتحرّ منهم حتّى يتبين من القاتل منهم فيقتله به. ولعلّ البعض يقول بأنهم شاركوا جميعاً في قتله. أفلم يكن في وسع الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يعفو ويصفح عنهم لأنهم مسلمون بدليل قولهم: يا رسول الله، ألم يسمع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قول الله تعالى له: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصّابرين) [النحل: 126].

وإذا كانت هذه الآية نازلة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عندما احترق قلبه على عمّه سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب الذي بقروا بطنه وأكلوا كبده وقطعوا مذاكيره اغتاظ رسول الله عندما رأى عمّه على تلك الحال وقال لئن مكّنني الله منهم لأمثلنّ بسبعين فنزلت عليه الآية فقال «صبرت يا ربّ» وعفى عن وحشي قاتل عمّه وهند التي مثلت بجسده الطّاهر وأكلت كبده. وهذا هو خلق النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ومّما يدلّك على فظاعة الرواية وأن الرّاوي نفسه استفظعها فأردف يقول: قال قتادة فحدّثني محمد بن سيرين أنّ ذلك كان قبل أن تنزل الحدود ليبرّر فعل النّبي صلّى الله عليه وسلّم بذلك فحاشى رسول الله أن يحكم من عند نفسه قبل

أن يبيّن له ربّه وإذا كان في المسائل الصغيرة لا يحكم حتى ينزل عليه الوحي فما بالك في الدّماء والحدود؟

وأنه لمن اليسير جداً على من يتأمل في ذلك ليعرف إنها روايات موضوعة من جهة الأمويين وأتباعهم ليرضوا بها الحكّام الذين لا يتورّعون عن قتل الأبرياء على الظنّ والتهمة ويمثلون بهم أشنع التمثيل والدّليل على ذلك ما جاء في ذيل الرواية نفسها التي أخرجها البخاري يقول: قال سلام فبلغني أنّ الحجّاج قال لأنس حدّثني بأشدّ عقوبة عاقبها النبي صلّى الله عليه وسلّم فحدّثه بهذا. فبلغ الحسن فقال وددت أنّه لم يحدّثه بهذا»(1) .

ويشمّ من الرواية رائحة الوضع لإرضاء الحجاج الثّقفي الذي عاث في الأرض فساداً وقتل من شيعة أهل البيت آلاف الأبرياء ومثّل بهم فكان يقطع الأيدي والأرجل ويسمل الأعين ويخرج الألسن من القفا ويصلب الأحياء حتى يحترقوا بالشمس. ومثل هذا الرواية تبرّر أعماله فهو إنّما يقتدي برسول الله ولكم في رسول الله أسوة حسنة ـ فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

ولذلك تفنّن معاوية في التّنكيل والتمثيل بالمسلمين الذين كانوا شيعة لعلي فكم أحرق بالنار وكم دفن أحياء وكم صلب على جذوع النخل ومن الفنون التي ابتكرها وزيره عمرو بن العاص أنّه مثل بمحمد بن أبي بكر وألبسه جلد حمار وقذف به في النار.

ولتبرير مجونهم وكثرة شغفهم بالجواري والنّساء إليك ما يلي:

النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يحب الجماع

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الغسل باب إذا جامع ثم عادّ ومن دار على نسائه في غسلٍ واحدٍ.

---

(1) صحيح البخاري: 7/13.

قال: حدثنا معاذ بن هشام قال: حدّثني أبي عن قتادة قال: حدّثنا أنس بن مالك قال. كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يدور على نسائه في السّاعة الواحدة من الليل والنّهار وهنّ إحدى عشرة. قال قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنّا نتحدث أنّه أعطى قوّة ثلاثين...

إنها رواية موضوعة للنيل من عظمة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى يبرّروا بلاط الرّشيد وأفعال معاوية ويزيد الماجن! ومن أين لأنس بن مالك أن يعرف بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يجامع إحدى عشرة زوجة في ساعة واحدة فهل أعلمه الرّسول بذلك أم أنّه كان حاضراً؟ أعوذ بالله من قول الزّور. ومن أين له أنّه أعطي قوة ثلاثين؟

إنّها جنايات بحقّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذي قضى حياته جهاداً وعبادة وتدريساً وتعليماً لأمّته.

وماذا يعتقد هؤلاء الجهلة عندما يروون مثل هذه الخزايات وكأنّهم وحسب عقلياتهم المتنجّسة بالشّهوات البهيمية أنّهم كانوا يفتخرون على أترابهم بكثرة الجماع وقوة النكاح وفي الحقيقة فهي روايات وضعت للنّيل من قدسيّة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. وثانياً لتبرير مجون الحكّام والخلفاء الذين امتلأت قصورهم بالجواري والنّساء بلا حدود لأنهم ملك يمين وماذا يقول أنس بن مالك راوي هذا الحديث إذا ما عارضته أم المؤمنين عائشة زوج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والتي كانت تقول بأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كغيره من الرّجال في شأن الجماع. فقد أخرج مسلم في صحيحه من كتاب الطهارة في باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين.

عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله عن أم كلثوم عن عائشة زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم قالت: إنّ رجلاً سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل؟ وعائشة جالسة فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنّي لأفعل ذلك أنا وهذه ثمّ نغتسل.

ثم يضيف شارح الحديث على هامش صحيح مسلم قوله: ثم يكسل معناه في المصباح أكسل المجامع بالألف إذا نزع ولم ينزل ضعفاً كان أو غيره. فأين هذا من أنه أعطي قوة ثلاثين؟

وهذه الرواية هي الأخرى من وضع الوضّاعين قاتلهم الله وضاعف لهم العذاب الأليم. وإلاّ كيف يقبل عاقل مثل هذه الروايات عن صاحب الرسالة الذي ذهب عنه الحياء فيقول للرجال بحضرة زوجته ما يستحي المؤمن العادي أن يقول مثله.

ولتبرير الغناء والرّقص الذي اشتهر في عهد الأمويين إليك ما يلي

الرسول يتفرّج على الرقص ويستمع للغناء.

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب النكاح باب ضرب الدفّ في النكاح والوليمة قال:

حدثنا بشر بن المفضّل حدثنا خالد بن ذكوان قال: قالت الربيع بنت معوذ بن عفراء جاء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فدخل حين بني عليّ فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدّف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهنّ: وفينا نبيّ يعلم ما في غدٍ فقال: دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين.

كما روى البخاري في صحيحه من كتاب الجهاد باب الدرق وكذلك مسلم في صحيحه في كتاب صلاة العيدين باب الرخصة في اللّعب الذي لا معصية فيه).

عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه فدخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند رسول الله فأقبل عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: دعهما. فلمّا غفل غمزتهما فخرجتا.

وعن عائشة قالت: كان يوم عيد يلعب السودان بالدّرق والحراب فإمّا سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وإمّا قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم فأقامني وراءه خدّي على خدّه ويقول: دونكم يا بني أرفدة حتّى إذا مللت قال: حسبك قلت: نعم. قال: اذهبي.

كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب النّكاح باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة.

قالت عائشة: رأيت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يسترني بردائه وأنا أنظر إليه الحبشة يلعبون في المسجد حتّى أكون أنا الذي أسأم فاقدروا قدر الجارية الحديثة السنّ الحريصة على اللّهو.

كما روى مسلم في صحيحه كتاب صلاة العيدين باب الرخصة في اللّعب عن عائشة قالت: جاء حبش يزفنون في يوم عيد (أي يرقصون) في المسجد فدعاني النبي صلّى الله عليه وسلّم فوضعت رأسي على منكبيه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتّى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم.

كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب النّكاح باب ذهاب النّساء والصبيان إلى العرس.

عن أنس بن مالك قال: أبصر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نساءً وصبياناً مقبلين من عرسٍ فقام ممتناً فقال: اللّهم أنتم من أحبّ النّاس إليّ.

يقول شارح البخاري ممتناً معناه قام مسرعاً مشتداً في ذلك فرحاً بهم.

ولتبرير معاقرة الخمر المسكرات إليك ما يلي:

النّبي يشرب النّبيذ

روى البخاري في صحيحه كتاب النّكاح في باب قيام المرأة على الرّجال في العرس وخدمتهم بالنّفس وكذلك في باب النّقيع والشراب الذي

لا يسكر في العرس.

عن أبي حازم عن سهل قال: لما عرس أبو أسيد الساعدي دعا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه فما صنع لهم طعاماً ولا قرّبه إليهم إلاّ امرأته أم أسيدٍ بلّت تمراتٍ في تور من حجارة من اللّيل فلمّا فرغ النّبي صلّى الله عليه وسلّم من الطّعام أماثته له فسقته إيّاه تتحفه بذلك.

وممّا يدلّك على أنّهم يقصدون بهذه الرواية أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم شرب النبيذ. لعل المراد هو غير النبيذ المعروف وإنما هي عادة كانت لدى العرب وهي وضع تمرات في الماء لتذهب رائحة الماء. فهو ليس النبيذ الحقيقي. وبعضهم يرى صحة استعمال. فقد أخرج مسلم هذه الرواية في صحيحه من كتاب الأشربة باب إباحة النّبيذ الذي لم يشدّد ولم يصر مسكراً. ومن هنا بدأ شرب النّبيذ وذهب الحكّام إلى إباحة الخمر بدعوة أنها حلال ما لم تسكر.

ولتبرير الإباحية التي كان عليها الأمويون والعباسيون إليك ما يلي:

النبي والابتذال !

روى البخاري في صحيحه في كتاب الحج باب الزيارة يوم النّحر عن عائشة قالت: حججنا مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأفضنا يوم النّحر فحاضت صفيّة فأراد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم منها ما يريد الرّجل من أهله فقلت يا رسول الله إنّها حائض.

عجباً لهذا النبي الذي يحب مجامعة زوجه على مشهد وعلم من زوجته الأخرى، فتعلمه بأنها حائض بينما لا تعلم المعنية بالأمر من ذلك شيئاً.

النبي لا يستحي!

كما روى مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب فضائل عثمان بن عفان قال:

عن عائشة زوج النّبي صلّى الله عليه وسلّم وعثمان حدّثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة فأذن لأبي بكر وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف قال عثمان: ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة أجمعي عليك ثيابك فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت فقالت عائشة: يا رسول الله ما لي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إنّ عثمان رجل حيي وإنّي خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليّ في حاجته.

أي نبي هذا الذي يستقبل أصحابه وهو مضطجع في مرط زوجته على فراشه وبجانبه زوجته في لباس مبتذل حتى إذا جاء عثمان جلس وأمر زوجته بان تجمع عليها ثيابها.

النّبي يكشف عورته !

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة باب كراهية التعرّي في الصّلاة وكذلك أخرج مسلم في كتاب الحيض باب الاعتناء بحفظ العورة.

عن جابر بن عبدالله، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان ينقل معهم الحجارة للكعبة، وعليه إزاره، فقال له العبّاس عمّه: يابن أخي، لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة، قال فحلّه فجعله على منكبيه، فسقط مغشيّاً عليه، فما رئي بعد ذلك عرياناً صلّى الله عليه وسلّم.

أنظر أيها القارىء إلى الاتّهامات المزوّرة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذي جعل الحياء من دعائم الإيمان والذي كان أشدّ حياءً من العذراء في خدرها، ولم يكتفوا برواية الابتذال وكشف فخذيه أمام أصحابه حتّى اتّهموه بكشف عورته بهذه الرّواية الموضوعة، فهل كان رسول

الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عندهم أبله إلى هذه الدرجة فيسمع إلى كلام عمه ويكشف عن سوأته أمام الناس.

استغفر الله العظيم من أقوال الشياطين الأبالسة الذين يتقولون على الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم. هذا الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي لم ير أزواجه وأقرب الناس إليه عورته والذي يبيح الشرع له أن يكشف عورته لهن ومع ذلك فإن أم المؤمنين عائشة تقول "ما نظرت وما رأيت فرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قطّ"(1) . فإذا كان هذا فعله مع زوجاته اللاتي كنّ يغتسلن معه في إناء واحد فيستر عورته عنهن وما رأينه عرياناً أبداً فكيف مع أصحابه والناس عامة.

نعم كل ذلك من وضع خنافس الأمويين الذين كانوا لا يتورّعون عن أي شيء وإذا كان الخليفة منهم وهو أمير المؤمنين يطرب لقول شاعر من الشعراء الذي ينشده قصيدة في الغزل فيقوم إليه ويكشف عورته ويقبّل قضيبه. فلا غرابة بعدها أن يكشفوا عورة النبي وقد تفشى منهم هذا المرض النفسي وأصبح اليوم أمراً عادياً عند بعض المستهترين الذين لا يقيمون وزناً للأخلاق والحياء فأصبح هناك نوادي ومجاميع للعراة في كل مكان يجمع النساء والرجال تحت شعار (ربّنا ها نحن كما خلقتنا).

ولتبرير تلاعبهم بالدّين وبالأحكام الشرعية إليك ما يلي:

النبي يسهو في صلاته

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب ما يجوز من ذكر الناس وأخرج مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة في باب السهو في الصلاة والسجود له.

"عن أبي هريرة، قال: صلّى بنا النبي صلّى الله عليه وسلّم الظهر ركعتين، ثم سلّم، ثم قام إلى خشبة في مقدّم المسجد ووضع يده عليها،

———————————

(1) سنن ابن ماجة: 1/619.

وفي القوم يومئذ أبو بكر وعمر فهابها أن يكلّماه، وخرج سرعان الناس فقالوا: قصرت الصلاة، وفي القوم رجل كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يدعوه ذا اليدين، فقال: يا نبيّ الله أنسيت أم قصرت؟ فقال: لم أنس ولم تقصر. قالوا: بل نسيت يا رسول الله، قال: صدق ذو اليدين.

فقام فصلّى ركعتين ثم سلّم، ثم كبّر فسجد مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه وكبّر، ثم وضع مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه وكبّر(1) .

* حاش رسول الله أن يسهو في صلاته ولا يدري كم صلّى وعندما يقال له بأنه قصّر من الصلاة يقول (لم أنس ولم تقصر) إنه الكذب لتبرير خلفاءهم الذين كانوا كثيراً ما يأتون إلى الصلاة وهم سكارى فلا يدرون كم يصلّون وقصّة أميرهم الذي صلّى بهم صلاة الصبح أربع ركعات ثم التفت إليهم وقال أزيدكم أو يكفيكم؟ مشهورة في كتب التاريخ.

كما أخرج البخاري في صحيحه كتاب الأذان في باب إذا قام الرجل عن يسار الإمام.

قال عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: نمت عند ميمونة والنبي صلّى الله عليه وسلّم عندها تلك الليلة فتوضأ ثم قام يصلّي فقمت عن يساره، فأخذني فجعلني عن يمينه فصلّى ثلاث عشرة ركعة، ثم نام حتى نفخ وكان إذا نام نفخ ثم أتاه المؤذن فخرج فصلّى ولم يتوضأ.

قال عمرو فحدثت به بكيراً فقال: حدّثني كريب بذلك.

ومثل هذه الروايات المكذوبة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يبستخف الأمراء والسّلاطين من بني أمية وبني العبّاس وغيرهم بالصلاة وبالوضوء وبكل شيء حتى أصبح المثل شائعاً عندنا "صلاة القياد في الجمعة والأعياد".

(1) صحيح البخاري وصحيح مسلم في كتاب اللؤلؤ والمرجان: 1/115.

النبي يحلف ويحنث

روى البخاري في صحيحه في كتاب المغازي قصة عمان والبحرين باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن.

عن أبي قلابة عن زهدمٍ قال: لما قدم أبو موسى أكرم هذا الحيّ من جرمٍ وإنا لجلوس عنده وهو يتغدى دجاجاً وفي القوم رجل جالس فدعاه إلى الغداء فقال: إني رأيته يأكل شيئا فقذرته، فقال: هلم فإني رأيت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يأكله، فقال: إني حلفت لا أكله، فقال: هلم أخبرك عن يمينك، إنا أتينا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نفر من الأشعريين فاستحملناه فأبى أن يحملنا فاستحملناه فحلف أن لا يحملنا ثم لم يلبث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن أتي بنهب إبل فأمر لنا بخمس ذودٍ فلما قبضناها، قلنا تغفلنا النبي صلّى الله عليه وسلّم يمينه لا نفلح بعدها أبداً، فأتيته فقلت: يا رسول الله إنك حلفت أن لا تحملنا وقد حملتنا، قال: أجل ولكن لا أحلف على يمينٍ فأرى غيرها خيراً منها إلاّ أتيت الذي هو خير منها.

أنظر إلى هذا النبيّ الذي بعثه الله سبحانه ليعلّم الناس الحفاظ على الأيمان ولا ينقضوها إلاّ بكفارة ولكنه هو يأمر بالشيء ولا يأتيه قال تعالى: (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبةٍ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون) [المائدة: 89].

وقال أيضاً: (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) [النحل: 91]. ولكنّ هؤلاء لم يتركوا لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فضلاً ولا فضيلة.

أعتقت عائشة أربعين رقبة لتكفر عن يمينها

وأين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من زوجته عائشة التي كفرت عن يمين نقضته بتحرير أربعين رقبة فهل هي أبرّ وأتقى لله من رسول الله؟ ج7 ص90.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الأدب باب الهجرة وقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا يحلّ لرجلٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث.

* إن عائشة حدّثت أن عبدالله بن الزبير قال في بيع أو عطاءٍ أعطته عائشة: والله لتنتهينّ عائشة أو لأحجرن عليها، فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم! قالت: هو لله عليّ نذر أن لا أكلّم ابن الزبير أبداً، فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة، فقالت: لا والله لا أشفع فيه أبداً ولا أتحنّث إلى نذري، فلما طال ذلك على ابن الزبير كلّم المسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وهما من بني زهرة وقال لهما: أنشدكما بالله لما أدخلتماني على عائشة فإنها لا يحلّ لها أن تنذر قطيعتي. فأقبل به المسور وعبدالرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة، فقالا: السّلام عليك ورحمة الله وبركاته أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا. قالوا: كلّنا؟ قالت: نعم ادخلوا كلّكم ولا تعلم أن معهما ابن الزبير.

فلما دخلوا، دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة وطفق يناشدها ويبكي وطفق المسور وعبدالرحمن يناشدانها إلاّ ما كلّمته وقبلت منه، ويقولان إن النبي صلّى الله عليه وسلّم نهى عما قد علمت من الهجرة فإنّه لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي وتقول إني نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلّمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبةً وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبلّ دموعها خمارها.

ورغم أن قسم عائشة لا يجوز لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم حرّم أن

يهجر المسلم أخاه أكثر من ثلاثة أيام ولكنها أبت إلا أن تكفر عن يمينها بتحرير أربعين رقبة، وهذا أيضاً يدلنا دلالة أخرى من أنها كانت دولة بمفردها، وإلاّ

كيف تملك عائشة أربعين رقبة أو ثمنها فليس ذلك بالشي اليسير، ولم يسجّل التاريخ أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أعتق هذا العدد الهائل طيلة حياته.

إنهم لم يتركوا سيئة أو نقيصة إلاّ وألصقوها به كل ذلك ليبرروا افعال أمرائهم قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ولتبرير استهتارهم بالأحكام الشرعية إليك ما يلي:

النبي يتنازل في أحكام الله حسبما يريد

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الصّوم باب اغتسال الصائم وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب الصّيام باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم، ووجوب الكفارة الكبرى فيه. وأنها تجب على الموسر والمعسر.

"عن أبي هريرة قال: بينما نحن جلوس عند النبي صلّى الله عليه وسلّم إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت! قال: مالك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا. فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟ قال: لا. قال فمكث عند النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فبينما نحن على ذلك أتي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعرق فيه تمر، والعرق المكتل قال: أين السّائل؟ فقال: أنا. قال: خذه فتصدّق به. فقال الرّجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها يريد الحرّتين أهل بيتٍ أفقر من أهل بيتي. فضحك النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حتى بدت أنيابه ثم قال أطعمه أهلك.

أنظر كيف تصبح أحكام الله وحدود الله التي رسمها لعباده من تحرير رقبة على الموسرين والذين لا يقدرون على تحرير رقبة فما عليهم إلاّ إطعام ستين مسكينا وإذا تعذّر وكان فقيراً فما عليه إلاّ بالصوم وهو كفارة الفقراء الذين لا يجدون أموالاً كافية لتحرير أو لإطعام المساكين ولكن هذه الرواية تتعدّى حدود الله التي رسمها لعباده ويكفي أن يقول هذا الجاني كلمة يضحك لها الرّسول حتى تبدو أنيابه فيتساهل في حكم الله ويبيح له أن يأخذ الصدقة لأهل بيته.

وهل هناك أكبر من هذه الفرية على الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم فيصبح الجاني مجازاً على ذنبه الذي تعمده بدلاً من العقوبة وهل هناك تشجيعاً أكبر من هذا لأهل المعاصي والفسقة الذين سيتشبثون بمثل هذه الروايات المكذوبة ويرقصون لها.

وبمثل هذه الرّوايات أصبح دين الله وأحكامه لعباً وهزؤاً وأصبح الزاني يفتخر بارتكابه الفاحشة ويتغنى باسم الزّاني في الأعراس والمحافل كما أصبح المفطر في شهر الصيام يتحدّى الصائمين.

كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأيمان والنذور باب إذا حنث ناسياً.

عن عطاء عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رجل للنبي صلّى الله عليه وسلّم زرت قبل أن أرمي (أي طفت بالبيت طواف الزيارة) قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: لا حرج قال آخر: حلقت قبل أن أذبح قال: لا حرج، قال آخر ذبحت قبل أن أرمي قال: لا حرج.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بينما هو يخطب يوم النحر إذ قام إليه رجل فقال: كنت أحسب يا رسول الله كذا وكذا قبل كذا وكذا، ثم قام آخر: فقال: يا رسول الله كنت أحسب كذا وكذا لهؤلاء الثلاث (الحلق والنحر والرمي) فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: افعل

ولا حرج لهنّ كلّهنّ يومئذٍ، فما سئل يومئذٍ عن شيءٍ إلاّ قال افعل افعل ولا حرج.

والغريب أنك عندما تقرأ هذه الروايات مستنكراً لها يجابهك بعض المعاندين بأن دين الله يسر وليس عسراً. وأن الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: يسّروا ولا تعسّروا.

وإنها كلمة حق يراد بها باطلاً، لأنه ليس هناك شكاً في أن الله يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر وما جعل علينا في الدّين من حرج ـ ولكن فيما سطره ورسمه لنا من أحكام وحدود عن طريق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأعطانا الرخّص اللاّزمة عند اقتضاء الحال كالتيمم عند فقدان الماء أو

الخوف من الماء البارد، وكالصلاة جالساً عند الاقتضاء وكالإفطار وتقصير الصلاة في السفر، كل هذا صحيح ولكن أن نخالف أوامره سبحانه بأن نجعل مثلاً ترتيب الوضوء أو التيمم كما نريد فنغسل اليدين قبل الوجه مثلاً أو نمسح الرجلين قبل الرأس فهذا لا يجوز.

ولكن الوضاعين أرادوا أن يتنازل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كل شيء ليجدوا منفذاً وكما يقول كثير من الناس اليوم (عندما نجادلهم في الأمور الفقهية) لا عليك يا خي، المهم صلّ فقد، صلّ كما يحلو لك!.

والغريب أن البخاري نفسه يخرج في نفس الصفحة التي بها قول الرسول (افعل افعل ولا حرج) واقعةً يظهر فيها النبي متشدداً إلى أبعد الحدود. قال عن أبي هريرة أن رجلاً دخل المسجد يصلي ورسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية المسجد فجاء فسلم عليه فقال له: إرجع فصلّ فإنك لم تصلّ فرجع فصلى ثم سلم فقال وعليك، ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ، وكرر الرجل الصلاة ثلاث مرات وفي كل مرة يقول له الرسول ارجع فصل فإنك لم تصلّ، فقال الرجل للرسول علّمني يا رسول الله فعلّمه

الاطمئنان في الركوع والاطمئنان في السجود قال ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تستوي وتطمئن جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تستوي قائماً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها.

كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب قول الله عز وجل فاقرؤوا ما تيسّر من القرآن.

عن عمر بن الخطاب يقول سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقرائته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال: اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: كذبت أقرأنيها علي غير ما قرأت.

فانطلقت به أقوده إليى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروفٍ لم تقرئنيها، فقال أرسله إقرأ يا هشام فقرأ القراءة التي سمعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إقرأ يا عمر فقرأت التي أقراني فقال: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرفٍ فاقرؤوا ما تيسر منه.

فهل يبق بعد هذه الرواية شك في أن الوضاعين تطاولوا على قداسة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى من خلال القرآن الكريم وأنه علّم الصحابة بقراءات مختلفة ويقول لكل منهم كذلك أنزل ولو لم تكن القراءة فيها اختلاف كبير ما كان عمر يكاد يقطع على هشام الصلاة ويتهدده. وهذا يذكرني بعلماء أهل السنة الذين يتشبّثون بقراءة معينة فلا يجيزون لأحدٍ أن يقرأ على غير ما يعرفون، وكن يوماً أقرأ (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) فانتهرني

أحدهم بشدة وصرخ قائلاً: لا تكسّر القرآن إن كنت تجهل القراءة.

قلت: كيف كسرت القرآن؟

قال: اذكروا نعمتي، وليس نعمتي.

كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الاستقراض وأداء الديّن في باب الخصومات من جزئه الثالث صفحة 88.

عن عبدالملك بن ميسرة أخبرني قال سمعت النزال، سمعت عبدالله يقول سمعت رجلاً قرأ آيةً سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم خلافها، فأخذت بيده فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: كلاكما محسن.

قال شعبة أظنه قال: لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا.

سبحان الله وبحمده، كيف يقرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اختلافهم بقوله كلاكما محسن؟ ولا يرجع بهم إلى قراءة موحّدة تقطع دابر الاختلاف.

ثم بعد ذلك يقول لهم: لا تختلفوا فتهلكوا. أليس هذا هو التناقض؟ يا عباد الله افتونا يرحمكم الله. وهل اختلفوا إلاّ فإقراره هو ومباركته وتشجيعه. كلاّ وحاش رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من هذا التناقض والاختلاف الذي تنفر منه العقول.

ـ أفلا يتدبّرون القرآن الذي يقول:

(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) [النساء: 82]. وهل وقع اختلاف أكبر وأخطر على الأمة الإسلامية من القراءات المتعدّدة التي غيرت معاني القرآن إلى تفاسير وآراء مختلفة فأصبحت آية الوضوء الواضحة مختلفاً فيها.

النبي يتصرّف كالصّبيان! ويعاقب من لايستحق العقوبة !

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب مرض النبي صلّى الله عليه وسلّم ووفاته.

ومسلم في صحيحه في كتاب السّلام باب كراهة التداوي باللّدود. "عن عائشة قالت لددنا(1) رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مرضه، فجعل يشير إلينا أن لا تلدّوني. فقلنا: كراهية المريض للدّواء، فلما افاق، قال: ألم أنهكم أن تلدّوني؟ قلنا: كراهية المريض للدّواء، فقال: لا يبقى أحد في البيت إلاّ لدّ وأنا أنظر، إلاّ العبّاس فإنه لم يشهدكم".

عجيب أمر هذا النبي المفترى عليه، الذي جعل المفترون كالصّبي الذي يغرغروه الدّواء المرّ الذي لا يقبله، فيشير إليهم أن لا يلدوه، ولكنّهم يغصبونه على ذلك رغم أنفه.

ولما يفيق يقول لهم: ألم أنهكم أن تلدّوني؟ فيعتذرون له بأنهم طنّوا بأن النهي هو كراهية المريض للدّواء، فيحكم عليهم جميعاً بأن يلدّوا وهو ينظر ليشفي غليله منهم ولا يستثني منهم إلاّ عمه العبّاس لأنه لم يكن حاضراً عملية اللّدود.

ولم تكمل السيدة عائشة نهاية القصة وهل نفّذ النبي صلّى الله عليه وآله وسلذم حكمه فيهم أم لا، وعلى طريق من وكيف تمت عملية اللّدود بين النّساء والرّجال الحاضرين.

النبي يسقط بعض آيات من القرآن !

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن وكذلك في باب من لا يرى بأساً أن يقول سورة كذا وكذا. وأخرج

———————————

(1) يقول ابن منظور في لسان العرب عن هذه العملية: اللدُّ: هو أن يؤخذ بلسان الصّبي فيمدّ إلى أحد شقيه ويوجر في الشق الآخر الدّواء في الصدف بين اللّسان والشدق.

مسلم في صحيحه من كتاب صلاة المسافرين وقصرها في باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت أية كذا.

حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجلاً يقرأ في سورةٍ باللّيل، فقال: يرحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا.

كما أخرج البخاري رواية أخرى عن علي بن مسهرٍ عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع النبي صلّى الله عليه وسلّم قارئاً يقرأ في اللّيل في المسجد فقال: يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا أيةً اسقطتها من سورة كذا وكذا.

ها هو النبي الذي أرسله الله سبحانه بالقرآن وهو معجزته الخالدة والذي كان يحفظه من يوم نزوله عليه جملة قبل نزوله أنجماً وقد قال له تعالى: (لا تحرّك به لسانك لتعجل به) وقال أيضاً: (وإنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وإنه لفي زبر الأولين) [

الشعراء: 196].

ولكن الكذّابين والدجّالين والوضّاعين يأبون إلا أن يلصقوا به كل الأباطيل وكل السفاسف والمخاريق التي لا يقبلها عقل ولا ذوق سليم ومن حقّ المسلمين الباحثين أن ينزّهوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن أمثال هذه الروايات المزيفة التي ملأت كتب الأحاديث وخصوصاً منها المعدودة من الصّحاح. فنحن لم نخرج إلا من كتاب البخاري ومسلم اللذين هما عند أهل السنة أصح الكتب بعد كتاب الله وإذا كان هذا شأن الصّحاح بخصوص الطّعن بقداسة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وعصمته فلا تسأل عن باقي الكتب الأخرى. كل ذلك من وضع أعداء الله وأعداء رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم الذين تزلّفوا إلى حكّام بني أميّة في عهد معاوية وما بعده حتى ملأوا المطامير بالأحاديث المكذوبة والتي يريدون من خلالها الطّعن على صاحب الرّسالة صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنهم

لم يؤمنوا بكل ما جاء به من عند الله، هذا من جهة ومن جهة أخرى ليبرّروا أفعال أسيادهم البشعة والشنيعة التي سجّلها تاريخ المسلمين، وقد كشفهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من بداية البعثة وحذّر منهم وطردهم من المدينة ولعنهم فقد أخرج الطبري في تاريخه: قال رأى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أبا سفيان مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به، ويزيد ابنه يسوق به فقال: لعن الله القائد والراكب والسائق(1) . و أخرج الإمام أحمد في مسنده من طريق ابن عباس قال كنا في سفر مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فسمع رجلين يتغثيان وأحدهما يجيب الآخر فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: أ،ظروا من هما، فقالوا: معاوية وعمر بن العاص فرفع رسول الله يديه فقال: اللّهم اركسهما ركساً ودعّهما إلى النار دعّا(2) وعن أبي ذر الغفاري قال لمعاوية: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول وقد مررت به: اللهم ألعنه ولا تشبعه إلا بالتراب(3) . وقد قال الإمام علي عليه السّلام في كتاب بعث به لأهل العراق:

والله لو لقيتهم فرداً وهم ملء الأرض ما باليت ولا استوحشت، وإني من ضلالتهم التي هم فيها، والهدى الذي نحن عليه لعلى ثقة وبينة ويقين وبصيرة، وإني إلى لقاء ربي لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر، ولكن أسفاً يعتريني وحزناً يخامرني أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً، والصالحين حرباً والفاسطين حزباً(4) .

وبما أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد لعنهم كما مرّ عليك ولم يجدوا لتلك الأحاديث دسّاً لأن جلّ الصحابة كانوا يعرفونها فوضعوا في مقابلها أحاديث أخرى تقلب الحق باطلاً وتجعل من رسول الله صلّى الله

———————————

(1) تاريخ الطبري: 11/357.

(2) مسند الإمام أحمد: 4/421 والطبراني في الكبير.

(3) مسند أحمد: 4/421 لسان العرب: 7/404.

(4) الإمام والسياسة لابن قتيبة: 1/137.

عليه وآله وسلّم شخصاً عاديا تعتريه الحمية الجاهلية ويأخذه الغضب إلى أبعد الحدود فيسبّ ويلعن من لا يستحق ذلك، ودفاعاً على أسيادهم الملاعين فقد وضعوا هذا الحديث.

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات باب قول النبي صلّى الله عليه وسلّم من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة.

وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب باب من لعنه النبي صلّى الله عليه وسلّم أو سبّه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجراً ورحمة على عائشة قالت: دخل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجلان فكلّماه بشيء لا أدري ما هو فأغضباه فلعنهما وسبّهما، فلما خرجا قلت: يا رسول الله من اصاب من الخير شيئا ما أصابه هذان. قال: وما ذاك قالت قلت: لعنتهما وسببتهما قال: أو ما علمت ما شرطت عليه ربّي، قلت: اللهم إنما أنا بشر فأيّ المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجراً.

وعن أبي هريرة أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: اللهم إنّي أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه فإنما أنا بشر فأيّ المؤمنين آذيته شتمته، لعنته، جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقرّبه بها إليك يوم القيامة.

وبمثل هذه الأحاديث الموضعة يصبح النبي يغضب لغير الله ويسب ويشتم بل ويلعن ويجلد من لا يستحقّ ذلك أي نبي هذا الذي يعتريه الشيطان فيخرج عن دائرة المعقول وهل يسمح أي رجل دين عادي أن يفعل ذلك؟ أم هل لا يستقبح منه ذلك؟ وبمثل هذه الأحاديث يصبح حكّام بني أمية الذين لعنهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ودعا عليهم وجلد البعض منهم لارتكابهم الفاحشة وافتضحوا أمام الناس عامة، يصبحون مظلومين بل يصبحون مزكين ومرحومين ومقرّبين إلى الله.

وهذه الأحاديث الموضعة تكشف عن نفسها بنفسها وتفضح

الوضّاعين فلم يكن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سّباباً ولا لعّاناً ولا فاحشاً ولا متفحّشاً حاشاه.. حاشاه. كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن غضب الله عليهم و لعنهم و أعدّ لهم عذاباً أليماً.

وتكفينا رواية واحدة أخرجها البخاري ومسلم عن عائشة نفسها لدحض هذه المزاعم الكاذبة.

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب لم يكن النبي صلّى الله عليه وسلّم فاحشاً ولا متفحشاً.

عن عائشة قالت: أن يهوداً أتوا النبي صلّى الله عليه وسلّم فقالوا: السّام عليكم، فقالت عائشة فقلت: عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: مهلاً يا عائشة عليك بالرّفق وإياك والعنف والفحش: قلت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيّ.

كما أخرج مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب بأن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نهى أن يكون المسلم لعّاناً. ونهاهم حتى عن لعن الحيوان والدّواب، وقيل له يا رسول الله ادع على المشركين فقال: إنّي لم أبعث لعّاناً وإنما بعثت رحمة.

وهذا هو الذي يتماشى مع الخلق العظيم والقلب الرحيم الذي اختصّ به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلم يكن يلعن ويسبّ ويجلد من لا يستحق إنما إذا غضب فإنه يغضب لله وإذا لعن فإنه يلعن من يستحق اللّعن وإذا جلد فإنما يجلد لإقامة حدود الله لا أن يجلد الأبرياء الذين لم تقم عليهم البينة أو الشهود أو الاعتراف.

ولكن هؤلاء غاضهم وأحرق قلوبهم أن تتفشى الرّوايات التي فيها لعن معاوية وبني أمية فاختلقوا هذه الرّوايات للتمويه على الناس وليرفعوا مكانة معاوية الوضيعة ولذلك تجد مسلم في صحيحه بعد إخراج هذه الرّوايات

التي تجعل من لعن الرسول لمعاوية زكاة ورحمة وقربة من الله. يخرج حديث عن ابن عباس قال: كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فتواريت خلف باب قال فجاء فحطأني حطأة وقال اذهب وادع لي معاوية قال: فجئت فقلت هو يأكل قال ثم قال لي: اذهب فادع لي معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل فقال: لا أشبع الله بطنه(1) .

ونجد في كتب التاريخ بأن الإمام النسائي بعدما كتب كتاب الخصائص التي اختصّ بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام، دخل الشام فاعترضه أهل الشام وقالوا له لماذا لم تذكر فضائل معاوية فقال لهم: لا أعرف له فضيلة إلا لا أشبع الله بطنه. فضربوه على مذاكيره حتى استشهد. والمؤرّخون يذكرون بأنّ دعوة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم نفذت فكان معاوية يأكل ويأكل حتى يتعب من الأكل ولا يشبع.

وفي الحقيقة لم أكن أعرف هذه الرّوايات التي تجعل اللّعنة رحمة وقربة من الله، إلى أن عرّفني عليها أحد المشايخ في تونس وهو موصوف بالعلم والمعرفة وكنا في مجمعٍ نتجاذب أطراف الحديث حتى جاء ذكر معاوية بن أبي سفيان وكان الشيخ يتحدّث عنه بكل إعجاب ويقول هو داهية ومشهور بالذكاء وحسن التدبير، وأخذ يتكلم عنه وعن سياسته وانتصاره على سيدنا علي كرّم الله وجهه في الحرب وصبرت عليه بمضض ولكنه ذهب شوطاً بعيداً في إطراء معاوية والثناء عليه حتى عيل صبري وقلت له: بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما كان يحبّه وقد دعا عليه ولعنه، فاستغرب الحاضرون ومنهم من غضب من قولي، ولكن الشيخ بكل هدوء ردّ عليّ يصدّقني، مما زاد دهشة الحاضرين وقالوا له: نحن لم نفهم شيئاً! من ناحية، أنت

تمدحه وتترضّى عنه ومن ناحية أخرى توافق على أن النبي لعنه؟ فكيف يصح هذا؟ وتساءلت أنا معهم كيف يصح ذلك. وأجابنا الشيخ

---

(1) صحيح مسلم: 8/27.

بجواب بدا غريباً وصعب القبول قال: إن الذي يلعنه رسول الله أو يسبّه فهي له زكاة ورحمة وقربة عند الله سبحانه. وتسائل الجميع في دهشة. وكيف ذلك؟ قال: لأن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: أنا بشر كسائر البشر وقد سألت الله أن يجعل دعائي ولعنتي رحمة وزكاة. ثم أضاف قائلاً: وحتى الذي يقتله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فهو من دنياه إلى الجنة مباشرةً. واختليت بالشيخ فيما بعد وسألته عن مصدر الحديث الذي ذكره فأحالني على صحيح البخاري وصحيح مسلم. واطّلعت على تلك الأحاديث ولم تزدني إلا يقيناً بالمؤامرة التي دبّرها الأمويون لتغطية الحقائق ولستر فضائحهم من جهة ولضرب عصمة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من جهة أخرى.

ووجدت بعدها روايات كثيرة ترمي إلى نفس الهدف، وحتى يطمئن المتآمرون فقد اختلقوا أكثر من ذلك على لسان رب العالمين فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى يريدون أن يبدّلوا كلام الله.

عن أبي هريرة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: قال رجل لم يعمل خيراً قطّ، فإذا مات فحرّقوه وأذروا نصفه في البرّ ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذّبنه عذاباً لا يعذّبه أحداً من العالمين، فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البرّ فجمع ما فيه ثم قال: لم فعلت؟ قال: من خشيتك وأنت أعلم! فغفر له.

وعنه أيضاً في نفس الصفحة: قال أبو هريرة سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: إن عبداً أصاب ذنباً وربّما قال أذنب ذنباً فقال ربّ أذنبت ذنباً وربّما قال أصبت فاغفر.

فقال ربّه: أعلم عبدي أنّ له ربّاً يغفر الذّنب ويأخذ به غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً فقال: ربّ أذنبت أو أصبت آخر فاغفره، فقال: أعلم عبدي أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به

غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً وربّما قال أصاب ذنباً فقال: ربّ أصبت أو قال أذنبت آخر فاغفر لي، فقال: أعلم عبدي أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء.

أي ربّ هذا يا عباد الله؟ ورغم أنّ العبد علم من الوهلة الأولى بأن له ربّاً يغفر الذنب، غير أن ربّه بقي جاهلاً بهذه الحقيقة وفي كل مرة يتساءل أعلم عبدي بأن له ربّاً يغفر الذنب؟؟

أيّ ربّ هذا الذي من كثرة الذنوب المتكرّرة وكثرة المغفرة المتكرّرة فقد كلّ وملّ وقال لعبده: اعمل ما شئت "وريحني الله يخلّيك".

وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذباً فلعلّك باع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً".

نعم لقد زعموا أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لعثمان: "اعمل ما شئت فلن يضرّك ما فعلت بعد اليوم". وذلك عندما جهّز عثمان جيش العسرة حسبما يقولون. إنها صكوك الغفران التي يقبّضها رهبان الكنيسة مقابل دخول الجنة.

فليس من الغريب إذاً أن يفعل عثمان تلك الأعمال الشّنيعة التي سبّبت الثورة عليه وقتله ودفنه في غير مقابر المسلمين بغير تغسيل ولا تكفين.

تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

النبيّ يتناقض في حديثه

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الفتن باب إذا التقى المسلمان بسيفهما ـ من جزئه الثامن صفحة 92.

عن عبدالله بن عبدالوهاب حدّثنا حماد عن رجل لم يسمه عن الحسن قال: خرجت بسلاحي ليالي الفتنة فاستقبلني أو بكرة فقال: أين

تريد؟ قلت أريد نضرة ابن عم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم! فقال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا تواجد المسلمان بسيفهما فكلاهما من أهل النار. قيل فهذا القاتل فما بال المقتول قال إنه أراد قتل صاحبه ـ قال حماد بن زيد فذكرت هذا الحديث لأيوب ويونس بن عبيدٍ وأنا أريد أن يحدّثاني به، فقالا إنما روى هذا الحديث الحسن عن الأحنف بن قيس عن أبي بكرة.

كما أخرج مسلم في صحيحه من كتاب الفتن وأشراط الساعة باب إذا تواجد المسلمان بسيفهما.

حديث أبي بكرة عن الأحنف بن قيس، قال: ذهبت لأنصر هذا الرّجل، فلقيني أبو بكرة، فقال: أين تريد، قلت: أنصر هذا الرجل قال: ارجع فإني سمعت رسول الله يقول: "إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار" فقلت يا رسول الله! هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: "إنه كان حريصاً على قتل صاحبه"(1) .

من خلال هذه الأحاديث الموضوعة يفهم القارئ بوضوح الأسباب التي دعت لوضعه، ويتجلّى أبو بكر بعداوته إلى ابن عم المصطفى وكيف عمل على خذلان أمير المؤمنين ولم يكتف بذلك حتى أخذ يثبّط عزائم الصحابة الذين أرادوا نصرة الحق ضدّ الباطل فيختلق لهم مثل هذا الحديث الذي لا تقبله العقول ولا يقرّه القرآن الكريم ولا الصحيح من السنة النبوية. فقول الله سبحانه وتعالى: (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) [الحجرات: 9]. أمرٌ صريح في قتال البغاة والظالمين ولذلك تلاحظ أن شارح البخاري نفسه كتب على هامش الحديث هذه العبارة (أنظر هل في هذا الحديث حجّة على مقاتلة البغاة مع قول الله تعالى فقاتلوا التي تبغي) وإذا تعارض الحديث مع كتاب الله فهو مكذوب وليضرب به عرض الجدار. أما

———————————

(1) أخرج هذا الحديث أيضاً البخاري في كتاب الإيمان باب المعاصي من أمر الجاهلية.

السنة النبوية الصحيحة فقوله صلّى الله عليه وسلّم في علي "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره، واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار"، فموالاة علي هي موالاة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونصرة أمير المؤمنين واجبة على كل مسلم وخذلانه هو خذلان للحق ونصرة للباطل.

ثم لو تأملت في حديث البخاري لوجدت هناك في سلسلة الرواة واحداً مجهولاً لم يذكروا اسمه إذ يقول: حدثنا حماد عن رجل لم يسمه، وهذه تدل دلالة جلية بأن هذا المجهول هو من المنافقين الذين يبغضوا علياً ويحاولون جهدهم طمس فضائله أو بالأحرى القضاء عليه وعلى ذكره ما استطاعوا لذلك سبيلاً. وقد قال سعد بن أبي وقاص الذي امتنع هو الآخر عن نصرة الحق "ائتنوني بسيف يقول هذا على حق وهذا على باطل لأقاتل به" وبمثل هذا التمويه يلبس الحق بالباطل وتضيع السّبل الواضحة لتحل محلّها الظلمات.

على أننا نجد في كتب السنة المعتمدة أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بشّر الكثير من أصحابه بالجنة وخصوصاً العشرة الذين اشتهروا بين المسلمين بأنهم المبشرين بالجنة.

فقد أخرج أحمد والترمذي وأبو داود أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة وأبوعبيدة بن الجراح في الجنة(1) .

وقد صح عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله: ابشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة وقوله اشتاقت الجنة إلى أربع علي وعمار، وسلمان

———————————

(1) مسند أحمد: 1/193، صحيح الترمذي: 13/183، سنن أبو داود: 2/264.

والمقداد وقد روى مسلم في صحيحه أن عبدالله بن سلام بشره رسول الله بالجنة وصح عنه قوله: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وكذلك صح

عنه أن جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة في الجنة. وأن فاطمة الزهراء سيدة النساء في الجنة وأن أمها خديجة بشرها جبرئيل ببيت من قصب في الجنة وصح عنه قوله: صهيب سابق الروم إلى الجنة، وبلال سابق الحبشة إلى الجنة وسلمان سابق الفرس إلى الجنة.

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تختص أحاديث البشارة بالجنة إلا على هؤلاء العشرة فلا تجد مجمع ولا مجلس إذا ما تحدّثوا عن الجنة إلا وجاءوا بذكر العشرة المبشرين بالجنة.

ونحن لا نحسدهم على ذلك ولا نضيق رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شي ولكن نقول فقط بأن هذه الأحاديث تناقض وتتعارض مع حديث إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار. لأننا لو صدّقنا به لتبخّر حديث البشارة بالجنة إذا أن معظم هؤلاء تحاربوا وتقاتلوا وقتل بعضهم بعضاً. فطلحة والزبير قتلا في حرب الجمل التي قادتها أم المؤمنين عائشة ضد الإمام علي بن أبي طالب وسلّت سيوفهم بل وتسبّبوا في قتل الآلاف من المسلمين.

كما أن عمار بن ياسر قتل في حرب صفين التي أشعل نارها معاوية بن أبي سفيان وكان عمار متواجداً بسيفه مع علي بن أبي طالب فقتلته الفئة الباغية كما نصّ على ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما أن سيد الشهداء سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين تواجد بسيفه هو وأهل بيت المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم مقابل جيش يزيد بن معاوية، وقد قتلهم كلهم ولم ينج منهم إلاّ علي بن الحسين.

فعلى رأي هؤلاء الكذّابين فإن كل هؤلاء في النار القاتلين والمقتولين، لأنهم التقوا بسيوفهم.

وواضح أن الحديث لا يمكن أن تصح نسبته إلى من لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى، وهو كما قدّمنا يصدم مع المنطق والعقل، ويناقض كتاب الله وسنة نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم والسؤال الذي يطرح هنا، كيف يغفل البخاري ومسلم عن مثل هذه الأكاذيب ولا يتنبهون لها؟ أم أنّ لهما في أمثال هذه الأحاديث مذهب وعقيدة؟

التناقض في الفضائل

ومن الأحاديث المتناقضة التي تجدها في الصّحاح هو تفضيل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على كل الأنبياء والمرسلين، وأحاديث أخرى ترفع من شأن موسى درجة أعلى من درجته، وأعتقد بأنّ اليهود الذين أسلموا في عهد عمر وعثمان أمثال كعب الأحبار وتميم الدّاري ووهب بن منبه هم الذين وضعوا تلك الأحاديث على لسان بعض الصّحابة الذين كانوا معجبين بهم أمثال أبي هريرة وأنس بن مالك وغيرهم. فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب قوله تعالى: (وكلّم الله موسى تكليما) .

عن أنس بن مالك حكاية طويلة تحكي إسراء النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ثم عروجه إلى السماوات السّبع ثم إلى سدرة المنتهى وقصّة فرض الصّلوات الخمسين التي فرض على محمد وأمته وبفضل موسى ردت إلى خمس عملية وما فيها من الكذب الصريح والكفر الشنيع من أن الجبّار ربّ العزّة دنا فتدلّى حتى كان من النبي قاب قوسين أو أدنى، وغيرها من التخريف ولكن ما يهمنا في هذه الرواية هو أنّ محمداً لما استفتح السّماء السّابعة وكان فيها موسى وأنّ الله رفعه في السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى: ربّ لم أظنّ أن يرفع عليّ أحدٌ. وأخرج مسلم في صحيحه

———————————

(1) صحيح البخاري: 8/204.

في كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وأخرج البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم قصّة أخرى تشبه الأولى وتحكي الإسراء والمعراج ولكن تقول بأنّ موسى كان في السّماء السادسة وإبراهيم في السابعة والذي يهمنا منها هو هذا المقطع.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: فأتينا على السّماء السّادسة، قيل من هذا؟ قيل جبرئيل، قيل من معك؟ قال محمد صلّى الله عليه وسلّم، قيل

وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل مرحباً به ولنعم المجيء جاء. فأتيت على موسى فسلّمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخ ونبيّ، فلما جاوزت بكى، فقيل ما أبكاك؟ فقال: يا ربّ هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي.

كما أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها عن أبي هريرة قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربّكم؟ فيقول بعض الناس لبعض، عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السّلام، فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربّي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنّه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي، نفسي، نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوحٍ، وتمضي الرواية وهي طويلة جدّاً (ونحن دائماً نريد الاختصار) إلى أن يطوف الناس على نوح ثم على إبراهيم ثم على موسى ثم على عيسى وكلّهم يقول نفسي، نفسي نفسي، ويذكر خطيئته أو ذنبه، عدا عيسى

لم يذكر ذنباً ولكنه قال نفسي! نفسي! نفسي! اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيأتوني، فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربّي عزّ وجلّ، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا ربّ أمتي ياربّ، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إنّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكّة وحمير، أو كما بين مكّة وبصرى".

وفي هذه الأحاديث يقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّه سيد الناس يوم القيامة! ويقول بأنّ موسى قال: يارب ما كنت أظنّ أن يرفع علي أحدٌ. ويقول بأنّ موسى بكى وقال: يا ربّ هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي.

ونفهم من خلال هذه الأحاديث بأن كلّ الأنبياء والمرسلين من آدم حتى عيسى مروراً بنوح وإبراهيم وموسى (عليهم وعلى نبينا أفضل الصّلاة وأزكى التسليم) لن يشفعوا عند الله يوم القيامة وخص الله بها محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم ونحن نؤمن بكل ذلك ونقول بتفضيله صلّى الله عليه وآله وسلّم على سائر البشر ولكنّ الإسرائيليين وأعوانهم من بني أمية لم يتحملوا هذا الفضل والفضيلة لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى اختلقوا روايات تقول بتفضيل موسى عليه، وقد مرّ بنا في خلال أبحاث سابقة قول موسى لمحمد ليلة الإسراء والمعراج ولما فرض الله عليه خمسين صلاة: قال له موسى أنا أعلم بالناس منك. وهذا لم يكف فاختلقوا روايات أخرى تقول بتفضيله (أي موسى على محمد) على لسان محمد نفسه فإليك بعض هذه الروايات.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب التوحيد باب في المشيئة

والإرادة وما تشاؤون إلا أن يشاء الله.

عن أبي هريرة قال: استبّ رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العاملين في قسمٍ يقسم به فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم اليهوديَّ فذهب اليهوديُّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبره بالذي كان من أمره وأمر المسلم فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: لا تخيروني على موسى فإنّ الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله.

وفي رواية أخرى للبخاري قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم قد لطم وجهه وقال: يا محمد إن رجلاً من أصحابك من الأنصار لطم في وجهي، قال: ادعوه فدعوه قال: لما لطمت وجهه؟ قال: يا رسول الله إني مررت باليهود فسمعته يقول: والذي اصطفى موسى على البشر فقلت: وعلى محمد وأخذتني غضبة فلطمته.

قال: لا تخيروني من بين الأنبياء فإنّ الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جزي بصعقة الطّور.

كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن سورة يوسف عليه الصلاة والسلام باب قوله فلما جاءه الرسول:

عن أبي هريرة: قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الدّاعي ونحن أحقّ من إبراهيم إذا قال له أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي.

ولم يكفهم كل ذلك حتى جعلوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

من الشاكين حتى في مصيره عند ربّه فلا الشفاعة ولا المقام المحمود ولا تفضيله على الأنبياء والمرسلين ولا تبشير بالجنة لأصحابه إذا كان هو نفسه لا يعرف مصيره يوم القيامة. إقرأ معي هذه الرواية التي أخرجها البخاري وأعجب أو لا تعجب.

أخرج البخاري في صحيحه باب في الجنائز من كتاب الكسوف من جزئه الثاني الصفحة 71.

عن خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء أمرأةً من الأنصار بايعت النبي صلّى الله عليه وسلّم أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعةً فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في أبياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفّي وغسّل وكفّن في أثوابه دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقلت: رحمة الله عليك أبا السّائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: وما يدريك أن الله أكرمه؟ فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله، فقال عليه السلام: أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي.

قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً.

إن هذا لشيء عجاب والله! فإذا كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقسم بالله أنه لا يدري ما يفعل به، فماذا يبقى بعد هذا.

وإذا كان الله سبحانه يقول (بل الإنسان على نفسه بصيرة) وإذا كان الله يقول لنبيه: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً) [الفتح: 1].

وإذا كان دخول الجنة للمسلمين موقوفاً على اتباعه وإطاعته والتصديق به، فكيف نصدّق هذا الحديث الذي لا أقبح منه نعوذ بالله من عقيدة بني أمية الذين ما كانوا يؤمنون يوماً بأن محمداً هو رسول الله حقاً وإنما كانوا

يعتقدون بأنه ملك تغلب علي الناس بذكائه ودهائه. وهذا ما صرح به أبو سفيان ومعاوية ويزيد وغيرهم من خلفائهم وحكّامهم.

النبي يتناقض مع العلم والطب

إن العلم يثبت بما لا شك فيه أن هناك بعض الأمراض التي تنقل بالعدوى وهذا ما يعرفه أغلب الناس حتى غير المثقفين، أما طلبة العلوم الذين يدرسون علم الطّب في الجامعات، فإنّهم إذا ما قيل لهم بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ينكر ذلك، فإنّهم سيسخرون ويجدون منفذاً للطّعن على نبي الإسلام خصوصاً منهم الأساتذة العلمانيين الذين يبحثون عن ثغراتٍ مثل هذه، ومع الأسف الشديد فإن من الأحاديث التي أخرجها البخاري ومسلم تؤكّد على عدم العدوى، وفيها أيضاً ما يؤكّد أن هناك عدوى، ونحن إذ نسجل هنا هذه التناقضات تحت عنوان النبي يتناقض، لا نؤمن بأنه صلّى الله عليه وسلّم تناقض مرةً واحدة في أقواله أو في أفعاله، ولكن جرياً على العادة لجلب مهجة القارىء حتى يتنبه إلى الأحاديث التي وضعت كذباً وبهتاناً على صاحب الرّسالة المعصوم، ويعرف قصدنا من تخريج أمثال هذه الأحاديث لتنزيه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وإعطاءه مكانته العلمية التي سبقت كل العلوم الحديث فليس هناك نظرية علمية صحيحة تتعارض مع حديث نبويّ صحيح، وإذا ما تعارضت أو تناقضت عرفنا بأن الحديث مكذوب عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الحديث نفسه قد يعارضه حديث آخر يتماشى مع النظرية العلمية فيجب قبول الثاني وطرح الاول كما لا يخفى.

ومثال على ذلك أسوق حديث العدوى لأنه مهم في البحث ويعطينا صورة حقيقة على تناقض الصّحابة والرّواة والوضّاعين لا على تناقض صاحب الرّسالة صلّى الله عليه وآله وسلّم فذلك لا يمكن أبداً. فالبخاري في صحيحه يذكر الحديثين وأنا أقتصر عليه لأنه اصح الكتب عند أهل السنة

لئلا يذهب المتأولون عدّة مذاهب فيقول قائل بأنّه قد يثبت عند البخاري حديثاً ويثبت عكسه عند غيره من المحدّثين. ويلاحظ القارىء بأنني في هذا الباب اقتصرت على البخاري وحده، في تناقض الأحاديث.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الطّب في باب لا هامة، عن أبي هريرة: قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: "لا عدوى ولا صفر ولا هامة" فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظّباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: فمن أعدى الأول؟

أنظر إلى هذا الأعرابي كيف يهتدي بفطرته إلى طبيعة الأمراض المعدية من خلال البعير الأجرب الذي يجرب كل الإبل إذا خالطها، بينما لا يجد الرسول جواباً على سؤال الأعرابي يقنعه به، فيقول: فمن أعدى الأول؟ ويصبح هو الذي يسأل.

وهذا أيضاً يذكّرني بالطبيب الذي سأل الأم التي جاءت بولدها المصاب بالحصبة: هل عندكم في البيت أو في الجيران من هو مصاب بهذا الداء؟ فقالت الأم: كلاّ. فقال الطّبيب لعلّه التقطها من المدرسة؟ فأجابت الأم على الفور: كلاّ إنه لم يدخل بعد إلى المدرسة فعمره أقل من خمس سنين. فقال: ففي الروضة إذن. قالت: لا إنه لا يذهب للروضة. فقال الطبيب: لعلّك ذهبت به إلى زيارة بعض أقاربك أو زاركم بعض الأقارب الذي يحمل الجرثومة. فأجابت بالنفي! وعند ذلك قال لها الطبيب: جاءت إليه الجرثومة في الهواء.

نعم فالهواء يحمل الجراثيم والأمراض المعدية وقد يصيب قرية كاملة أو مدينة بأكملها ولذلك وجد التلقيح والوقاية لما قد تحمله الرياح من أمراض فتاكة كالوباء والطّاعون وغير ذلك. فكيف يخفى كل ذلك على من لا ينطق عن الهوى؟ إنّه رسول رب العالمين الذي لا يعزب عن علمه شيء

إنّه لا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ولذلك نحن نرفض هذا الحديث ولا نقبله أبداً ونقبل الحديث الثاني الذين أخرجه البخاري نفسه وفي نفس الصفحة ونفس الباب وفي نفس الحديث إذ يقول: وعن أبي سلمة سمع أبا هريرة بعد يقول: قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: لا يوردن ممرض على مصح، وأنكر أبو هريرة حديثه الأول. قلنا: ألم تحدّث أنّه لا عدوى، فرطن بالحبشية، قال أبو سلمة: فما رأيته نسي حديثاً غيره.

مع أن الحديثين المتناقضين (لا عدوى، ولا يوردن ممرضٍ على مصح) رواهما أيضاً مسلم في صحيحه في كتاب السّلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يوردن ممرض على مصح.

ومن خلال هذه الأحاديث نعلم أنّ حديث لا يوردن ممرض على مصح هو الحديث الصحيح الذي قاله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنه لا يتناقض مع العلم وأمّا حديث لا عدوى فهو مكذوب عليه لأنّه حديث جاهل بالحقائق الطبيعية ولذلك فهم بعض الصّحابة تناقض الحديثين فعارضوا أبا هريرة واستغربوا منه حديثه الأول، ولم يجد أبو هريرة مخرجاً من هذه الورطة فرطن بالحبشية. يقول شارح البخاري: تكلّم غضباً بما لا يفهم!..

ومما يزيدنا تأكيداً بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان أسبق مما أثبته العلم حديثاً في خصوص الأمراض المعدية أنّه كان يحذّر المسلمين من الطّاعون ومن الجذام ومن الوباء وغير ذلك.

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء باب حدثنا أبو اليمان وكذلك مسلم في صحيحه كتاب السّلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة وغيرها.

* عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

"الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه، وفي رواية لا يخرجكم إلاّ فراراً منه.

وقد صح عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله في هذا المعنى: فرّ من المجذوم فرارك من الأسد، وقوله: إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء وقوله: إذا ولغ الكلب في أناء أحدكم فاغسلوه سبع مرات أحداهن بالتراب كل ذلك ليعلم أمته النظافة وأسباب الصحة والوقاية، لا أن يقول لهم: إذا سقط الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، وهذا سبق الحديث عنه فليراجع.

على أننا نجد التناقض ظاهراً حتى في ما يختصّ بالهامة التي كان يتشاءم العرب بها وهي الطائر المعروف من طير الليل وقيل هي البومة وهو تفسير

مالك بن أنس ـ فإذا كان النبي صلّى الله عله وآله وسلّم يقول: لا هامة فكيف يتناقض ويتعوذ منها.

فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب يزفون النسلان في المشي من جزءه الرابع صفحة 119.

عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يعوذ الحسن والحسين ويقول إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق. أعوذ بكلمات الله التامة من كلّ شيطان وهامة ومن كل عين لامة.

نعم أردنا في هذا الفصل أن نذكر بعض الأمثلة من الأحاديث المتناقضة التي تنسب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو منها بريء.

وهناك مئات الأحاديث الأخرى المتناقضة التي أخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما وقد ضربنا عليها صفحاً لما عودنا القارىء دائماً بالاختصار والإشارة، وعلى الباحثين أن يكبّوا على دراسة ذلك عسى أن

يظهر الله بهم سنة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويثيبهم الأجر العظيم ويكونوا سبباً في تنقية الحق من الأباطيل ويقدّموا إلى الرجل الجديد أبحاثاً قيمة تكون في مستوى رسالة الإسلام.

(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) [الأحزاب: 71].

الفصل الثامن

البخاري ومسلم

لما لهذين الكتابين من أهمّية بالغة لدى أهل السنّة والجماعة حتّى أصبحا عند عامّة المسلمين المرجعين الأساسيّين والمصدرين الأوّلين في كلّ المباحث الدينية وأصبح من العسير على بعض الباحصين أن يصرّحوا بما يجدوه من تهافت وتناقض ومنكراتٍ فيتقبّلونها على مضض ولا يكاشفون بها قومهم خشيةً منهم أو خشيته عليهم. لما في نفوسهم من احترام وتقديس لهذين الكتابين. والحقيقة أنّ البخاري ومسلم ما كان يوماً يحلمان بما سيصل إليه شأنهما عند علماء النّاس وعامّتهم.

ونحن إذا قدمنا على نقدهما وتخريج بعض المطاعن عليهم اليس ذلك إلا لتنزيه نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم وعدم الخدش في عصمته. وإذا كان بعض الصّحابة لم يسلم من هذا النقد والتجريح للغرض نفسه. فما البخاري ومسلم بأفضل من أولئك المقرّبين لصاحب الرسالة.

وما دمنا نهدف إلى تنزيه النّبي العربي صلّى الله عليه وآله وسلّم ونحاول جهدنا إثبات العصمة له وأنّه أعلم وأتقى البشر على الإطلاق ونعتقد أن الله سبحانه وتعالى اصطفاه ليكون رحمة للعالمين وأرسله للنّاس كافة من الإنس والجنّ. فلا شك أنّ الله يطالبنا بتنزيه وتقديسه وعدم قبول المطاعن فيه. ولذلك نحن وكلّ المسلمين مطالبون بطرح كلّ ما يتعارض والخلق

العظيم الذي اختصّ به. وطرح كل ما يتعارض مع عصمته أو ما يمسّ شخصه الكريم من قريب أو بعيد. فالصّحابة والتّابعين والأئمة والمحدّثين وكلّ المسلمين وحتى النّاس أجمعين مدينون لفضله ومزيّته. فالمنتقدون والمعارضون والمتعصّبون سوف تثور ثائرتهم كالعادة على كل ما هو جديد عليهم. ولكن رضا الله سبحانه هو الغاية ورضا رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الأمل. وهو الذخر والكنز والرّصيد يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ولنا مع كل ذلك رضا وتعزيّة المؤمنين الصادقين الذين عرفوا قدر الله وقدر رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل أن يعرفوا قدر الحكّام والخلفاء والسّلاطين.

أذكر أنّي لقيت معارضة شديدة حتّى أتهمت بالكفر والخروج عن الدّين عندما انتقدت البخاري في تخريجه حديث لطم موسى لملك الموت وفقأ عينه. وقيل لي: من أنت حتى تنتقد البخاري؟ وأثاروا حولي ضجّة وضوضاء وكأني انتقدت آية من كتاب الله.

والحال أنّ الباحث إذا ما تحرّر من قيود التقليد الأعمى والتعصّب المقيت سوف يجد في البخاري ومسلم أشياء عجيبة وغريبة تعكس بالضّبط عقليّة العربي البدوي الذي ما زال فكره جامداً يؤمن ببعض الخرافات والأساطير. ويميل فكره إلى كل ما هو غريب. وليس هذا بعيب ولا نتّهمه بالتخلّف الذهني فليس عصره البدائي هو عصر الأقمار الصّناعية ولا التلفزيون والهاتف والصاروخ.

وإنّما لا نريد أن يلصق ذلك بصاحب الرسالة صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّ الفرق كبير والبون شاسع. فهو الذي بعثه الله في الأميّين يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة. وبما أنه خاتم الأنبياء والمرسلين فقد علمه الله علم الأولين والآخرين.

كما نلفت القارىء الكريم بأنّ ليس كل ما في البخاري هو منسوب

إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. فقد يخرج البخاري حديثاً للنّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ثم يعقب عليه بآراء بعض الصّحابة فيصبح القارىء يعتقد بأنّ ذلك الرأي أو الحديث هو لرسول الله في حين أنّه ليس له.

أضرب لذلك مثلاً:

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الحيل باب في النكاح من جزء الثامن صفحة 62 قال:

* عن أبي هريرة عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: لا تنكح البكر حتى تستأذن ولا الثّيب حتى تستأمر. فقيل: يا رسول الله كيف إذنها؟ قال: إذا سكتت. وقال بعض النّاس إن لم تستأذن البكر ولم تزوج فاحتال رجلٌ فأقام شاهدي زور أنه تزوجها برضاها فأثبت القاضي نكاحها والزوج يعلم أن الشهادة باطلة فلا بأس أن يطأها وهو تزويج صحيح. فانظر إلى قول البخاري (بعد حديث النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقال بعض النّاس! فلماذا يصبح قول بعض النّاس (وهم مجهولون) بأنّ النكاح بشهادة الزور هو نكاح صحيح. فيتوهّم القارىء بأنّ ذلك هو رأي الرّسول. وهو غير صحيح.

مثال آخر ـ أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب مناقب المهاجرين وفضلهم من جزئه الرابع صفحة 203 عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنّا في زمن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لا نعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لا نفاضل بينهم.

إنّه رأي عبدالله بن عمر ولا يلزم به إلا نفسه. وإلا كيف يصبح علي بن أبي طالب وهو أفضل النّاس بعد رسول الله. لا فضل له ويعده عبدالله بن بن عمر من سوقة النّاس.

ولذلك تجد عبدالله بن عمر يمتنع عن بيعة أمير المؤمنين ومولاهم.

فمن لم يكن عليّ وليه فليس بمؤمن(1) والذي قال النّبي في حقّه: عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي(2) . وبايع عدوّ الله ورسوله وعدوّ المؤمنين الحجّاج بن يوسف الفاسق الفاجر. ونحن لا نريد العودة إلى مثل هذه المواضيع. ولكن نريد فقط أن نظهر للقارىء نفسيات البخاري ومن كان على شاكلته فهو يخرج هذا الحديث في باب مناقب المهاجرين وكأنه يشعر من طرف خفيّ إلى القرّاء بأنّ هذا رأي الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بينما هو رأي عبدالله بن عمر الذي ناصب العداء للإمام علي.

وسنبيّن للقارىء اللّبيب موقف البخاري في كل ما يتعلّق بعلي بن أبي طالب. وكيف أنّه يحاول جهده كتمان فضائله وإظهار المثالب له.

كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب حدّثنا الحميدي قال: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان حدّثنا جامع بن أبي راشدٍ حدثنا أبو يعلى عن محمّد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي النّاس خير بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان. قلت: ثم أنت. قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

نعم هذا الحديث وضعوه على لسان محمد بن الحنفية وهو ابن الإمام علي بن أبي طالب. وهو كسابقه الذي روي عن لسان ابن عمر. والنتيجة في الأخير هي واحدة ولو خشي ابن الحنفية أن يقول أبوه: عثمان في الثالثة. ولكن ردّ أبيه «ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين» يفيد بأنّ عثمان أفضل منه لأنّه ليس هناك من أهل السنّة من يقول بأنّ عثمان ليس هو إلا رجلٌ من المسلمين بل يقولون كما تقدّم بأنّ أفضل الناس أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لا نفاضل بينهم. والنّاس بعد ذلك سواسية.

---

(1) الصواعق المحرقة لابن حجر: 107.

(2) صحيح الترمذي: 5/297. مستدرك الحاكم: 3/124.

ألا تعجبون من هذه الأحاديث التي خرجها البخاري وكلّها ترمي إلى هدف واحد وهو تجريد علي بن أبي طالب من كل فضيلة ألا يفهم من ذلك بأنّ البخاري كان يكتب كل ما يرضي بني أمية وبني العبّاس وكل الحكّام الذين قاموا على أنقاض أهل البيت. إنّها حجج دامغة لمن أراد الوقوف على الحقيقة.

البخاري ومسلم يذكران أي شيء لتفضيل أبي بكر وعمر

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب حدّثنا أبو اليمان من جزئه الرابع صفحة 149.

وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

عن أبي هريرة قال: صلّى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صلاة الصّبح ثم أقبل على النّاس فقال: «بينما رجلٌ يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت: إنا لم نخلق لهذا؛ إنّما خلقنا للحرث فقال الناس: سبحان الله! بقرة تتكلّم؟ فقال: «فإنّي أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر» وما هما ثم. «وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة. فطلبه حتى كأنه استنقذها منه. فقال له الذئب: ها إنّك استنقذتها مني. فمن لها يوم السّبع. يوم لا راعي لها غيري؟» فقال النّاس. سبحان الله! ذئب يتكلم؟ قال: «فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر» وما هما ثمّ.

وهذا الحديث ظاهر التكلّف وهو من الأحاديث الموضوعة في فضائل الخليفتين. وإلا لماذا يكذب النّاس وهم صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وما يقوله لهم حتّى يقول في المرّتين: أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر ثم أنظر كيف يؤكّد الرّاوي على عدم وجود أبي بكر وعمر في المرّتين. إنها فضائل مضحكة ولا معنى لها. ولكنّ القوم كالغرقى يتشبثون بالحشيش.

والوضّاعون عندما لم يجدوا مواقف أو أحداث هامة تذكر لهما. تتخيل أوهامهم مثل هذه الفضائل. فيجيء أغلبها أحلاماً وأوهاماً وتأوّلات. لا تقوم على دليل تاريخي أو منطقي أو علمي. كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب فضائل أصحاب النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم باب قول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لو كنت متخذاً خليلاً.

ومسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصّحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

* عن عمرو بن العاص. أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. بعثه على جيش ذات السلاسل. فأتيته فقلت: أي النّاس أحب إليك؟ قال: عائشة فقلت: من الرّجال؟ قال: أبوها. قلت: ثم من. قال: عمر بن الخطاب فعدّ رجالاً.

وهذه الرّواية وضعها الوضّاعون لمّا عرفوا أنّ التاريخ سجّل في سنة ثمان من الهجرة (يعني سنتين قبل وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم) بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعث جيشاً فيه أبو بكر وعمر بقيادة عمرو بن العاص إلى غزوة ذات السّلاسل. وحتى يقطعوا الطريق على من يريد القول بأنّ عمرو بن العاص كان مقدّماً في المنزلة على أبي بكر وعمر. تراهم اختلقوا هذه الرواية على لسان عمرو نفسه للإشادة بفضل أبي بكر وعمر وأقحموا عائشة حتّى يبعدوا الشكّ من ناحية وحتّى تحظى عائشة بأفضلية مطلقة من ناحية أخرى.

ولذلك ترى الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم يقول: «هذا تصريح بعظيم فضائل أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم. وفيه دلالة بيّنة لأهل السنّة في تفضيل أبي بكر ثم عمر على جميع الصحابة».

وهذه كأمثالها من الروايات الهزيلة التي لم يتورّع الدجّالون لوضعها حتّى على لسان علي بن أبي طالب نفسه ليقطعوا بذلك على زعمهم حجة

الشيعة الذين يقولون بتفضيل علي بن أبي طالب على سائر الأصحاب من ناحية وليوهموا المسلمين بأن عليّاً لم يكن يتظلّم ولا يتشكّى من أبي بكر وعمر من ناحية أخرى. فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب فضائل أصحاب النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص.

ومسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه.

* عن علي، عن ابن عبّاس قال: وضع عمر على سريره، فتكنّفه الناس، يدعون ويصلّون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل أخذ منكبي، فإذا علي، فترحّم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحبّ إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أنّي كنت كثيراً ما أسمع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر.

نعم هذا وضع ظاهر يشم منه رائحة السّياسة التي لعبت دورها في إقصاء فاطمة الزهراء وعدم دفنها قرب أبيها رغم أنها أول اللاحقين به. وفات الرّاوي هنا أن يضيف بعد قوله ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، وسأدفن أنا وأبو بكر وعمر.

ألا يتورع هؤلاء الذين يحتجّون بمثل هذه الروايات الموضوعة التي يكذبها التاريخ والواقع. وكتب المسلمين مشحونة بتظلّم علي وفاطمة الزهراء ممّا فعله أبو بكر وعمر طيلة حياتهما.

ثم تمعّن في الرواية لترى بأنّ الرّاوي يصوّر عليّاً وكأنّه رجلٌ أجنبي جاء ليتفرّج على ميّت غريب فوجد النّاس يكتظون عليه يدعون ويصلّون فأخذ بمنكب ابن عباس وكأنه همس في أذنه تلك الكلمات وانسحب، والمفروض أن يكون علي في مقدمة النّاس وهو الذي يصلّي بهم. ولا

يفارق عمر حتى يواريه حفرته.

ولما كان النّاس في عهد بني أميّة يتسابقون في وضع الحديث بأمر من «أمير المؤمنين» معاوية الذي أراد أن يرفع قدر أبي بكر وعمر مقابل فضائل علي بن أبي طالب، فقد جاءت أحاديث الفضائل هزيلة مضحكة ومتناقضة في بعض الأحوال حسب هوى الرّاوي فمنهم التيمي الذي كان لا يقدّم على أبي بكر أحداً ومنهم العدوي الذي لا يقدّم على عمر أحداً، وبنو أمية الذين كانوا معجبين بشخصية ابن الخطاب الجريء على النّبي والفظ الغليظ الذي لا يتورّع من شيء ولا يهاب شيء فكانوا كثيراً ما يمدحونه ويضعون الأحاديث التي تفضّله على أبي بكر.

وإليك أيها القارىء بعض الأمثلة.

أخرج مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصّحابة باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه.

وأخرج البخاري في صحيحه من كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال.

* عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: بينما أنا نائم رأيت النّاس يعرضون علي، وعليهم قمص، منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما دون ذلك، وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا: فما أوّلت ذلك يا رسول الله؟ قال: الدين.

وإذا كان تأويل النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لهذه الرؤيا، هو الدّين فمعنى ذلك ان عمر بن الخطاب أفضل من كل النّاس لأنّ الدّين بالنسبة إليهم لم يبلغ إلى الثدي وما تجاوز الدّين قلوبهم، بينما عمر مليء بالدّين من رأسه إلى أخمص قدميه وأكثر من ذلك فهو يجرّ الدين وراءه جراً. كما يجرّ القميص. فأين أبو بكر

كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب العلم باب فضل العلم. وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصّحابة باب فضائل عمر.

* عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن، فشربت حتّى إنّي لأرى الري يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب، قالوا: فما أوّلته يا رسول الله؟ قال: العلم.

أقول فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ وإذا كان ابن الخطاب قد فاق الأمة بأكملها أو النّاس بأجمعهم في الدّين بما فيهم أبو بكر. ففي هذه الرواية صراحة بأنّه فاقهم أيضاً في العلم فهو أعلم النّاس بعد الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

بقيت هناك فضيلة أخرى يتبارى النّاس في التحلّي بها والإنتماء إليها وهي من الصفات الحميدة التي يحبّها الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويحبّها جميع النّاس ويحاولون الوصول إليها ألا وهي الشجاعة فلا بدّ للرّواة أن يضعوا فيها حديثاً لفائدة أبي حفص وقد فعلوا.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب فضائل أصحاب النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم باب قول النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لو كنت متخذاً خليلاً.

وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصّحابة باب من فضائل عمر.

* عن أبي هريرة: قال: سمعت النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: بينما أنا نائم رأيتني على قليب، عليها دلوٌ، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف، والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غرباً فأخذها ابن الخطّاب، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن.

فإذا كان الدّين وهو مركز الإيمان والإسلام والتقوى والتقرب إلى الله

سبحانه قد حازه عمر بن الخطاب حتّى جرّه وراءه بينما النّاس لم يكن نصيبهم منه إلا ما يبلغ الثدي وبقيت أجسامهم عارية، وإذا كان العلم اختصّ به عمر بن الخطاب فلم يترك للنّاس شيئاً من فضل الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ أعطاه إليه فشربه كلّه ولم يفكّر حتّى في صاحبه أبي بكر الصّديق (وهو لا شك العلم الذي خوّل عمر أن يغيّر أحكام الله بعد وفاة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، باجتهاده ولا شك أنّ اجتهاده من فضل ذلك العلم) وإذا كانت القوة والشجاعة قد اختصّ بها ابن الخطاب أيضاً بعد الضعف الذي بدا على صاحبه أبي بكر وهذا صحيح، ألم يقل له أبو بكر مرة (لقد قلت لك أنك أقوى على هذا الأمر منّي ولكنّك غلبتني) فيغفر الله لأبي بكر لضعفه ولتقدّمه في الخلافة عليه، لأن أنصار عمر من بني عدي وبني أميّة ما رأوا رخاءً وانتفاعاً وغنائم وفتوحات مثل ما رأوه في زمانه.

نعم كل هذا فضل عمر بن الخطاب في الحياة الدنيا فلا بدّ أن يضمنوا له الجنة في الآخرة أيضا بمرتبة أكبر وأفضل من صاحبه أبي بكر. وقد فعلوا.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنّها مخلوقة وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر.

* عن أبي هريرة: رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، إذ قال: «بينما أنا نائم»، رأيتني في الجنّة، فإذا امرأةٌ تتوضّأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته فولّيت مدبراً، فبكى عمر، وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟.

أخي القارىء أظنّك فطنت إلى تنسيق هذه الروايات المكذوبة وقد سطّرت على كل منها تحت عبارة واحدة مشتركة في كل الروايات التي

اختصّت بفضائل عمر بن الخطاب ألا وهي قول الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم (وحاشاه طبعاً) بينما أنا نائم فتجدها دائماً في كل الرّوايات بينما أنا نائم رأيت النّاس يعرضون عليّ بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن. بينما أنا نائم رأيتني على قليب وبينما أنا نائمٌ رأيتني في الجنة. ولعلّ راوي الحديث كان كثير الحلم والأضغاث فكان يتأوّل ويختلق الروايات على لسان النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. فكم كذب عليه في حياته وهو موجود بين ظهرانيهم فكيف بعد وفاته وقد انحرفت الأمّة وتقاتلوا وأصبحوا مذاهب وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون. ولكن بقي شيء واحدٌ سجّله المؤرّخون والصّحابة الذين كانوا من أنصار عمر بن الخطاب نفسه ألا وهو الخلق الذي كان يمتاز به عمر في الغلظة والفظاظة والشدّة على الناس وحدّة الطبع. ومن كان هذا طبعه عادة لا يحبّه الناس قال تعالى: (ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك) [آل عمران: 159]. ولكنّ المعجبين بعمر يقلّبون الموازين ويجعلون من النقيصة منقبة ومن الرذيلة فضيلة. فقد عمدوا إلى اختلاق رواية في شدّة السخافة والبلاهة والمسّ بكرامة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي يشهد الله سبحانه بأنّه ليس فظّاً ولا غليظاً وإنما هو ليّن الطبع ـ فبما رحمة من الله لنت لهم ـ وإنّك لعلى خلق عظيم ـ بالمؤمنين رؤوف رحيم ـ ورحمة للعالمين ـ فلنستمع إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون فيه.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر.

* عن سعد بن أبي وقاص. قال: استأذن عمر على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعنده نساءٌ من قريش يكلّمنه. ويستكثرنه. عالية أصواتهنّ. فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب. فأذن له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يضحك. فقال عمر: أضحك الله سنّك يا رسول الله؟ قال: «عجبت من هؤلاء اللاّتي كن عندي فلمّا سمعن

صوتك ابتدرن الحجاب. قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحقّ أن يهبن. ثم قال: أي عديّات أنفسهن! أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. قلن: نعم! أنت أفظُّ وأغلظ من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قطُّ سالكاً فجّاً إلا سلك فجّاً غير فجّك.

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذباً أنظر إلى فظاعة الرّواية وكيف أنّ النّساء يهبن عمر ولا يهبن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويرفعن أصواتهن فوق صوت النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا يحترمنه فلا يحتجبن بحضرته وبمجرد سماع صوت عمر سكتن وابتدرن الحجاب. عجبت والله من أمر هؤلاء الحمقى الذين لا يكفيهم كل ذلك حتى ينسبون إليه أنّه فظٌّ غليظ بكل صراحة. لأنّ عمر أفظّ وأغلظ من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فهي من أفعال التفضيل فإن كانت هذه فضيلة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فعمر أفضل منه. وإن كانت رذيلة فكيف يقبل المسلمون وعلى رأسهم البخاري ومسلم مثل هذه الأحاديث.

ثم لم يكفهم كل ذلك حتّى جعلوا الشيطان يلعب ويمرح بحضرة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا يخافه فلا شك أنّ الشيطان هو الذي استفزّ النسوة حتى يرفعن أصواتهنّ ويخلعن حجابهنّ. ولكنّ الشيطان هرب وسلك فجّاً آخر بمجرد دخول عمر بيت الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

هل رأيت أيّها المسلم الغيور ما هي قيمة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم عندهم. وكيف أنهم يقولون من حيث يشعرون أو لا يشعرون بأنّ عمر أفضل منه. وهو بالضبط ما يقع اليوم عندما يتحدّثون عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويعدّدون أخطاءه المزعومة ويبرّرون ذلك بأنّه بشر غير معصوم وبأنّ عمر كثيراً ما كان يصلح أخطاءه. وأنّ القرآن كان ينزل بتأييد عمر في العديد من المرّات. ويستدلّون بعبس وتولّى وبتأبير النخل وبأسرى بدر وغيرها.

ولكنّك عندما تقول أمامهم بأنّ عمر أخطأ في تعطيل سهم المؤلفة قلوبهم. أو في تحريم المتعتين أو في التفضيل في العطاء فإنّك ترى أوداجهم تنتفخ

وأعينهم خمّر ويتّهمونك بالخروج عن الدّين ويقال لك من أنت يا هذا حتى تنتقد سيدنا عمر الفاروق الذي يفرق بين الحقّ والباطل. وما عليك إلا أن تسلّم ولا تحاول الكلام معهم ثانية وإلاّ قد يلحقك منهم الأذى.

البخاري يدلّس الحديث حفاظاً على كرامة عمر بن الخطاب

نعم إنّ الباحث إذا ما تتّبع أحاديث البخاري لا يفهم الكثير منها وتبدوا كأنها ناقصة أو مقطّعة وأنّه يخرج نفس الحديث بنفس الأسانيد ولكنّه في كل مرّة يعطيه ألفاظاً مختلفة في عدّة أبواب. كل ذلك لشدة حبه لعمر بن الخطاب. ولعلّ ذلك هو الذي رغّب أهل السنّة فيه فقدّموه على سائر الكتب رغم أن مسلماً أضبط وكتابه مرتب حسب أبواب، إلا أن البخاري عندهم أصحّ الكتب بعد كتاب الله لأجل هذا ولأجل انتقاصه فضائل علي بن أبي طالب. فالبخاري عمل من جهة على تقطيع الحديث وبتره إذ كان فيه مسّ بشخصية عمر. كما عمل نفس الأسلوب مع الأحاديث التي تذكر فضائل علي. وسنوافيك ببعض الأمثلة على ذلك قريباً إن شاء الله.

بعض الأمثلة على تدليس الحديث التي فيها
حقائق تكشف عن عمر بن الخطاب

1 ـ أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الحيض باب التيمم قال: جاء رجل إلى عمر فقال: إنّي أجنبت فلم أجد ماءً؟ فقال عمر: لا تصلّ فقال عمّار: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرّية فأجنبنا فلم نجد ماءً فأما أنت فلم تصلّ. وأما أنا فتمعّكت في التّراب وصلّيت فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّما كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفّيك. فقال عمر: إتّق الله يا عمّار! قال: إن شئت لم

أحدّث به. وأخرج هذه الرّواية كلّ من أبي داود في سننه وأحمد بن حنبل في مسنده والنّسائي في سننه والبيهقي وابن ماجه أيضاً.

ولكنّ البخاري خان الأمانة أمانة نقل الحديث كما هو ومن أجل الحفاظ على كرامة عمر دلّس الحديث لأنه لم يعجبه أن يعرف النّاس جهل الخليفة بأبسط قواعد الفقه الإسلامي وإليك الرواية التي تصرّف فيها البخاري.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب التيمّم باب المتيمم هل ينفخ فيهما.

* قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب. فقال: إنّي أجنبت فلم أصب الماء. فقال عمّار بن ياسر لعمر بن الخطاب: أما تذكر أنّا كنّا في سفرٍ أنا وأنت... الحديث.

وهو كما ترى حذف منه البخاري «فقال عمر: لا تصلّ» لأنها أربكت ولا شك البخاري فحذفها وتخلّص منها لئلا يكشف للنّاس عن مذهب عمر الذي كان يرتئيه في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم واجتهاده مقابل نصوص القرآن والسنّة. وبقاءه على مذهبه هذا حتّى بعد ما أصبح أميراً للمؤمنين وأخذ ينشر مذهبه في أوساط المسلمين وقد قال ابن حجر: «هذا مذهب مشهور عن عمر» والدّليل على أنّه كان يشدّد على ذلك قول عمار له: إن شئت لم أحدّث به. فاقرأ وأعجب.

2 ـ أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك من جزئه الثاني صفحة 514 وصحّحه الذهبي في تلخيصه.

* عن أنس بن مالك قال: إن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر قوله: فأنبتنا فيها حبّاً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأبّاً. قال: كل هذا عرفناه فما الأب. ثم قال: هذا لعمر الله هو التكلّف فما عليك أن لا تدري ما الأبّ. اتبعوا ما بيّن لكم هداه من الكتاب فاعملوا به وما لم

تعرفوه فكلوه إلى ربّه.

وهذه الرّواية قد نقلها أغلب المفسّرين في كتبهم وتفاسيرهم لسورة عبس كالسّيوطي في الدر المنثور والزمخشري في الكشاف، وابن كثير في تفسيره. والرّازي في تفسيره والخازن في تفسيره.

ولكنّ البخاري وكعادته حذف الحديث وأبتره لئلا يعرف النّاس جهل الخليفة بمعنى الأبّ فروى الحديث كالآتي.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه قول الله تعالى لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم.

* عن أنس بن مالك قال: كنّا عند عمر فقال: نهينا عن التكلّف. نعم هكذا يفعل البخاري بكل حديث يشمّ منه انتقاصاً من عمر فكيف يفهم القارىء من هذا الحديث المبتور حقيقة الأشياء فهو يستر جهل عمر بمعنى الأب ويقول فقط قال: نهينا عن التكلّف.

3 ـ أخرج ابن ماجة في سننه: 2/227 والحاكم في المستدرك: 2/59، وأبو داود في سننه: 2/402 والبيهقي في سننه: 6/264 وابن حجر في فتح الباري وغيرهم.

* عن ابن عباس أنه قال: أتي عمر بمجنونة قد زنت فاستشار فيها أناساً فأمر بها أن ترجم، فمرّ بها علي بن أبي طالب فقال: ما شأنها؟ قالوا: مجنونة بني فلان زنت، فأمر بها عمر أن ترجم قال: ارجعوا بها ثم أتاه فقال: ألم تعلم أنّ القلم رفع عن المجنون حتّى يعقل، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصّبي حتّى يحتلم؟

فخلّى عنها عمر وقال: لولا عليّ لهلك عمر (ابن الجوزي في تذكرته ص75). ولكن البخاري أربكته هذه الرواية فكيف يعرف النّاس جهل عمر

بأمور الحدود التي رسمها كتاب الله وبيّنها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فكيف يترأس على منصّة الخلافة من كانت هذه حاله، ثم كيف يذكر البخاري هذه الرواية وفيها فضيلة لعلي بن أبي طالب الذي كان يسهر على تعليمهم ما يجهلون، واعتراف عمر بقوله أنّه لولا علي لهلك عمر، فلننظر للبخاري كيف يحرّف الرواية ويدلّسها.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب المحاربين من أهل الكفر والردّة باب لا يرجم المجنون والمجنونة «قال البخاري بدون ذكر أي سند».

* وقال علي لعمر أما علمت أنَّ القلم رفع عن المجنون حتّى يفيق وعن الصبيّ حتى يدرك وعن النائم حتى يستيقظ.

نعم هذا مثالٌ حيٌّ لتصرف البخاري في الأحاديث فهو يبتر الحديث إذا كان في فضيحة لعمر.

ويبتر الحديث أيضاً إذا كان فيه فضيلة أو منقبة للإمام علي فلا يطيق تخريجه.

4 ـ أخرج مسلم في صحيحه من كتاب الحدود باب حدّ شارب الخمر.

* عن أنس بن مالك، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أُتي برجلٍ قد شرب الخمر، فجلده بجريدتين نحو أربعين، قال: وفعله أبو بكر، فلمّا كان عمر، استشار النّاس، فقال عبد الرحمن بن عوف: أخفّ الحدود ثمانين، فأمر به عمر.

والبخاري كعادته لا يريد إظهار جهل عمر بالحكم في الحدود وكيف يستشير النّاس في حدّ معلوم فعله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثم فعله بعده أبو بكر.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الحدود باب ما جاء في ضرب شارب الخمر.

* عن أنس بن مالك أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ضرب في الخمر بالجريد والنّعال وجلد أبو بكر أربعين.

5 ـ أخرج المحدّثون والمؤرخون الذين أرّخوا مرضى النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ووفاته وكيف طلب منهم أن يكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً وهو ما سمّي برزية يوم الخميس، وكيف أنّ عمر بن الخطّاب عارض وقال بأنّ رسول الله يهجر ـ والعياذ بالله ـ.

وقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الجهاد باب هل يستشفع إلى أهل الذمّة ومعاملتهم.

وأخرجه مسلم في صحيحه من كتاب الوصية باب ترك الوصيّة لمن ليس له شيء يوصي فيه.

* عن ابن عبّاس رضي الله عنه، أنّه قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثم بكى حتّى خضب دمعه الحصباء، فقال: اشتدّ برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وجعه يوم الخميس، فقال: «ائتوني بكتاب، أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً» فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازعٌ، فقالوا: هجر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «دعوني فالذي أنا فيه خيرٌ مما تدعوني إليه» وأوصى عند موته بثلاث: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» ونسيت الثالثة.

نعم هذه هي رزية يوم الخميس التي لعب فيها عمر دور البطولة فعارض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومنعه أن يكتب وبتلك الكلمة الفاحشة التي تعارض كتاب الله ألا وهي أن النّبي يهجر والبخاري ومسلم نقلاها هنا بالعبارة الصحيحة التي نطق بها عمر ولم يبدّلاها ما دام اسم عمر غير وارد ونسبة هذا القول الشنيع للمجهول لا يضرّ.

ولكن عندما يأتي اسم عمر في الرواية التي تذكر بأنّه هو الذي تلفّظ بها يصعب ذلك على البخاري ومسلم أن يتركاها على حالها لأنها تفضح

الخليفة وتظهره على حقيقته العارية وتكشف عن مدى جرأته على مقام الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والذي كان يعارضه طيلة حياته في أغلب القضايا وعرف البخاري ومسلم ومن كان على شاكلتهم بأنّ هذه الكلمة وحدها كافية لإثارة عواطف كل المسلمين حتّى أهل السنّة ضدّ الخليفة، فعمدوا إلى التّدليس، فهي مهنتهم المعروفة لمثل هذه القضايا وأبدلوا كلمة «يهجر» بكلمة «غلب عليه الوجع» ـ ليبعدوا بذلك تلك العبارة الفاحشة وإليك ما أخرجه البخاري ومسلم في نفس موضوع الرزية.

* عن ابن عباس، قال: لما حضر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: هلّم أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، فقال عمر: إنّ النبيّ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النّبي كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللّغو والاختلاف عند النّبي قال لهم: قوموا ـ قال عبدالله بن مسعود ـ فكان ابن عباس يقول: إنّ الرزية كل الرّزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم(1) .

وبما أن مسلماً، أخذها عن أستاذه البخاري فنحن نقول للبخاري مهما هذّبت العبارة ومهما حاولت تغطية الحقائق فإنّ ما أخرجته كافٍ وهو حجةٌ عليك وعلى سيّدك عمر، لأن لفظ «يهجر» ومعناه يهذي ـ أو «قد غلب عليه الوجع» ـ تؤدّي إلى نفس النتيجة لأن المتمعّن يجد أنّ النّاس حتّى اليوم يقولون «مسكين فلان تغلّبت عليه الحمّى حتى أصبح يهذي».

وخصوصاً إذا أضفنا إليها كلامه «عندكم القرآن حسبنا كتاب الله»

---

(1) صحيح البخاري كتاب المرضى باب قول المريض قوموا عني: 7/9. صحيح مسلم في كتاب الوصية باب ترد الوصي: 5/76.

ومعنى ذلك أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم انتهى أمره وأصبح وجوده كالعدم.

وأنا أتحدّى كل عالم له ضمير أن يتمعّن فقط في هذه الواقعة بدون رواسب وبدون خلفيات فسوف تثور ثائرته على الخليفة الذي حرم الأمة من الهداية وكان سبباً مباشراً في ضلالتها.

ولماذا نخشى من قول الحق ما دام فيه دفاعٌ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبالتالي عن القرآن وعن المفاهيم الإسلامية بأكملها. قال تعالى: (فلا تخشوا النّاس واخشون. ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) [المائدة: 44]. فلماذا يحاول بعض العلماء حتى اليوم في عصر العلم والنور جهدهم تغطية الحقائق بما يختلقونه من تأويلات متكلّفة لا تسمن ولا تغني من جوع.

فإليك ما ابتكره العالم محمد فؤاد عبدالباقي في شرحه لكتاب «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان» عند إيراده لحديث رزيّة يوم الخميس قال «يشرح الواقعة»(1) .

ـ ائتوني بكتاب: أي ائتوني بأدوات كتاب كالقلم والدواة. أو أراد بالكتاب ما من شأنه أن يكتب فيه نحو الكاغد والكتف؛ والظاهر أن هذا الكتاب الذي أراده إنّما هو في النصر على خلافة أبي بكر لكنّهم لما تنازعوا واشتدّ مرضه صلّى الله عليه وآله وسلّم عدل عن ذلك. معوّلاً على ما أضّله من استخلافه في الصّلاة. (ثم أخذ يشرح معنى هجر). قال: هجر: ظنّ ابن بطّال أنّها بمعنى اختلط. وابن التين أنها بمعنى هذى؛ وهذا غير لائق بقدره الرفيع. ويحتمل أن يكون المراد أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هجركم. من الهجر الذي هو ضد الوصل. لما قد ورد عليه من الواردات الإلهية. ولذا قال: في الرفيق الأعلى. وقال ابن الأثير إنّه على سبيل

_____

(1) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: 2/166.

الاستفهام وحذفت الهمزة. أي هل تغيّر كلامه واختلط لأجل ما به من المرض. وهذا أحسن ما قال فيه. ولا يجعل إخباراً فيكون إمّا من الفحش أو الهذيان. والقائل كان عمر ولا يظنّ به ذلك» انتهى كلامه.

ونحن نردّ عليك يا سيادة العالم الجليل أن الظنّ لا يغني من الحق شيئاً ويكفينا اعترافك بأنّ قائل هذا الفحش هو عمر! ومن أنبأك بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أراد أن يكتب خلافة أبي بكر؟ وهل كان عمر ليعترض على ذلك؟ وهو الذي شيّد أركان الخلافة لأبي بكر وحمل النّاس عليها غصباً وقهراً حتّى هدّد بحرق بيت الزّهراء وهل هناك من ادّعى هذا غيرك يا سيادة العالم الجليل؟

والمعروف عند العلماء قديماً وحديثاً بأنّ عليّاً بن أبي طالب هو المرشح للخلافة من قبل الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إن لم يعترفوا بالنّص عليه. ويكفيك ما أخرجه البخاري في صحيحه من كتاب الوصايا من جزئه الثالث صفحة 186. قال: ذكروا عند عائشة أنّ عليّاً رضي الله عنهما كان وصيّاً فقالت: متى أوصى إليه وقد كنت مسندته إلى صدري فدعا بالطسّت فلقد أنخنت في حجري فما شعرت أنّه قد مات فمتى أوصى إليه؟

والبخاري أخرج هذا الحديث لأنّ فيه إنكار الوصيّة من طرف عائشة وهذا ما يعجب البخاري. ولكن نحن نقول بأنّ الذين ذكروا عند عائشة أنّ رسول الله أوصى لعلي. صادقين لأنّ عائشة لم تكذّبهم ولم تنف هي نفسها الوصية ولكنها سألت كالمستنكرة متى أوصى إليه؟ ونجيبها بأنّه أوصى إليه بحضور أولئك الصحابة الكرام وفي غيابها هي. ولا شك بأنّ أولئك الصّحابة ذكروا لها متّى أوصى إليه ولكنّ الحكّام المتسلطين منعوا ذكر مثل هذه المحاجات كما منعوا ذكر الوصيّة الثالثة ونسوها. وقامت السياسة على طمس هذه الحقيقة على أنّ عمر نفسه صرّح بأنّه منع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من كتابة

الكتاب لعلمه بأنه يختصّ بخلافة علي بن أبي طالب. وقد أخرج ابن أبي الحديد. الحوار الذي دار بين عمر بن الخطاب وعبد الله بن عبّاس.

وفيه قال عمر وهو يسأل ابن عباس: هل بقي في نفس علي شيء من أمر الخلافة؟ فقال ابن عبّاس: نعم فقال عمر: ولقد أراد رسول الله في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعته من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام(1) .

فلماذا تتهرّب يا سيادة العالم من الواقع. وبدلاً من إظهار الحقّ. بعدما ولّى عصر الظلمات مع بني أميّة وبني العبّاس. ها أنتم تزيدون تلك الظلمات غشاوة وأستاراً فتحجبوا غيركم عن إدراك الحقيقة والوصول إليها. وإن كنت قلت الذي قلت عن حسن نيّةٍ فإني أسأل الله سبحانه أن يهديك ويفتح بصيرتك.

6 ـ كما أنّ البخاري فعل الكثير من أجل تبديل وتدليس وتخليط الأحاديث النّبوية التي يشعر من خلالها أنّ هناك توهيناً وانتقاصاً لهيبة أبي بكر وعمر. فها هو يعمد إلى حادثة تاريخية مشهورة قال فيها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حديثاً لم يعجب الإمام البخاري فأعفاه تماماً وكمالاً. لأنّه يرفع مكانة علي على حساب أبي بكر.

فقد روى علماء السنّة في صحاحهم ومسانيدهم. كالترمذي في صحيحه والحاكم في مستدركه وأحمد بن حنبل في مسنده والإمام النسائي في خصائصه. والطبري في تفسيره. وجلال الدّين السيوطي في تفسيره الدرّ المنثور. وابن الأثير في تاريخه. وصاحب كنز العمّال والزمخشري في الكشاف. وغير هؤلاء كثيرون. أخرجوا كلهم:

* أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعث أبا بكر رضي الله عنه وأمره ان ينادي بهؤلاء الكلمات (وهي براءة من الله ورسوله..). ثم ابتعه عليّاً رضي الله عنه وأمره أن ينادي بها هو. فقام عليٌّ رضي الله عنه في أيام التشريف فنادى: «إنّ الله بريء من المشركين ورسوله. فسيحوا في الأرض

---

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: 12/21 وذكر ابن أبي الحديد أنّ الخبر نقله أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسنداً.

أربعة اشهر. ولا يحجّنّ بعد العام مشرك ولا يطوفنّ بالبيت عريان» ورجع أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله نزل فيّ شيء؟ قال: لا ولكنّ جبرئيل جاءني فقال: لن يؤدّي عنك إلاّ أنت أو رجلٌ منك.

لكنّ البخاري كعادته دائماً أخرج الحادثة بطريقته المعروفة والمألوفة. قال في صحيحه من كتاب تفسير القرآن باب قوله: فسيحوا في الأرض أربعة أشهر.

* قال: أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجّة في مؤذّنين بعثهم يوم النّحر يؤذّنون بمنى أن لا يحجّ بعد العام مشركٌ ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميد بن عبدالرحمن ثم أردف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذّن ببراءة. قال أبو هريرة فأذّن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة وأنّ لا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان(1) .

فانظر أيها القارىء كيف تتمُّ عملية التشويه للأحاديث والأحداث حسب الأغراض والأهواء المذهبية. فهل هناك شبهٌ بين ما رواه البخاري في هذه القضية. وما رواه غيره من المحدّثين والمفسّرين من علماء أهل السنة.

والبخاري هنا يجعل أبا بكر هو الذي بعث أبا هريرة ومؤذّنين يؤذّنون بمنى أن لا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريانٌ. ثم يدخل قول حميد بن عبدالرحمن بأنّ رسول الله أردف بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذّن ببراءة.

ثم يأتي من جديد قول أبي هريرة بأنّ علي شاركهم في الأذان يوم النحر ببراءة وأن لا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

وبهذا الأسلوب قضى البخاري على فضيلة علي بن أبي طالب في أنّه

_____

(1) صحيح البخاري: 5/202 كتاب تفسير القرآن سورة براءة.

هو الذي أردفه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليبلّغ عنه براءة بعدما جاءه جبرئيل وأمره عن الله بعزل أبي بكر من تلك المهمة وقال له: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك. فصعب على البخاري أن يعزل أبو بكر بوحي من الله تعالى ويقدّم عليّاً بن أبي طالب عليه وهذا ما لا يرتضيه البخاري أبداً فعمد إلى الرواية فدلّسها كغيرها من الرّوايات.

وكيف لا يتنبّه الباحث لهذا الدّس والتزوير وخيانة الأمانة العلمية خصوصاً وهو يقرأ أنّ أبا هريرة يقول: بعثني أبو بكر في تلك الحجّة في مؤذّنين بعثهم يوم النحر! فهل كان أبو بكر هو الذي يسيّر الأمور حتى في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ وكيف أصبح المبعوث هو الباعث الذي يختار مؤذّنين من بين الصحابة يا ترى؟

وتمعّن في أسلوب البخاري كيف قلّب كل شيء فأصبح علي بن أبي طالب ـ المبعوث من قبل النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لأداء تلك المهمّة التي لا يصلح لها سواه ـ أصبح شريك النّداء مع أبي هريرة وبقية المؤذّنين دون التعرّض لعزل أبي بكر ولا رجوعه يبكي (كما في بعض الروايات) ولا التعرّض إلى قول النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم جاءني جبرئيل فقال: لن يؤدّي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك.

لأن ذلك الحديث هو بمثابة وسام الشّرف الذي قلّده رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لابن عمّه ووصيّه على أمّته علي بن أبي طالب، ثم هو صريح بأنّ ذلك ماجاء به جبرئيل حسب الحديث النّبوي، فلا يبقى بعده مجال للمتأوّلين أمثال البخاري في أنّه رأي محمدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي هو كسائر البشر والذي يخطىء لغيره، فالأولى للبخاري حينئذ أن يبعد هذه الرواية ويطرحها كلّياً من حسابه كما طرح غيرها.

فتراه يخرج في صحيحه في كتاب الصلح باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان قول الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلي بن أبي طالب «أنت منّي وأنا منك» في قضية اختصام علي وجعفر وزيد على ابنة

حمزة، في حين أنّ ابن ماجة والترمذي والنسائي والإمام أحمد وصاحب كنز العمّال كلهم يخرجون قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم «علي منّى وأنا من علي، ولا يؤدّي عنّي إلا أنا أو علي»(1) قالها في حجة الوداع، ولكن أنّى للبخاري أن يخرج ذلك.

7 ـ أضف إلى ذلك أن الإمام مسلم أخرج في صحيحه من كتاب الإيمان باب الدّليل على أنّ حب الأنصار وعليّ من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النّفاق.

* عن عليّ قال: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبيّ الأمي صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق.

وأكّد المحدّثون وأصحاب السنن قول الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلي «ولا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلاّ منافقٌ».

أخرجه الترمذي في صحيحه والنسائي في سننه، ومسند أحمد بن حنبل والبيهقي في سننه والطبري في ذخائر العقبى ـ وابن حجر في لسان الميزان ولكنّ البخاري رغم ثبوت هذا الحديث عنده والذي أخرجه مسلم ورجاله كلّهم ثقاة، لم يخرج هذا الحديث لأنّه فكّر ثم قدّر، بأنّ المسلمين سيعرفون نفاق كثير من الصّحابة ومن المقرّبين للرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

بهذه الإشارة التي رسمها من لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى. كما أن الحديث في حدّ ذاته فضيلة كبرى لعلي وحده دون سائر الناس إذ به يفرق الحقّ من الباطل ويعرف الإيمان من النّفاق. فهو آية الله العظمى وحجّته الكبرى على هذه الأمة وهو الفتنة التي يختبر الله بها أمّة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد نبيّها. ورغم أن النّفاق هو من الأسرار الباطنية التي لا

---

(1) سنن ابن ماجة: 1/44. الجامع الصحيح للترمذي: 5/300. النسائي في الخصائص 20. مسند أحمد: 5/30. المناقب للخوارزمي: 79. تذكرة الخواص لابن الجوزي: 36. الصواعق المحرقة لابن حجر: 120.

يطّلع عليها إلاّ من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ولا يعرفها إلاّ علاّم الغيوب. فإنّ الله سبحانه تفضّلاً منه ورحمةً بهذه الأمّة وضع لها علامةً ليهلك من هلك عن بيّنة وينجو من نجا عن بينةٍ.

وأضرب لذلك مثالاً واحداً على ذكاء البخاري وفطنته من هذه النّاحية. ولذلك أعتقد شخصيّاً بأنّ أهل السنّة من الأسلاف فضّلوه وقدّموه لهذه الخاصيّة التي يمتاز بها على غيره. فهو يحاول جهده أن لا يتناقض بأحاديث تخالف مذهبه الذي اختاره وتبنّاه.

فقد أخرج في صحيحه من كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها باب هبة الرّجل لامرأته والمرأة لزوجها.

* قال: أخبرني عبيد الله بن عبدالله قالت عائشة رضي الله عنها: لما ثقل النّبي صلّى الله عليه ,آله وسلّم فاشتدّ وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له فخرج بين رجلين تخطّ رجلاه الأرض وكان بين العبّاس وبين رجلٍ آخر. فقال عبيد الله فذكرت لابن عبّاس ما قالت عائشة. فقال لي وهل تدري من الرّجل الذي لم تسمّ عائشة؟ قلت: لا! قال: هو عليّ بن أبي طالب.

وهذا الحديث بالضبط أخرجه ابن سعد في طبقاته بمسند صحيح في جزئه الثاني في صفحة 29 وكذلك صاحب السيرة الحلبية وغيرهم من أصحاب السنن وفيه «إن عائشة لا تطيب له نفساً بخير».

والبخاري أسقط هذه الجملة التي يستفاد منها أنّ عائشة تبغض عليّاً ولا تطيق ذكر اسمه. ولكن فيما أخرجه كفاية ودلالة واضحة لمن له دراية بمعارض الكلم؛ وهل يخفى على أيّ باحث قرأ التاريخ ومحّصة بغض أم المؤمنين لسيّدها ومولاها(1) علي بن أبي طالب حتّى أنها عندما وصل إليها

---

(1) أخرج ابن حجر في الصواعق المحرقة: 107. قال اختصم أعرابيان إلى عمر فالتمس من علي القضاء بينهما. فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا؟ فوثب إليه عمر وأخذ بتلابيبه. وقال: ويحك ما تدري من هذا؟ هذا مولاك ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن.

خبر قتله سجدت شكراً لله. وعلى كل حال رحم الله أمّ المؤمنين وغفر لها كرامةً لزوجها. ونحن لا نضيّق رحمة الله التي وسعت كل شيء. وكان بودّنا لو لم تكن تلك الحروب والفتن والمآسي التي تسبّبت في تفريقنا وتشتيت شملنا وذهاب ريحنا حتى أصبحنا اليوم طعمة الآكلين وهدف المستعمرين وضحيّة الظّالمين. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

انتقاص أهل البيت روايات تعجب البخاري

ومع الأسف الشديد أنّ الإمام البخاري اختار طريقه وسلك سبيله ضمن مدرسة الخلفاء التي شيدتها السلطة الحاكمة. أو أن تلك المدرسة هي التي اختارت

البخاري وأمثاله وصنعت منهم ركائز وأركان ورموز لتدعيم سلطانهم وترويح مذهبهم وتصريف اجتهاداتهم التي أصبحت في عهد الأمويين والعباسيين سوقاً رائجة وسلعة رابحة لكلّ العلماء الذين تسابقوا وتباروا لتأييد الخليفة بكل أساليب الوضع والتّدليس الذي يتماشى والسّياسة القائمة، كل ذلك لينالوا عند الحاكم الجاه والمال، فباعوا أخراهم بدنياهم فما ربحت تجارتهم ويوم القيامة يندمون ويخسرون.

فالناس ناس، والزمان زمان، فأنت ترى اليوم نفس الأساليب ونفس السّياسة، فكم من عالم جليل هو حبيس داره لا يعرفه النّاس، وكم من جاهل تربّع على منبر الخطابة وإمامة الجماعة والتحكّم بمصير المسلمين لأنّه من المقرّبين الذين نالوا رضاء النظام وتأييده وإلاّ قل لي بربّك كيف يفسّر عزوف البخاري عن أهل بيت النبي الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً؟ كيف يفسّر عداء البخاري لهدي الأئمة الذين عاصر وعايش البعض منهم زمن البخاري ولم يروِ عنهم إلاّ ما هو مكذوب عليهم للحطّ

من قدرهم السّامي والطعن في عصمتهم الثابتة بالقرآن والسنّة، وسنوافيك ببعض الأمثلة على ذلك.

ثم إنّ البخاري ولّى وجهه شطر النّواصب والخوارج الذين حاربوا أهل البيت وقتلوهم فتراه يروي عن معاوية وعن عمرو بن العاص وعن أبي هريرة وعن مروان بن الحكم وعن مقاتل بن سليمان الذي عرف بالدّجال، وعن عمران بن حطّان عدوّ أمير المؤمنين وعدوّ أهل البيت، شاعر الخوارج وخطيبهم الذي كان يتغنّى بمدحه لابن ملجم المرادي على قتله علي بن أبي طالب.

كما كان البخاري يحتج بحديث الخوارج والمرجئة والمجسمة وبعض المجاهيل الذين لا يعرفون الدّهر لهم وجوداً.

وقد جاء في صحيحه إضافة إلى الكذب والتدليس من الرّواة المشهورين بذلك، بعض الرّوايات السّخيفة والبشعة. مثال ذلك ما رواه في صحيحه من كتاب النكاح باب ما يحلّ من النّساء وما يحرم وقوله تعالى: (حرّمت عليكم أمّهاتكم...) إلى آخر الآية.

قال في آخر الباب: لقوله تعالى (وأحلّ لكم ما وراء ذلكم) ، وقال عكرمة عن ابن عبّاس إذا زنى بأخت أمرأته لم تحرم عليه أمرأته، ويروى عن يحيى الكندي عن الشعبي وأبي جعفر فيمن يلعب بالصبيّ إن أدخله فيه فلا يتزوّجنّ أمّه.

وقد علّق على هذا الكلام شارح البخاري في الهامش بقوله: اللاّئق بمنصب العلماء أن يجلّوا قدرهم عن كتب مثل هذا الكلام والتفوّه به.

كما أخرج في صحيحه من كتاب تفسير القرآن باب نساؤكم حرث لكم عن نافع قال كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتّى يفرغ منه، فأخذت عليه يوماً فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكانٍ،

قال: تدري فيما أنزلت؟ قلت: لا، قال: أنزلت في كذا أو كذا، ثم مضى.

وعن نافع عن ابن عمر، فأتوا حرثكم أنّى شئتم قال: يأتيها في... وعلّق الشارح بقوله: قوله في... بحذف المجرور وهو الظرف أي في الدّبر، قيل وأسقط المؤلف ذلك لاستنكاره كذا في الشارح(2) .

كنت يوماً في جامعة السربون بباريس أتحدّث عن أخلاق النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وخلقه العظيم الذي تحدث عنه القرآن وعرف به النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى قبل البعثة فسمّوه الصّادق الأمين ودامت المحاضرة ساعة تقريباً أوضحت خلالها بأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يكن محارباً ولا غاصباً لحقوق الإنسان في تقرير مصيره، وفرض دينه بالقوة والقهر كما يدّعي بعض المستشرقين.

وخلال المناقشة التي شارك فيها نخبةٌ من الأساتذة والدكاترة المختصّين بالإسلام وتاريخ المسلمين وجلّهم مستشرقون. وانتصرت نوعاً ما على المناوئين الذين

أثاروا بعض الشبهات. ولكنّ أحدهم وهو عربي مسيحي طاعنٌ في السنّ (أعتقد أنه لبناني) اعترض عليّ بأسلوب فيه خبث ودهاء فكاد يقلب انتصاري إلى هزيمة نكراء.

قال هذا الدكتور بلسان عربي فصيح. بأنّ ما ذكرته في المحاضرة فيه كثير من المبالغة وبالخصوص فيما يتعلّق بعصمة النبي إذ أنّ المسلمين أنفسهم لا يوافقونك على ذلك. وحتّى محمد نفسه لا يوافق على ذلك. فقد قال عديد المرّات. بأنّه بشرٌ يجوز عليه الخطأ وقد سجّل له المسلمون أخطاءً عديدة نحن في غنىً عن التعريف بها وكتب المسلمين الصحيحة والمعتمدة عندهم تشهد على ذلك. ثم قال: وأما بخصوص الحروب فما

---

(1) صحيح البخاري: 6/127.

(2) صحيح البخاري: 5/160.

الصفحة 327

على حضرة المحاضر إلا مراجعة التاريخ ويكفي أن يقرأ فقط كتب الغزوات التي قام بها محمد في حياته، ثم واصلها الخلفاء الراشدون بعد وفاته حتى وصلوا إلى (poitier) مدينة بواتييه بغرب فرنسا وفي كلها كانوا يفرضون دينهم الجديد على الشعوب بالقهر وقوة السّيف.

وقابل الحاضرون كلامه بالتصفيق مؤيدين مقالته وحاولت بدوري إقناعهم بأن ما ذكره الدكتور المسيحي غير صحيح وإن أخرجه المسلمون في كتبهم، وارتفعت ضجة من الضّحك في القاعة استهزاء وسخرية مني.

وتدخّل الدكتور المسيحي من جديد ليقول لي بأن ما ذكره ليس من الكتب المطعون فيها وإنما هو في صحيح البخاري ومسلم.

وقلت بأن هذه الكتب صحيحة عند أهل السنة أما عند الشيعة فلا يقيمون لها وزناً، وأنا مع هؤلاء.

فقال: نحن لا يهمنا رأي الشيعة الذين يكفرهم أغلب المسلمين، والمسلمون السنة وهم أكثر من الشيعة عشر مرّات لا يقيمون لآراء الشيعة وزناً، ثم أضاف قائلاً: إذا تفاهمتم أنتم المسلمون مع بعضكم البعض وأقنعتم أنفسكم بعصمة نبيكم، عند ذلك يمكن أن تقنعونا نحن (قال ذلك ضاحكاً متهكماً).

ثم التفت إليّ من جديد قائلاً: وأما بخصوص الأخلاق الحميدة فأنا أسألك أن تقنع الحاضرين كيف تزوج محمد الذي بلغ من العمر أربعاً وخمسين بعائشة وعمرها ست سنين؟

وارتفعت من جديد ضجة الضّحك وأشرئبّت الأعناق تنتظر ردّي وحاولت جهدي إقناعهم بأن الزواج عند العرب يتم على مرحلتين المرحلة الأولى وهو العقد وكتب النكاح والمرحلة الثانية وهو البناء والدخول، وقد تزوج النبي عائشة وعمرها ست سنوات ولكن لم يدخل بها إلا بعد أن بلغت تسع سنوات، واستطردت بأن هذا ما يقوله البخاري إن كان مناقشي

الصفحة 328

يحتج عليّ بما فيه. وأنا شخصياً أشك في صحة الرواية لأن الناس في ذلك الزمان لم يكن لهم حالة مدنية ولا تسجيل تاريخ الميلاد ولا تاريخ الوفاة، وعلى فرض صحة الرواية فإن عائشة بلغت سن الرشد في التاسعة من عمرها فكم رأينا اليوم على شاشة التلفزيون بعض الفتيات الروسيات والرومانيات لاعبات "الجمباز" اللاّتي عندما تراهنّ وترى كمال أجسامهن تستغرب عندما يعلنون عن عمرها وأنها لم تتجاوز إحدى عشر عاماً. فلا شك بأن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يدخل بها إلاّ بعدما رشدت وأصبحت تحيض، والإسلام، لا يقول بالرشد لمن بلغ ثمانية عشر عاماً كما هو معروف عندكم في فرنسا. بل الإسلام يعتبر الرشد بالحيض للنساء وبخروج المني للرّجال. وكلّنا يعلم حتى اليوم بأنّ من الذكور من يمنون في سنّ العاشرة ومن الإناث من يحضن في سنّ مبكرة قد لا تتجاوز العاشرة.

وهنا قامت سيدةٌ وتدّخلت لتقول: نعم وعلى فرض أنّ ما أوردته قد يكون صحيحاً وهو صحيح علمياً، ولكن كيف نقبل بزواج شيخ كبير أوشك عمره على نهايته بفتاة صغيرة ما زالت في العقد الأول من عمرها؟

قلت: إن محمداً نبيّ الله ولا يفعل شيئاً إلاّ بوحي منه، ولا شك أن لله في كل شيء حكمة، وإن كنت شخصيا أجهل الحكمة في ذلك.

قال الدكتور المسيحي: لكنّ المسلمين اتخذوا ذلك سنة، فكم من فتاة صغيرة زوّجها أبوها غصباً عنها برجل يوازيه في السن ومع الأسف فإن هذه الظاهرة بقيت حتى اليوم موجودة. انتهزت هذه الفرصة لأقول: ولذلك أنا تركت المذهب السني واتبعت المذهب الشيعي، لأنه يعطي حق المرأة في أن تزوج نفسها بمن شاءت هي لا بما يفرضه عليها الولي.

قال: دعنا من السنة والشيعة ولنعد إلى زواج محمد بعائشة والتفت إلى الحاضرين ليقول بكل سخرية: إن محمداً النبيّ والبالغ من العمر أكثر من الخمسين يتزوج بنيةً صغيرة لا تفهم من الزواج قليلاً ولا كثيراً والبخاري

الصفحة 329

يحدثنا بأنها كانت في بيت زوجها تلعب بالدّمى وهذا يؤكّد على براءة الطفولة، فهل هذه هي الأخلاق العالية التي يمتاز بها النبي؟

وحاولت من جديد إقناع الحاضرين بأن البخاري ليس حجّة على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكن بدون جدوى، فقد لعب هذا المسيحي اللّبناني بأفكارهم كما أراد، وما كان لي إلاّ أن أوقفت النقاش متذرّعاً بأنّنا لا نتكلّم نفس اللّغة لأنهم يحتجّون عليّ بالبخاري في حين أنني لا أؤمن بكل ما ورد فيه.

وخرجت ناقماً على المسلمين الذين أعطوا لهؤلاء، ولأعداء الإسلام وأعداء محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم السّلاح النافذ الذي يحاربوننا به وعلى رأس هؤلاء البخاري! ورجعت للبيت يومها مهموماً وأخذت أتصفّح صحيح البخاري وما ذكره في فضائل عائشة وأحوالها فإذا بي أقول الحمد لله الذي فتح بصيرتي، وإلاّ لبقيت متحيراً في شخصية الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وربّما داخلني الشك فيه والعياذ بالله.

ولابدّ من إظهار بعض الروايات التي أثيرت خلال المناقشة حتى يتبين للقارئ بأن هؤلاء المنتقدين لم يفتروا علينا وإنّما وجدوا بغيتهم في صحاحنا فاستعانوا بها علينا.

فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب تزويج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم عائشة وقدومه المدينة وبنائه بها.

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: تزوجني النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنا بنت ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحرث بن خزرج فوعكت فتمرّق شعري فوفى جميمةً، فأتتني أمي أمّ رومان وإنّي لفي أرجوحةٍ ومعي صواحب لي، فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدّار وإنّي لأنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ثم أدخلتني الدار فإذا نسوةٌ من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبكرة وعلى خير طائرٍ.

فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ضحىً فأسلمتني إليه وأنا يؤمئذ بنت تسع سنين.

وأترك لك أيها القارىء لتعلّق بنفسك على أمثال هذه الروايات.

كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الأدب باب الانبساط إلى الناس.

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا دخل يتقمعن منه فسير بهنّ إليّ فيلعبن معي.

يقول الشارح: ألعب بالبنات، يعني التماثيل المسماة بعلبِ البنات ـ ويسربهن إليّ: أي يبعثهن ويرسلهن إليّ وأنت تقرأ مثل هذه الروايات في صحيح البخاري أيبقى عندك اعتراض بعدها على نقد بعض المستشرقين إن كنت منصفاً؟

قل لي بربّك! عندما تقرأ قول عائشة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم "ما أرى ربّك إلاّ يسارع في هواك"(1) .

ماذا يبقى في نفسك من احترام وتقدير لامرأة كهذه التي تشكّك في نزاهته صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهل لا يبعث ذلك في نفسك أنها تصرّفات مراهقة لم يكتمل عقلها.

وهل يلام بعد ذلك أعداء الإسلام الذين كثيراً ما يثيرون حبّ محمد للنساء وأنّه كان شهوانياً فإذا قرؤوا في البخاري بأن الله يسارع في هواه، ويقرؤون في البخاري بأنه كان يجامع إحدى عشرة زوجة في ساعة واحدة وقد أعطي قوة ثلاثين.

———————————

(1) صحيح البخاري: 6/24 كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى: (ترجي من تشاء منهنّ وتأوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) .

فاللّوم على المسلمين الذين أقرّوا مثل هذه الأباطيل واعترفوا بصحّتها بل واعتبروها كالقرآن الذي لا يتطرق إليه الشك ولكن هؤلاء مسيرون في كل شيء حتى في عقيدتهم وليس لهم خيارٌ في شيء. لقد فرضت عليهم هذه الكتب من الحكام الأولين. وهلّم بنا الآن إلى الرّوايات التي أخرجها البخاري

للطّعن على أهل البيت.

فقد أخرج في صحيحه من كتاب المغازي باب شهود الملائكة بدراً 5/16.

* عن علي بن حسين أن حسين بن علي أخبره أن علياً قال كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدرٍ وكان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أعطاني مما أفاء الله من الخمس يومئذ قلما أردت أن أبتني بفاطمة عليها السلام بنت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وأعدت رجلاً صواغاً في بني قينقاع أن نرتحل معي فنأتي بإذخر فأردت أن أبيعه من الصواغين فنستعين به في وليمة عرسي، فبينما أنا أجمع لشارفيّ من الأقتاب والغرائر والحبال وشارفاي مناخان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار حتى جمعت ما جمعته فإذا أنا بشارفيَّ قد أجبَّت اسنمتهما وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما فلم أملك عينيَّ حين رأيت المنظر. قلت من فعل هذا؟ قالوا: فعله حمزة بن عبد المطّلب وهو في هذا البيت في شرب من الأنصار عنده قينةٌ وأصحابه فقالت في غنائها (ألا يا حمزُ للشّرف النواء). فوثب حمزةٌ إلى السّيف فأجبّ أسنمتهما وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما قال علي: فانطلقت حتى أدخل على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وعنده زيد بن حارثة وعرف النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي لقيت فقال: ما لك؟ قلت: يا رسول الله، ما رأيت كاليوم عدا حمزة على ناقتيّ فأجبَّ أسنمتها وبقر خواصرهما وها هو ذا في بيت معه شرب، فدعا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بردائه فارتدى ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذن عليه فأذن له فطفق النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يلوم

حمزة فيما فعل، فإذا حمزة ثملٌ محمرّةٌ عيناه، فنظر حمزة إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ثم صعّد النظر فنظر إلى ركبتيه ثم صعّد النظر فنظر إلى وجهه ثم قال حمزة: وهل أنتم إلاّ عبيد لأبي، فعرف النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه ثملٌ فنكص رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا معه.

تأمل أيها القارىء في هذه الرّواية التي طفحت بالكذب والزور لشتم سيد الشهداء لأنه مفخرة أهل البيت فكم كان الإمام عليّ سلام الله عليه يفتخر به في أشعاره بقوله: وحمزة سيد الشهداء عمي، وكم كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يفتخر به حتى إذا قتل حزن عليه حزناً كبيراً وبكى عليه بكاءاً كثيراً وسماه سيد الشهداء.

وحمزة عم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي أعزّ الله به الإسلام عندما كان المستضعفون من المسلمين يعبدون الله خفيةً، وقف وقفته المشهورة في وجه قريش وانتصر لابن أخيه معلناً إسلامه على الملأ من قريش وما خاف أحداً.

حمزة الذي سبق هجرة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ومهد لدخول ابن أخيه في يوم مشهود.

حمزة الذي كان مع ابن أخيه علي أبطال بدرٍ وأحد، أخرج البخاري في نفسه في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب قوله هذان خصمان اختصموا في ربّهم 5/242.

* عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أنا أول من يجثوا بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال قيس وفيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربّهم قال: هم الذين بارزوا يوم بدرٍ، عليّ وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.

نعم إن البخاري يعجبه أن يروي مثل هذه المثالب في مفخرة أهل البيت، وسلسلة الوضّاعين الذين وضعوا مثل هذه الرواية طويلة فقد قال

البخاري حدثنا عبدان أخبرنا عبدالله أخبرنا يونس وحدّثنا أحمد بن صالح حدّثنا عنبسة حدثنا يونس عن الزّهري أخبرنا عليّ بن حسين(1) ، فهؤلاء سبعة أشخاص يري عنهم البخاري قبل أن يصل السند إلى علي بن الحسين وهو زين العابدين وسيد الساجدين. فهل يليق بزين العابدين أن يروي أكاذيب مثل هذه فيكون سيد الشهداء يشرب الخمر بعد إسلامه وبعد هجرته وقبل استشهاده بأيام إذ تقول الرواية بأن علي بن أبي طالب كان يعدّ وليمة عرسه على فاطمة عليها السلام التي بنى بها في السنة الثانية للهجرة النبوية وأن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أعطاه نصيبه من المغنم يوم بدر وهل يليق بسيد الشهداء أن تكون له قينةٌ عاهرةٌ تغنيه وتطلب منه أن يبقر الناقتين فيفعل بدون مبالاة؟

وهل يليق بسيد الشهداء أن يأكل لحم حرام بدون ذبح ويبقر الخواصر ويأخذ الأكباد؟

وهل يليق برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يذهب ويستأذن على حمزة في ذلك المجلس الذي فيه الخمر والدّعارة؟ ويدخل في ذلك المكان؟

وهل يليق بسيد الشهداء أن يكون ثملاً محمرةً عيناه فيشتم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله ما أنتم إلا عبيد لأبي؟

وهل يليق برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن ينكّص على عقبيه القهقرى فيخرج دون تأنيب أو توبيخ فالمعروف عنه أنه كان يغضب لله.

وأنا متيقن أن هذه الرواية لو كانت (على سبيل الافتراض طبعاً) تذكر أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية مكان حمزة، لما أخرجها البخاري لفظاعتها، ولو أخرجها لهذّبها على طريقته وابترها. ولكن ما الحيلة والبخاري لا يحبّ هؤلاء الذين رفضوا مدرسة الخلفاء، حتى بعد وقعة

———————————

(1) صحيح البخاري: 5/16.

كربلاء وقتلهم عن بكرة أبيهم، فلم يبق إلا علي بن الحسين الذي وضعوا الرواية على لسانه.

ولماذا لم يرو البخاري شيئاً من فقه أهل البيت ولا من علومهم ولا من خصالهم ولا من زهدهم ولا من فضائلهم التي ملأت الكتب وطفحت بها مجاميع أهل السنة قبل مجاميع الشيعة؟

ولنستمع إليه يروي رواية أخرى تطعن في أهل البيت وفي القمة بالذات إذ أن الرّواة بما فيهم البخاري لم يجدوا في علي بن أبي طالب نقيصة واحدة ولا سجّلوا عليه طيلة حياته كذبة واحدة ولا عرفوا له خطيئة واحدة، ولو كانت، لملأوا الدنيا صياحاً وعويلاً، فعمدوا لوضع رواية تتهمه بأنه كان يستخف بالصلاة.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الكسوف باب تحريض النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم على صلاة اللّيل وطرق النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فاطمة وعلياً عليهما السلام ليلة الصلاة: 2/43 قال:

* حدّثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني علي بن حسين أن حسين بن علي أخبره أن علي بن أبي طالب أخبره أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم طرقه وفاطمة بنت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلةً فقال: ألا تصلّيان؟

فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مولٍ يضرب فخذه وهو يقول: وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً.

لاها الله يا بخاري، هذا علي بن أبي طالب الذي يحدّثنا عنه المؤرّخون أنه كان يقوم بصلاة اللّيل في ليلة الهرير (في حرب صفين) فيفرش نطع ويصلّي بين الصفّين والنبال والسّهام تساقط على يمينه وشماله فلا يرتاع ولا يقطع صلاة اللّيل.

علي بن أبي طالب الذي أوضح للناس معالم القضاء والقدر وحمل الإنسان مسؤولية أفعاله، تصوره أنت في هذه الرواية بأنه جبريٌّ يقول بالجبر ويجادل بها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله: أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا يعني ذلك لو شاء الله أن نصلّي لصلّينا. عليّ بن أبي طالب الذي حبّه إيمان وبغضه نفاقٌ توصفه أنت بأنه أكثر شيء جدلاً. إنه كذبٌ مفضوح لا يوافقك عليه حتى ابن ملجم قاتل الإمام ولا معاوية الذي كان يأمر الناس بلعنه، إنه كذبٌ رخيص ولكنك جنيت من وراءه الكثير إذ أرضيت بذلك حكّام زمانك وأعداء أهل البيت فرفعوا قدرك في هذه الدنيا الدنيئة ولكنك أسخطت ربّك بهذا الموقف من أمير المؤمنين وسيد الوصيين وقائد الغر المحجّلين قسيم الجنة والنار الذي يقف يوم القيامة على الأعراف فيعرف كلاً بسيماهم(1) فيقول للنار هذا لي وهذا لك(2) .

ولا أدري إن كان كتابك يوم القيامة شبيه بكتابك اليوم الذي يزوق ويجلّد وينمق، ليخرج في أبهى حلّة عرفها الكتاب.

نعم كبرت على البخاري أن يظهر سيده عمر بن الخطاب تاركاً للصلاة المفروضة عندما فقد الماء وبقي على مذهبه ذلك حتى في خلافته فقال: أما أنا فلا أصلّي متحدّياً بذلك القرآن والسنة.

ففتش عند الدجّالين الوضّاعين فوضعوا له هذا الحديث الذي يتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنّه تثاقل فلم يصلّ صلاة الليل، وعلى فرض واحتمال صحة روايته فلا ضير ولا إثم ولا ذنب على علي لأنها تتعلق

---

(1) شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي: 1/198 في تفسير قوله تعالى: (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم) أخرج الحاكم عن علي قال: نقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة ومن أبغضنا عرفناه بسيماه.

(2) ابن حجر الشافعي في الصواعق المحرقة: 101 قال روي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: يا علي أنت قسيم الجنة والنار، فيوم القيامة تقول للنار هذا لي وهذا لك، وأضاف ابن حجر أن أبا بكر قال لعلي رضي الله عنهما، سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كنت له علي الجواز.

بصلاة النافلة التي يثاب على فعلها ولا يعاقب على تركها ـ ولا يمكن أن يقاس فعل عمر بتركه للصّلاة المفروضة على ترك علي لصلاة النافلة إن صحت الرواية، ولكن أنّى لهذا الرواية أن تكون صحيحة ولو أخرجها صحيح البخاري.

فالبخاري صحيح عند أهل السنة، وأهل السنة هم المؤيدون لمدرسة الخلافة التي قامت على سياسة بني أمية وبني العبّاس والمتتبّع يعرف هذه الحقيقة التي أصبحت اليوم غير خافية على أحد وأهل السنة والجماعة تبعاً لسياسة الحكّام الذي دأبوا على عداء ومحاربة أهل البيت ومن والاهم وتشيع لهم، أصبحوا من غير علمهم أعداءً لأهل البيت وشيعتهم لأنهم والوا أعداءهم وعادوا أولياءهم. ولذلك رفعوا من شأن البخاري إلى الدرجة الرفيعة التي أصبح عليها، ولا تجد عندهم من تراث أهل البيت ولا من أقوال الأئمة الأثني عشر شيئاً يذكر، ولا حتى عن باب مدينة العلم الذي كان من النبي بمنزلة هارون من موسى، وبمنزلة النبي من ربّه.

والسؤال الذي يطرح على أهل السنة هو: ما الذي أحرز عليه البخاري زيادة على بقية المحدّثين لينال عندكم هذا التفضيل؟؟

وأعتقد أن الجواب الوحيد على هذا السؤال هو أن البخاري:

1 ـ دلس الأحاديث التي تمس كرامة الصحابة خصوصاً منهم أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية. وهذا ما دعا إليه معاوية والحكّام بعده.

2 ـ أبرز الأحاديث التي تطعن في عصمة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وتصوره بأنّه بشرٌ عاديٌّ يخطىء، وهذا ما أراده الحكام على طول الدهر.

3 ـ أخرج أحاديث موضوعة في مدح الخلفاء الثلاثة وفضلهم على علي بن أبي طالب وهو بالضبط ما أراده معاوية للقضاء على ذكر علي حسب زعمه.

4 ـ أخرج أحاديث مكذوبة تمس بكرامة أهل البيت.

5 ـ أخرج أحاديث أخرى تؤيد مذهب الجبر والتجسيم والقضاء والقدر في الخلافة وهو ما أشاعه الأمويون والعباسيون ليتحكّموا بمصير الأمة.

6 ـ أخرج أحاديث مكذوبة تشبه الأساطير والخرافات لتخدير الأمة وإشاعة الفوضى وذلك ما يريده الحكّام في عصر البخاري.

وعلى سبيل المثال إليك أيها القارىء العزيز هذه الرواية:

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب أيام الجاهلية من جزئه الرابع ص238.

قال البخاري: حدثنا نعيم بن حماد حدّثنا هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت في الجاهلية قردةً اجتمع عليها قردةٌ قد زنت فرجموها فرجمتها معهم.

ونحن نقول للبخاري، لعلّ الله سبحانه ورحمةً بالقردة قد نسخ حكم الرّجم الذي فرضه عليهم بعد طردهم من الجنة وأباح لهم الزنا في عهد

الإسلام بعدما كان محرّماً عليهم في الجاهلية. ولذلك لم يدّع أي مسلم أنّه حضر أو شارك في رجم قردةً منذ بعث محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم وحتى يوم الناس هذا.

خاتمة البحث

وبعد هذه الخرافات وأمثالها كثير في البخاري فهل يبقى الباحثون والعلماء المتحرّرون ساكتون ولا يتكلّمون؟

وسيقول بعض النّاس لماذا التحامل إلا على البخاري؟ وقد يوجد في غيره من كتب الأحاديث أضعاف ما فيه. وهذا صحيح ولكن تناولنا البخاري بالتّحديد لما ناله هذا الكتاب من شهرة فاقت الخيال حتّى أصبح كالكتاب المقدّس عند علماء السنّة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إذ كل ما فيه صحيح لا يتطرّق إله الشك. ومنبع هذه الهالة وهذا التّقديس نشأ من السّلاطين والملوك بالخصوص في العهد العبّاسي الذي وصل فيه الفرس إلى التحكّم في كل جهاز الدّولة وكان منهم الوزراء والمستشارون والأطبّاء والفلكيون يقول أبو فراس ذلك:

أبلغ لديك بني العبّاس مالكةً * لا يدّعوا ملكها ملاّكها العجم

أي المفاخر أمست في منازلكم ** وغيركم آمرٌ فيها ومحتكم

وعمل الفرس كل جهودهم واستعملوا كل نفوذهم حتّى أصبح كتاب البخاري في المرتبة الأولى بعد القرآن الكريم. وأصبح أبو حنيفة الإمام الأعظم فوق الأئمة الثّلاثة الآخرين.

ولولا خوف الفرس من إثارة القومية العربية في عهد الدولة العبّاسية لرفعوا البخاري فوق القرآن. ولقدّموا أبا حنيفة على النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. فمن يدري؟

وقد قرأت لبعضهم محاولات من هذا القبيل. إذ كان البعض منهم يقول صراحة بأنّ الحديث قاض على القرآن. ويقصد بالحديث البخاري طبعاً. كما يقول لو تعارض حديث النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم مع رأي واجتهاد أبي حنيفة لوجب تقديم اجتهاد أبي حنيفة ويعلّل ذلك بأنّ الحديث يحتمل عدّة وجوه. هذا إن كان صحيحاً أمّا إذا كان مشكوكاً في صحّته فلا إشكال.

وأخذت الأمة الإسلامية تنموا وتكبر شيئاً فشيئاً وهي دائماً مغلوبة على أمرها يتحكّم في مصيرها الملوك والسّلاطين من الأعاجم والفرس والمماليك والموالي والمغول والأتراك والمستعمرين من الفرنسيين والإنكليز والإيطاليين والبرتغاليين وحدّث ولا حرج.

ودأب أغلب العلماء على الجري وراء الحكّام واستمالتهم بالفتاوى والتملّق طمعاً في ما عندهم من مال وجاهٍ. وعمل هؤلاء دائماً على سياسة «فرّق تسد» فلم يسمحوا لأحد بالاجتهاد وفتح ذلك الباب الذي أغلقه الحكّام في بداية القرن الثاني. معتمدين على ما يثار هنا وهناك من فتن وحروب بين السنة وهي الأغلبية السّاحقة والتي تمثّل الأنظمة الحاكمة. والشيعة وهي الأقلية المنبوذة والتي تمثل في نظرهم المعارضة الخطيرة التي يجب القضاء عليها وبقي علماء السنّة مشغولون بتلك اللّعبة السّياسية الماكرة في نقد وتكفير الشيعة والردّ على أدلّتهم بكل فنون النّقاش والمجادلة حتّى كتبت في ذلك آلاف الكتب وقتلت آلاف النفوس البريئة وليس لها ذنب غير ولائها لعترة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ورفضها للحكّام الذين ركبوا أعناق الأمّة بالقوة والقهر.

وها نحن اليوم في عهد الحرّيات في عهد النور كما يسمّونه في عهد العلم وتسابق الدول لغزو الفضاء والسيطرة على الأرض إذا ما قام عالم وحرّر من قيود التعصّب والتقليد، وكتب أيّ شيء يشمُّ منه رائحة التشيّع لأهل البيت، فتثور ثائرتهم وتعبّأ طاقاتهم لسبّه وتكفيره والتشنيع عليه لا لشيء سوى أنّه خالف المألوف عندهم، ولو أنّه كتب كتاباً في مدح البخاري وتقديسه لأصبح عالماً علامة ولانهالت عليه التهاني والمدائح من كل حدب وصوب ولتمسّح بأعتابه رجال لا تلهيهم صلاةٌ ولا صوم عن التملّق وقول الزّور.

وأنت تفكّر في كل هذا والدّواعي التي توفّرت لانحراف أكثر العباد، والأسباب التي تجمّعت لسيّاقه أغلب النّاس إلى الضلالة، فإذا القرآن الكريم يوقفك على سرّها المكنون، من خلال الحوار الذي دار بين ربّ العزّة والجلالة واللّعين إبليس.

ـ قال: (ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك؟)

ـ قال: (أنا خير منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين)

ـ قال: (فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبّر فيها فاخرج إنك من الصّاغرين)

ـ قال: (أنظرني إلى يوم يبعثون..)

ـ قال: (إنّك من المنظرين)

ـ قال: (فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم، ثلم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)

_ قال: (أخرج منها مذءوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملئنّ جهنّم منكم أجمعين) [الأعراف: 12 ـ 18].

ـ (يا بني آدم لا يفتننّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنّة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم، إنّا جعلنا الشياطين أولياء للّذين لا يؤمنون، وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون، قل أمر ربّي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كلّ مسجدٍ وادعوه مخلصين له الدّين كما بدأكم تعودون، فريقا هدى وفريقا حقّ عليهم الضّلالة إنّهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) [الأعراف: 26 ـ 30].

ولذلك أقول لكل إخواني من المسلمين عامّة إلعنوا الشيطان ولا تتركوا له سبيلاً عليكم، وتعالوا إلى البحث العلمي الذي يقرّه القرآن والسنّة الصحيحة، تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم ألاّ نحتج إلاّ بما هو صحيح ثابتٌ عندنا وعندكم، وندع ما اختلفنا فيه جانباً، ألم يقل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا تجتمع أمّتي على خطأ» إذاً فالحقّ والصواب في ما اجتمعنا عليه سنّة وشيعة والخطأ والباطل في ما اختلفنا فيه، ولو أقمنا إلا هذا العمود لعمّ الصفاء والوفاق والهناء ولاجتمع الشمل ولجاء نصر الله والفتح ولعمّت البركة من السّماء والأرض، فالوقت قد حان ولم يعد هناك مجالٌ للانتظار قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ـ ونحن كلّنا في انتظار إمامنا المهدي عليه السّلام شيعة وسنّة وقد طفحت ببشارته كتبنا، أليس هذا دليل كاف على وحدة مصيرنا، فلي الشيعة إلاّ إخوانكم وليس أهل البيت حكرة عليهم، فمحمّد وأهل بيته صلّى الله عليه وآله وسلّم هم أئمة المسلمين كافّة فلقد اتفقنا سنّة وشيعة على صحة حديث الثّقلين وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم «تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا أبداً كتاب الله وعترتي»(1) والمهدي

---

(1) وقد أوضحنا في بحث سابق بأنّ هذا الحديث لا يتعارض مع حديث كتاب الله وسنّتي لأن كتاب الله وسنّة رسوله هو كلام صامت ولابد لهما من ترجمان

ومن مبيّن. فالرسول يرشدنا بأن المفسّر والمبيّن للقرآن والسنّة هم عترته من أئمة أهل البيت الذين يشهد المسلمون كافة أنّهم مقدّمون على غيرهم في العلم والعمل.

من عترته أليس هذا دليل آخر؟

والآن وقد ولّى عصر الظلمات وعصر الظلم الذي لم يظلم أحداً بقدر ما ظلم أهل البيت عترة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى لعنوا على المنابر وقتلوا وسبيت نساؤهم وبناتهم على مرأى ومسمع من كل المسلمين.

فقد حان الوقت لرفع المظلمة عن أهل البيت النبوي ورجوع الأمّة إلى أحضانهم الدّافئة التي ملئت رأفة ورحمة إلى حضيرتهم المترعة التي ملئت علماً وعملاً وإلى ظل شجرتهم الباسقة التي حازت فضلاً وشرفاً. فقد صلّى عليهم الله وملائكته. وأمر المسلمين بذلك في كلّ صلواتهم ـكما أمرهم بمودّتهم وموالاتهم.

وإذا كان فضل أهل البيت لا ينكره مسلم وقد تغنّى به الشعراء على مرّ العصور. قال الفرزدق فيهم.

إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم — أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

من معشر حبهم دين وبغضهم — كفرٌ وقربهم ملجى ومعتصم

مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم — في كل برّ ومختوم به الكلم

وقال فيهم أبو فراس الشاعر المعروف بمدح أهل البيت ويشني العبّاسين في قصيدته المعروفة بالشافعية اخترنا منها.

يا باعة الخمر كفّوا عن مفاخركم — لمعشر بيعهم يوم الهياج دم

خلّوا الفخّار لعلاّمين إن سئلوا — يوم السؤال وعمّالين إن عملوا

لا يغضبون لغير الله إن غضبوا — ولا يضيعون حكم الله إن حكموا

تنشى التلاوة في أبياتهم سحراً — وفي بيوتكم الأوتار والنّغم

الركن والبيت والأستار منزلهم — وزمزم والصّفى والحجر والحرم

وليس من قسم في الذكر نعرفه — إلاّ وهم غير شكٍّ ذلك القسم

وقد نقل الزمخشري والبيهقي والقسطلاني أبياتاً للإمام أبي عبد الله

محمد بن علي الأنصاري الشاطبي(1) قوله:

عديّ وتيم لا أحاول ذكرها — بسوء ولكنّي محبّ لهاشم

وما تعتريني في عليّ ورهطه — إذا ذكروا في الله لومة لائم

يقولون: ما بال النصارى تحبّهم — وأهل النّهى من أعرب وأعاجم

فقلت لهم: إني لأحسب حبّهم — سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

وقد كتب بعض النّصارى عدّة كتب في مزايا وفضائل علي بن أبي طالب خاصّة وفي أهل البيت عامّة وهو ما أشار إليه الإمام الشاطبي بقوله: يقولون ما بال النصارى تحبّهم. وهي من العجائب التي بقيت لغزاً وإلاّ كيف يعترف النّصراني بحقيقة أهل البيت ولا يسلم؟ اللهم إلاّ إذا قدّرنا أنهم أسلموا ولم يعلنوا عن

ذلك إمّا رهبةً أو رغبةً.

وقد نقل صاحب كتاب كشف الغمة في صفحة 20 قول بعض النّصارى في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

عليٌّ أمير المؤمنين صريمة	وما لسواه في الخلافة مطمع
له النّسب الأعلى وإسلامه الذي	تقدّم فيه والفضائل أجمعوا
بأن عليّاً أفضل النّاس كلّهم	وأورعهم بعد النبيّ وأشجع
فلو كنت أهوى ملّةً غير ملّتي	لما كنت إلاّ مسلماً أتشيّع

فالمسلمون أولى بحبّ وموالاة أهل بيت النبوّة فأجر الرسالة كلها موقوفاً على مودّتهم.

وعسى أن يلقى ندائي أذاناً صاغية وقلوباً واعية وعيوناً مبصرة. فأكون بذلك سعيداً في الدّنيا والآخرة وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ويتقبّل منّي ويعفو عنّي ويغفر لي ويجعلني خادماً

---

(1) البيهقي كتاب المحاسن والمساوئ: 1/50. الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار. القسطلاني في كتاب المذاهب اللدنية.

محمّد وعتره (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) في الدنيا والآخرة فإنّ في خدمتهم فوزاً عظيماً ـ إن ربّي على صراط مستقيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسّلام على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

محمد التيجاني السماوي

مصادر الكتاب

القرآن الكريم

1 ـ تفسير الطبري.

2 ـ تفسير ابن كثير.

3 ـ تفسير القرطبي.

4 ـ التفسير الكبير للفخر الرّازي.

5 ـ تفسير الكشاف للزمخشري.

6 ـ تفسير الحاكم الحسكاني.

7 ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي.

8 ـ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي.

9 ـ تفسير الآلوسي (روح المعاني).

10 ـ تفسير الثعلبي (التفسير الكبير).

11 ـ تفسير الحاكم الحسكاني (شواهد التنزيل).

كتب الأحاديث

1 ـ صحيح البخاري.

2 ـ صحيح مسلم.

3 ـ صحيح الترمذي.

4 ـ سنن ابن ماجه.

5 ـ سنن أبو داود.

6 ـ سنن النسائي.

7 ـ سنن الدارمي.

8 ـ سنن الدارقطني.

9 ـ مسند الإمام أحمد.

10 ـ موطأ مالك.

11 ـ مستدرك الحاكم.

12 ـ كنز العمال.

13 سنن البيهقي.

14 اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

15 ـ منهاج السنة لابن تيمية.

16 ـ منتخب كنز العمّال.

كتب التاريخ

1 ـ تاريخ الطبري (الأمم والملوك).

2 ـ تاريخ ابن الأثير (الكامل).

3 ـ تاريخ ابن عساكر (تاريخ دمشق).

4 ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي.

5 ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

6 ـ تاريخ البخاري (الكبير).

7 ـ تاريخ الخلفاء لابن قتيبة.

8 ـ تاريخ ابن كثير.

9 ـ العقد الفريد لابن عبد ربه.

10 شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

كتب السيرة

1 ـ السيرة الحلبية.

2 ـ السيرة الدحلانية.

3 ـ الملل والنحل.

4 ـ الصواعق المحرقة لابن حجر.

5 ـ خصائص النسائي.

6 ـ الإصابة في تمييز الصحابة.

7 ـ تذكرة الخواص.

8 ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي.

9 ـ الجامع الصغير والكبير للسيوطي.

10 ـ الطبقات الكبرى لابن سعد.

كتب مختلفة

1 ـ إحقاق الحق للتستري.

2 ـ نهج البلاغة لمحمد عبده.

3 ـ ربيع الأبرار للزمخشري.

4 ـ كتاب الموفقيات.

5 ـ الغدير للعلامة الأميني.

6 ـ كتاب صفين لنصر بن مزاحم.

7 ـ أنساب الأشراف للبلاذري.

8 ـ لسان الميزان للذهبي.

9 ـ تذكرة الحفاظ للذهبي.

10 ـ تقييد العلم للخطيب البغدادي.

11 ـ البداية والنهاية لابن كثير.

12 ـ الجوهرة النيّرة في الفقه الحنفي.

13 ـ حديث الإفك لجعفر بن مرتضى العاملي.

14 ـ الفتنة الكبرى لطه حسين.